

السلسلة التاريخية

مواجي... وحراسين

اول رحلة طلابية

الى القاهرة

في الاربعينات



تأليف: حسن المدني

من إصدارات مؤسسة الايام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع

مواجى وحراسين

خواطر شخصية من وحي ذكريات قديمة

حسن علي المدني

من اصدارات مؤسسة الايام للصحافة والنشر والتوزيع

الكتاب: مواجي وحراسين
المؤلف: حسن علي المدني
رقم الايداع في المكتبة العامة - البحرين
1901/د.ع/1996م

الإشراف العام: ابراهيم بشمي
تصميم الغلاف: انس الشيخ
الإخراج الفني: عبدالعزيز عبدالحميد

الاصدار: مؤسسة الايام للصحافة والنشر والتوزيع
هاتف: 727111 - فاكس: 729009
ص.ب : 3232 المنامة - البحرين

مواجى وحراسين

خواطر شخصية من وحي ذكريات قديمة

حسن علي المدني

من اصدارات مؤسسة الايام للصحافة والنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأهداء:

الى
روحي
أبي وجدي
شأيب
الرحمة . . والرضوان
منه تعالى عليهما
والسلام
والمحبة
لهما . . في الراحلين . . والصالحين .



مقدمة:

بعض الأسماء.. أسماء اي شيء بدون تحديد.. تكون راسخة في النفوس رسوخ الجبال الثابتات.. انها تنغرز في نفس الانسان ولا تفارقه حتى يفارق هذه الحياة.
ومرة. قرأت بعض السطور في احدى الجرائد العربية اليومية التي تصدر في لندن.. للكاتب الامريكي «ارسكين كالدويل» وهو ايضا روائي معروف.. نقلها كاتب عربي.. من محرري الجريدة رد فيها الكاتب الامريكي المذكور على اسئلة قرائه وجاء فيها:

اكتب لانني احب الكتابة.. واخصص كل وقتي للكتابة لانني اعيش على دخلي منها. انني اكتب لان الكتابة هواية اساسا مثل هواية جمع الطوابع.. او هواية الصيد.. لكن لا استطيع ترك عملي والاعتداد على الكتابة كمصدر رزق. انني احتفظ بعلمي واكتب. وليس كل الكتاب الذين تنشر اعمالهم محترفين. اعمال كثيرة جيدة كتبها كتاب تحيط بهم ظروف قاسية ان قليلا من جامعي الطوابع او هواة الصيد تركوا اعمالهم وتفرغوا لهواياتهم. انني اكتب من الساعة التاسعة صباحا حتى الساعة السادسة مساء.. ستة ايام في الاسبوع.. عشرة اشهر في السنة.. انني اكتب بدرجة المعاناة نفسها لأي فرد يرغب ان يصبح ناجحا في ميدانه. فالاطباء والمحامون والخبازون والحلاقون والمهندسون والميكانيكيون جميعا يتعلمون بالخبرة. لماذا لا يكون الكتاب كذلك؟

لم اطلع للاسف على كتاب هذا المؤلف. لكنني لا انكر انني تأثرت بما ورد في هذا الفصل القصير من كتابه.

هذا النوع من الكتابة ليس مما جرت العادة الكتابة فيه في بلدنا او بعض بلدان وطننا العربي. ولكنه في بلدان اخرى نوع من الكتابة يستهوى الكثيرين. وهو في الحقيقة اشبه ما يكون بالسيرة الذاتية عند البعض اذا ما امعنا النظر والتدقيق ولم يكن في نيتي بداية اعداد هذه الاوراق نشرها او طبعها في كتاب. ولكن القصد - كله - كان تدوينها وحفظها في مكان ما من مكتبي. فقد يأتي يوم يحتاج اليها من يحتاج من الاسرة.. او

الاصدقاء . . تذكرهم على الدوام بأشياء قريبة منهم كلما عن لهم الاستفسار عنها .
لكنها تكون غائبة من اذهانهم .

هذه المكتبة التى رأت اول خيوط النور قبل سنوات طويلة في احدى زوايا غرفتي . .
برف متواضع حمل بعض الكتب القديمة والكراسات المدرسية التى تجمعت لدي على
مر الايام . لكن هذا الرف مالبث ان ناء بحمله من الكتب واصبح رفين . . ثم
ثلاثة . . واربعة . واتضح ان هذه الزيادات في عدد الرفوف لن تقف عند حد . .
ولذلك اضطررت اخيرا الى تحويل الغرفة باكملها الى غرفة جديدة للمكتبة . وربطها
من كل جوانبها برفوف جديدة تتسع لهذا الكم من الكتب والمطبوعات التى يتزايد
عددها كل يوم .

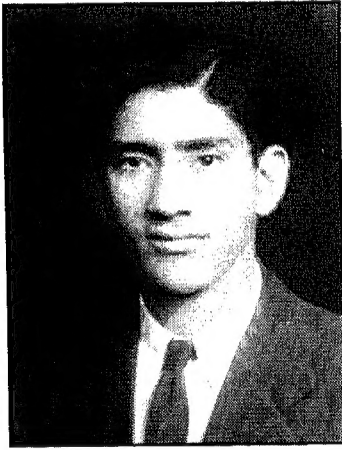
لقد استنزف هذا التحويل في غرفة المكتبة ولازال متوصلا الى صرف مبالغ كبيرة لو
ذكرتها الآن ما صدقني احد فيها .

كثيرون ينظرون الى مكتبة البيت على انها ركن من اركان المنزل . لا يختلف في اثنائه
وديكراته عن اي ركن اخر . كما ان بعضهم يقيم هذه المكتبة لاجراض متفاوت .
الكتب تصف على رفوفها بشكل او باخر . وفي الغالب كثيرا ما تكون للزينة والمباهاة
كأي قطعة من قطع الاثاث . لكن الواقع الذي عايشته مع مكتبتى العزيزة وعلى مدى
اربعين سنة او تزيد قليلا يختلف عن ذلك . لقد شاهدت هذه المكتبة تكبر كل يوم
ويزداد عدد الكتب فيها حتى لم يعد بإمكانى حصر هذه الكتب . . او تصنيفها . لقد
جاوزت المئات ودخلت خانة الالوف . وبين الحين والاخر كنت اشاهد مثل هذه الزيادة
وافرح لها من قلبي . واروح اعدل في وضع الكتب . . ونقل بعضها من رف الى اخر .
وتمر ايام اقضي بينها الساعات الطوال . . واتذكر المبالغ التى دفعتها . . او المعارض او
دور المكتبات التى اشتريتها منها .

اننى حين اشيد بمكتبتى العزيزة . اشعر اننى حققت ما تمنيته ويراودني احيانا الشعور
بانها تستحق الاشادة والعناية . اننى وبعد هذه السنوات الطويلة ارى ان اي بيت من
بيوتنا لا يستغنى عن وجود مكتبة فيه — بأي مستوى — بين مرافقه وغرفه اذا كانت
الامكانات المادية لدى صاحب البيت تسمح له بذلك .

ان المكتبة فضلا عن كونها مخزنا نظيفا للمكتب فانها تمثل الشعلة النيرة التى تتضاءل
امامها كل الشموع والانوار .

تصدير:



■ حسن علي المدني

من تلك الاسماء التى رسخت في نفسي.. مواجى.. وحراسين اللتين اخترتهما عنوانا لهذا الكتاب. وقد يبدو هذا الاختيار غريبا عندما تقع عيون من يقدر له لأول وهلة ان يقرأها او يطلع عليها. ولكن بالنسبة لي فليس في ذلك شىء من الغرابة.

هذه الاوراق ليست تاريخا او ادبا.. او حتى مذكرات بالمعنى الذي تعارف عليه كثيرون.. وانما هي في الواقع حديث نفس.. خواطر وذكريات متناثرة.. ومن منظور شخصي بحث قمت بتدوينها فقررة.. فقررة وخلال سنوات طويلة زادت على ٤٠ سنة.

مواجى.. اول بواكر فاكهة التمر او الرطب التى تشتهر بها اشجار النخيل في البحرين وما جاورها من اقطار الخليج العربي من عهود موعلة في القدم. وتكاد النخيل هذه ان تكون رمزا خاصا بهذه الاقطار كلها ورد اسمها في احاديث الناس واقوالهم كما

وردت في دواوين الشعر العربي وغيرها من كتب الاولين.

وقديا قالت العرب في امثالها السائرة.. كناقل التمر الى هجر. وهجر هذه موضع من مواضع بلاد «البحرين» في تاريخها الغابر. او الجزيرة العربية قبل ان يطلق اسم البحرين الحالي على هذه البلاد على وجه الخصوص. ولان هذا النوع من «الرطب» من البشائر التي يفرح الناس لقُدومها في مواسمها.. فانها في البحرين يطلقون عليها اسم «بجيرة» بتعجيم حرف الجيم حين ينطقونها. كما انها ايضا تحريف لكلمة بشاير. انها فاكهة مقدسة حلوة المذاق.. لونها احمر قاني يتحول الى الاسود الداكن عندما تنضج. وتنتشر اشجار النخيل في قرى الساحل الشمالى من البحرين.. وهي اشهر مناطق زراعتها واجودها واكثرها انواعا. كما تنتشر في عدة قرى. ويندر ان لا تجد اشجار النخيل الباسقة في اي مكان تتوجه اليه. ولكنها تنعدم في المناطق الجنوبية من البلاد لاتعدام وجود المياه فيها، ويرتبط اهل البحرين ارتباطا وثيقا بالنخيل.. فقد كانت الى وقت قريب جدا.. مصدر الرزق الوحيد لهم.. الى جانب مهنة «الغوص» وصيد الاسماك.. او الغوص على اللؤلؤ قبل ظهور الثروة النفطية التى انعم الله بها عليهم.

وتبقى «مواجي» اول كلمة ترد على ألسنة الناس حين يبدأ موسم الرطب.. يتداولها الصغار والكبار في كل مكان توجد فيه نخلة.

اما «حراسين» فهي تكاد تكون غريبة على اسماع العديد من اهالي البحرين.. رغم انها وثيقة الصلة باختها «مواجي» لاشتراكها في موطن.. وارض واحدة. انها تكاد تكون غريبة فعلا على أولئك الناس الذين نشأوا في مناطق بعيدة عن الاراضي الزراعية.

مفرد حراسين.. حرسون.. وهي انواع كثيرة من الاسماك الصغيرة جدا تعيش عادة في البرك وغدران المياه.. والعيون مثل عذارى.. وقصاري.. وهي في العادة لا تزيد في حجمها عن حجم اصبع اليد.. او اصغر قليلا لا تعمّر طويلا في المياه.. ونادرا ما توجد على سواحل البحر. انها تتغذى على الحشائش الخضراء التى تتكاثر على حواف البرك وجداول المياه.. او احيانا المستنقعات الآسنة التى تكثر في بعض مناطق قرى البحرين.

يطلق عليها آخرون اسم «عفاطى» ومفردها «عفاطى» اما الغريب في الأمر فان من يطلق عليها حراسين لا يعرف انها العفاطى والعكس صحيح. كما هو الحال في كلمات ومعاني كثيرة. تجرى على ألسنة الناس.. كم هو جميل وجذاب منظر هذه الاسماك

الصغيرة الوادعة وهي تتهادى في اسراب تروح ونجيء... وتنتظر من يرمي لها بعض الطعام من كسرات الخبز او غيره. والذي تلتهمه في بضع لحظات بشراهة لا تصدق.

في سن الطفولة الاولى (اواخر 1940) يوم كانت الدنيا غير هذه الدنيا التي نعيشها الآن.. وعندما يشتد لهيب الصيف يهرع الناس.. الغنى منهم والفقير.. ومن مختلف الطبقات والطوائف. وتقوم ربات البيوت. من مختلف مناطق مدينة النامة بالتوجه في مجموعات تتفاوت في عددها.. ومكانتها الاجتماعية لقضاء يوم او بعض يوم في نزعات «كشتات» الى البساتين والمزارع وحيث توجد عيون المياه الحلوة المتدفقة حيث يقضون الوقت في هذه الاماكن الجميلة.. هربا من الحرارة. وكان من اشهر هذه الاماكن.. حمام «ابو ابهام» الذى تصله المياه عبر جدول طويل «ساب» من عين عذارى.. الذائعة الصبى وحمام «ابو زيدان» الواقع في الطرف الغربى من سوق «الخميس» او من حمامات اخرى معروفة مثل عين «الرحى» في جزيرة سترة او عين «السفاحية» في جزيرة النبيه صالح.. التى ينتقلون اليها في قوارب صغيرة من اى ساحل من البحر يرغبون فيه. ومن اشهر الحمامات والعيون في ذلك الوقت ايضا حمام «الكرش» بقرية «الشاخورة».

وقد كنا ونحن اطفالاً.. نرافق امهاتنا.. واهلنا في مثل هذه النزعات.. ترويحاً للنفس وللمساعدة في تقديم ما يطلب منا من خدمات تتناسب واعمارنا الصغيرة.. نجمع اعواد النخيل اليابسة والاغصان المتكسرة الصغيرة التى تصلح وقودا للنار لاعداد وجبة الطعام التى تقوم بها بعض السيدات الماهرات.

ان اول ما يواجهنا حين نصل الى مثل هذه المزارع والعيون هي اشجار النخيل.. التى تحمل في اعلاها.. واحيانا على ارتفاع قصير ثمرات الرطب.. الداني القطوف.. بلونيه الاحمر والاصفر وهو غالبا ما يكون من نوع «المواجى» الاحمر.. الذى لا تتأخر في قطف وجمع حبات منه دون حسيب او رقيب. ثم نروح نتحلق حول الجداول والبرك نرقب حركة الخراسين في مياهها.. ولا نتورع عن صيد بعضها في اوعية خاصة نحضرها معنا كلما تيسر ذلك. وهكذا ينقضى اليوم بطوله. ونعود الى بيوتنا في المساء ونظل نتحدث عن هذه النزعة «الكشتة» لأيام.. وايام حتى يحل موعد نزعة جديدة الى مكان جديد.

هذه المشاهد.. والذكريات انطبعت في ذهني وتجدرت ومنها جاء عنوان هذه السطور. والتى لا تخرج عن كونها خواطر وتأملات.. من منظور شخصي قد لا تكون لها تلك

القيمة التي يأملها القارىء. اضيفت لها بعض الاحداث والمشاهد التي مررت بها في حياتي.. او كنت قريبا منها.. هذا الى جانب بعض الفصول عن سفرنا الى القاهرة في الفترة 1946/45 لاستكمال الدراسة الثانوية بمعاهدها اذ لم تكن هذه متوفرة في مدارس البحرين آنذاك.

انني ارى في هذا السفر الى القاهرة وفي الظروف التي كانت سائدة في ذلك الوقت نقطة انعطاف كبيرة في حياتي.. وحياة بقية طلاب البعثة الذين رافقتهم في تلك السفارة. وان كان هذا الانعطاف على درجات متفاوتة.

واذا كانت هذه الكتابة لا تروق للبعض.. وهم كثر او قليلون.. فان هناك البعض الآخر.. ومهما يكونون سيقرونها.

والله الموفق،

حسن على المدني

البحرين مايو 1995

يصعب على الانسان ان يتحدث عن نفسه.. واصعب منه اضطراره في مثل هذا الحديث الى ذكر وقائع وحكايات يجد فيها نفسه عاجزا ان يلم بها الماما دقيقا شاملا.. هي مشاعر واحاسيس تراكمت عبر سنوات وتجمعت خيوطها المتشابكة في فترة زمنية محدودة.. فترة يغيب فيها الوعي. اشياء كثيرة تقع كل يوم.. تذهب طي النسيان.. وتختلط فيها الموازين ولا يبقى منها من اثر.

لكن ليس من المستحيل ان تبقى بعض ذكريات تلك السنوات ماثلة في الازهان. اننى احاول ان انقل صورة - هي باهتة بلاشك - عن تلك الفترة.. واسارع للقول - بادىء ذي بدء - بان حياتى يمكن ان تختلف عن حياة الاخرين الذين ولدوا ونشأوا مثلى في ظروف هي واحدة.. بكل ما تحمله من مقومات وعوامل.

طفولتي.. ونشأتي:

انها فترة خمس او ست سنوات لا تزيد منذ رأيت النور حتى دخولى المدرسة. ذكر والدى - رحمة الله عليه - اننى ولدت بمدينة المنامة في 21 من شهر رمضان عام 1349 هجرية يوافقها 8 فبراير شباط عام 1931 ميلادية. ومسقط رأسي في بيت جدى لوالدي. الحاج ماجد بن علي بن حسن المسقطي.. الواقع بفريق «المخارقة» احد اقدم

واشهر الاحياء بالمنامة . كما ان هذا البيت كان ومايزال احد اكبر البيوت بالفريق . . وقد شهد هذا الفريق على مدى عقود طويلة ربما جاوزت القرن اكبر واغنى العائلات والاسر في المنامة . وكغيرى من اطفال الاسرة فقد جمعنا ذلك البيت الذي كان الجميع يطلقون عليه اسم «البيت العود» وقد كان يضم جميع افراد عائلة المسقطى من ابناء وبنات . . واحفادهم . وفي غرفه ودهاليزه تفتحت عيوننا اول ما تفتحت على هذه الحياة .

كانت الوشائج والعلاقات الوثيقة تجمع بين سكان هذا البيت والبيوت المجاورة حتى انك لتحسب ان جميع الاسر الموجودة فيها هي اسرة واحدة . كان هناك مجتمع الرجال . . ومجتمع النساء اما الاطفال – امثالي – فهم أينما حلوا وأينما ذهبوا . فان جميع البيوت لاتضيق بهم . ابواب البيوت مشرعة في كل وقت وحتى ساعة متأخرة من الليل . يؤمها الداخلون والخارجون دون ان يحتاج احد لطرق الابواب . انهم اسرة كبيرة واحدة تجمع بينهم التقاليد الواحدة . لم يكن هذا البيت وحده يطلق عليه . . البيت العود . ففي معظم فرقان المنامة في ذلك العهد كانت توجد بيوت مماثلة يطلق عليها هذا التعبير ولا زال هذا التعبير عالقا في اذهان الناس . . الذين مروا في حياتهم بنفس هذه الظروف . . وهم لازالوا يرددونه في حكاياتهم .

من بيوت الجيران التي كانت عامرة باهلها في تلك السنين اتذكر منها بيوتا عديدة ، لازال بعضها قائما حتى الآن . من هذه البيوت . . بيت الحاج عبدالله بن يعقوب القصاب اشهر تاجر لبيع اللحوم في سوق المنامة . وكان هذا البيت يشتمل على زربية للبقر في مدخله . وبيت الحاج يوسف بن مكّي المخرق . . تاجر اللؤلؤ المعروف . ويلاصق البيت في جهته الشمالية بيت السيد عبدالله الزيرة . . يباع الحلوى والخنفروش والزلاية . . وغيرها من اصناف الحلوة التي كان يقوم باعدادها في هذا البيت . والتي كثيرا ما شهدت مراحل اعدادها في افرانها الخاصة قبل ان تنقل الى السوق لبيعها . وفي اقصى الطريق كان يقع بيت «الكردي» وهي اسرة كبيرة العدد . . عراقية الاصل ، كما كنا نسمع نزحت الى منطقة «الاحساء» بالملكة العربية السعودية . . خلال حرب الاتراك في الحرب العالمية الاولى . كما يقع خلف البيت العود . . بيت الحاج محمد الدرازي . . وهو تاجر من تجار الاغذية المعروفين بثرائهم .

وفي الطريق المؤدي الى جهة الشرق . . بيت الحاج منصور الزيرة . المشهور ايضا بصناعة الحلوى . لم يرزق الحاج منصور باي ذرية في حياته . . لذلك عرف عنه حدة مزاجه وعصبيته الشديدين ولم يجرؤ احد من الاطفال من اهل المنطقة من الدنو الى

بيته . ويقابل بيت الحاج منصور مجلس الشيخ باقر بن احمد العصفور . قاضي الشرع الجعفري الذي كان لا ينقطع زواره ومراجعيه في كل وقت .

هذه هي البيوت المجاورة للبيت العود . وتبقى بعض البيوت التي لا تبعد كثيرا ومنها بيوت . السهلاوي . . والاقرش . . والمحروس وبيت طاهر بن رضي . . وبيت الحاج راشد . . . وبيوت اخرى يسكنها افراد من عائلة المنصور . . وتتوزع في كل حارة وزقاق .

لقد كانت حالة هذه البيوت احسن من كثير غيرها في بقية مناطق وفرقان المنامة . فقد كانت مبنية من الطين . . والحجارة . وبعضها او معظمها يتألف من دورين اثنين . . يستعمل الدور العلوي فيها خلال شهور الصيف فقط . ومعروف ان معظم بيوت المنامة في تلك الفترة كانت من بيوت السعف . . والعرشان . التي كثيرا ما سمعنا ان الحرائق كانت تلحق بها بين حين وآخر .

_____ ذكريات قديمة من أيام الصيف :

ونحن لا نزال نعيش في البيت العود . . كان يحلو لي في بعض ليالي الصيف الحارة اللاهبة . . ان أنفصل عن والدي في غرفتها بالسطح الشرقي . . والانضمام الى جدتي - رحمة الله عليها - في غرفتها بالسطح الشمالي . كانت جدتي تستبقيني معها الى الصباح حيث اشاركها النوم في سريرها .

لا أنسى ابدا ما كانت تقوم به . ولان الجو كان لاهبا كما ذكرت . . كانت جدتي تقوم برش الماء البارد على اغطية السرير وكانت تلك القطرات القليلة تحول السرير الى مكان لا يريد الانسان ان يغادره . كما كانت تقوم بنشر بعض اغصان « المشموم » ذي الرائحة النفاذه لترطيب الجو والتخفيف من الحرارة . وبالفعل كنت اشعر بسعادة غامرة وانا اتقلب في هذا السرير . استمع الى القصص والحكايات التي ترويها الجدة قبل ان يخلد اي منا للنوم . قصص وحكايات جميلة استمع اليها على ضوء النجوم المتلألئة التي تملأ السماء فوقنا . وفي الصباح تروح الجدة تحضر بعض اباريق الماء وتصبها على جسدي في

ناحية قريبة من السرير حيث تنساب الى حوش البيت المكشوف .

اتذكر ان هذه المياه التى تنساب الى الحوش كانت تثير حقن بقية سيدات العائلة في السطوح المجاورة وتروح كل منهن في معزوفة من العبارات الغريبة يتبادلنها حتى تهدأ نائرتهم .

وكانت جدتي - رحمة الله عليها . تقوم بكنس حوش البيت يوميا لوحدها دون ان يعاونها معاون في عملها وبقي هذا دأبها طول حياتها . . حتى انتقلت الى رحمة ربها .
انها للذكريات قديمة . . ولكنها لازالت راسخة في ذهني . واتذكرها كلما مررت بالبيت العود . . قبل ان يصبح اثرا بعد عين .

ذكر لي والدي - رحمة الله عليه - انه بعد ستين او ثلاث من اشتغاله بمهنة التدريس . . تم زواجه . واستقر نهائيا في البيت العود تحقيقا لرغبة مؤسس الاسرة الكبير المغفور له الحاج علي بن حسن . . الذي كان بمثابة الوالد للجميع . ثم انتقل بعد ذلك الى احدى الدور في بيت الزيرة الملاصق للبيت العود من جهته الشمالية .

وفي القسم الذي كان مخصصا لنا من هذا البيت الجديد بدأت اتفهم واعي بعض ما كان يدور من احداث وشئون حولنا . ومن الحكايات والاحداث التى كان يخصصني بها والدي في بعض الليالي الشتوية الباردة . . او الممطرة . حيث يفضل البقاء مع الاسرة ولا يخرج فيها لقضاء سهرته الليلية التى اعتاد عليها في بيوت بعض الجيران او مجالسهم . ذكر لي انه كان يحتفظ بدفتر صغير . . ويحرص عليه حرصا شديدا . . يدون فيه كل ما يمر على افراد العائلة . . او العائلات الاخرى من وقائع . . وعلى الأخص تواريخ الولادة او الوفاة . . وحفلات الزواج وغيرها من الاحداث المهمة . وكان يعتز كثيرا بهذا الدفتر . لذلك عرف عنه دقة رواياته واحاديثه فيما يتعلق بمثل هذه الشئون . لكنه - للأسف - اضاع هذا الدفتر في فترة انتقالنا من بيت الى بيت . ولم يعثر له على اثر بعد ذلك . . وقد عاهدت والدي باننى سأترسم خطاه . . واقوم بتدوين الاحاديث . . استمرارا لطريقته بعد ان يشتد عودى . وكون قادرا على الكتابة مثله .

منذ ذلك الوقت . . وكنا لانزال بعد في اوائل الاربعينيات مرت احداث كثيرة وتغيرت امور . وتتابع الحكايات . . حكاية بعد حكاية . وبقيت فكرة «دفتر اليوميات» الذي بدأت في شكل قصاصات صغيرة من الورق . . ثم ما لبث ان تطور . . وتغير حتى وصل الى ما وصل اليه . واصبح هذا الدفتر بالنسبة لى اكثر من هواية . . اعتز بها ولا ازال .

_____ اهزوجة قديمة:

اتذكر اهزوجة قديمة يرددها المشتركون في الرحلات «الكشتات» من نساء واطفال في تلك السنين الغابرة.. يقول مطلعها:

عين عذارى حلوة.. حلوة.. حلوة.

عسى «الحلايل» بلوتين وبلوة.

كلمات قصيرة ولكنها معبرة. لكن الطريف فيها كلمة «الحلايل» الذين يقصد بهم سكان الارياف. ولعلها مشتقة من كلمة «حلي.. او الحلوة» ولكن بالنظر لوجود عيون المياه الحلوة في مناطقهم وقراهم.. مثل عين عذارى وغيرها. كان يحلو لسكان بقية المناطق الذين يقصدون هذه العيون للنزهة والاستمتاع ترديد هذه الاغنية وهم في طريقهم اليها.. كنوع من الحسد او الغيرة لوجود مثل هذه العيون قريبة منهم. كيف جاءت هذه الاغنية. وماهي بقية كلماتها. لاشك انها شعبية تراثية. الى اليوم.. لا احد يعرف.

_____ حادثة غرق:

في احدى هذه الرحلات.. اذكر حادثة مؤسفة كادت ان تعصف بنا في تلك السنوات البعيدة. فقد كانت الأسرة مع بعض عائلات وأسر المنطقة التي نسكنها يقومون برحلة «كشنة» الى حمام «ابو ايهام» المتفرع من مجرى «ساب» عين عذارى الرئيسي.. حيث يقع الحمام المذكور في نهاية المجرى المؤدي بدوره الى الطريق العام.. في الجهة الشمالية من العين.

وخلال قيام الجماعة المشترين في هذه الرحلة ومعظمهم من نساء واطفال . وانشغالهم بالواجبات المتعددة التي حضروا من اجلها . . من طبخ وغسيل الخ كان الاطفال الصغار يتجولون ويتنقلون من مكان الى مكان قريب من الحمام . ولا يبتعدون عنه كثيرا حتى تسهل مراقبتهم . وكانوا لا يستقرون في مكان واحد ومن بين الاطفال الذين توزعوا في كل مكان الشقيقة رباب التي لم يتعد عمرها في ذلك الوقت عن ست او سبع سنوات . ويظهر انه اثناء تواجدها للسباحة في الساب القريب من الحمام . اخذها تيار المياه المتدفقة ولم تقو على مقاومته . وبقيت فترة من الوقت تحاول المقاومة والخروج دون ان تستطيع .

وقد صادف في تلك الساعة مرور السيد مجيد طاهر رضى «من جيران البيت العود» بالساب ومشاهدته لمنظر الطفلة رباب وهي تصارع المياه . . فما كان منه الا مغادرة السيارة التي كان قادما فيها والنزول الى الساب دون ان يخلع ملابسه وانتشال رباب . . واجراء بعض الاسعافات الاولى لها . وبذلك كان للسيد مجيد فضل انقاذ الشقيقة من مصير محقق في ذلك اليوم المشئوم .

السيد مجيد لا يزال يتذكر هذه الحادثة . . اما رباب فلا تتذكرها .

في تلك الحقبة من الزمن . . كان الاهالي من مدينة المنامة وغيرها من مدن وقرى البحرين يتجنبون ، او يعارضون في ارسال اولادهم الى المدارس . . رغم انه لم يكن منها في طول البلاد وعرضها سوى مدرسة او مدرستين اعتقادا منهم بأن مثل تلك المدارس تطبق المناهج التعليمية التي لا تتفق مع تعاليم الدين والشرعة الاسلامية . او انها تختلف عن الاعراف والتقاليد التي درجوا عليها . اعراف وتقاليد كان من الصعب ان تمس او تنتهك . وكان ينظر الى من يجروا على الاخلال بها ، او العمل على تغييرها نظرة لا تخلو من الاهانة . . والاحتقار .

كان الناس يكتفون بأن يتعلم اطفالهم . . من بنين وبنات في «الكتاتيب» الاهلية . . التي يطلق عليها «بيت المطوع» او «المعلم» او «الملا» حيث يتم تعليمهم تلاوة القرآن الكريم وحفظ ما يتيسر من اجزائه . . ومبادئ اللغة العربية . . وبصورة محدودة جدا . . الحساب والرياضيات . وذلك في مقابل مبالغ مالية زهيدة . . تدفع في نهاية كل اسبوع . هذه البيوت تضم الاولاد فقط . . وللبنات بيوتهن ايضا . . وبعضها تضم الجنسين معا حتى سن معينة . وتنتشر هذه البيوت في كل ارجاء البحرين . . وتكاد لا تخلو منها

منطقة من المناطق . وفي الماضي . . عندما يختم الطفل سور القرآن الكريم تقام له حفلة خاصة . . يقوم بتنظيمها المطوع او المعلم حيث يطوف الطفل المحتفى به . . وهو يلبس ازهى واجمل لباس يحف به اقرانه . . ومن أولاد الجيران بأزقة وحوارى المنطقة . . يرددون ما حفظوه من دروس .

ويتقدمهم المطوع وهو ينشد قصيدة خاصة . . من الشعر العربي القديم . . سمي «التحميدة» . . ويعتبر اهالي الطفل هذه المناسبة عيداً خاصاً بالاسرة . . يقدمون فيها الحلويات . . او يقيمون المآدب . . والاكالات الخاصة بالمناسبة . وتختلف طرق الاحتفال بها في بعض مناطق البحرين .

لقد اندثرت هذه العادات والتقاليد الجميلة وطواها الزمن . . باندثار هذه الكتابيب . . ولم نعد نراها الآن الا في المسلسلات التى يبثها التلفزيون بين فترة واخرى . . وبشكل مفتعل في اغلب الاحيان . . يفقدها الاصاله . . والحب .

لم ادخل الكتاب . . كغيرى من اطفال الفريق الذين اعرف بعضهم . . ولم يكن السبب في اننى لم ارغب في ذلك . . ولكن الوالد - رحمه الله - كان ينوي ان ادخل المدرسة حين ابلغ الخامسة . وقد بقيت انتظر هذا اليوم . . حتى تيسر لي دخول المدرسة . ولم يكن في هذا اي مشكلة لان الوالد نفسه كان يعمل مدرسا فيها . . والى اليوم يذكر كثير من افراد الاسر في الفريق فضل الوالد ومساعدته في ادخال اطفالهم الى المدرسة . . وما بذله طول حياته من تقديم المساعدة الى كل من كان في حاجة اليها منهم .

_____ والدي.. والاسرة:

حدثنى الوالد - رحمه الله عليه - عن حياته ونشأته الاولى فذكر انه ولد ونشأ في قرية «البلاد القديم» احدى اقرب القرى الى المنامة . وحدى اقدم واشهر مراكز العلم في البحرين . . وفي وسط اسرة صغيرة . . من والديه اخ واحد واخت واحدة . . وعاشوا جميعا في بيت صغير متواضع مبنى من الطين . . ومن دور واحد به ثلاث غرف فقط «او ثلاث دور» كما كانت تعرف . وامام الغرفتين ليوان طويل يظل البيت ويقيه حرارة الشمس . . وهطول المطر . . وحوش مكشوف يقع على احدى اركانه مدخل البيت . .

او الدهليز. . حيث يحلو لوالده «جدي» الجلوس فيه معظم وقته. . وحالة البيت هذه لا تختلف عن حالة بقية بيوت القرية. وفي الجهة الشرقية الشمالية كانت توجد مزرعة صغيرة او «دالية» تعود لاحد الجيران. وكانت البيوت عامرة بالسكان الذين تربط بينهم اواصر القرى.

لا يتذكر والدي سنواته الاولى التي عاشها في هذا البيت لكنها كما يقول كانت سنوات قاسية. . لاقى فيها شظف العيش ومرارة الحياة. وكان اكثر ما يضايقه هو الفراغ. . فلم يكن هو او شقيقه الاكبر. . محمد علي يدرسان مع اى احد. . ولم يعملوا في مكان ما. . وقد امتهن جدي في اخريات ايامه مهنة الخياطة ولم تكن تدخل على الاسرة دخلا مقبولا. . وظل يزاولها حتى وفاته. . فقد كانت مهنة الزراعة. . الى جانب بعض المهن الصغيرة. . هي المهنة السائدة بين اهالي القرية. . كما هو شأن معظم اهالي القرى في تلك الفترة. وكان الناس قانعين بما يرزقهم الله. وفي تلك الايام لم تكن مطالب الحياة كما نعرفها هذه الايام. لكن والدي وشقيقه ضاقا ذرعا بنمط المعيشة التي وجدا نفسيهما مشدودين اليها. . وكانا دائمي التفكير في ايجاد الوسيلة المواتية لتغيير وضعهما. .

اما جدي فقد كان قانعا بحياته البسيطة. . رغم تبرمه احيانا ولم يكن يغادر دهليز البيت الا نادرا. يقول الوالد ان جدي لم يزر المنامة طيلة حياته الامرات معدودة. . فلم يكن له فيها ما يشغله. وهذا ما يفسر انه لم يفكر يوما في امتلاك بيت له في المنامة. . في الوقت الذي كان فيه ذلك ممكنا. . ومن ايسر الامور.

في تلك السنين كانت قرية «البلاد» محاطة بالبساتين من جهاتها الاربع تقريبا. وتكثر المزارع والبساتين في وسطها. وهي تزخر بمتوججات وفيرة من اشجار التين والعنب واشجار «الترنج» واللومي. فضلا عن اشجار النخيل بجميع اصنافها المعروفة. وفي مدخل القرية للقادم من المنامة توجد عين «قصاري» المشهورة بمياهها الحلوة. . المتدفقة. . يقصدها الناس من كل مكان للاستمتاع بالسباحة في مياهها. كما يوجد في طرف القرية من ناحية الغرب حمام «عين ابو زيدان».

في الثلاثينيات. . والاربعينيات كانت تقام في منطقة «البلاد» سوق اسبوعية هي سوق «الخميس» جنوب الارض الفضاء المقابل لمسجد الخميس «ابو منارتين» وهي سوق عامرة كان يقصدها المئات. . للتسوق. . ومشاهدة ما يعرض من متوججات زراعية. . وأدوات يقوم بصناعتها الفلاحون وسكان بقية الارياف البعيدة. . كما يعرض في السوق. . ايضا

الابقار والماعز. . والدجاج. . وسائر انواع الطيور. . وبقية الدواجن. . والجمال. .
والحمير. . ويبيع كل ذلك باسعار زهيدة. . لا تصدق هذه الايام.

كما تشتهر القرية. . بوجود عدد من المساجد والمزارات التى يقصدها الاهالي. . لاسيما
النساء. . للوفاء بندورهن التى كانت متفشية على نطاق واسع في تلك السنين. . ومن
اغرب القصص التى تروى في هذا الشأن. . انه يوجد بقرية البلاد مسجد من غير
سقف. . وكل من يحاول ان يقوم بعملية بناء السقف يحيق به الموت. . وحاول ذلك
كثيرون وكان نصيبهم ان مسهم الضر وماتوا. . ومن يومها انتشرت الاشاعات والاقاويل
حول هذه القصة وظلت الاجيال المتعاقبة تتناقلها حتى اليوم. . ولم يتم تسقيف
المسجد. . ان الاغرب في هذه القصة هو ان احدا من الناس لم يحاول ان ينفى هذه
الشائعة. . ومن المعروف ان مثل هذه الاشاعات وامثالها تنتشر في القرى. . والارياف في
كل بلد. . وفي كل وقت.



.. ويمضى الوالد فى سرد أحاديثه.. وذكرياته ويقول
أن سكان القرية.. والقرى المجاورة لها يقصدون المنامة
لقضاء اشغالهم التى بدأت تزدهر.. وتنشأ فيها
الحوانيت.. ومرافق الخدمات.. وتدخلها الكهرباء.. ويتزايد
فيها السكان.. من جميع الطبقات.. والطوائف.

كانت وسيلة الانتقال المنتشرة اكثر من غيرها فى تلك
الايام هى الدواب.. الحمير غالباً.. وأحياناً المشى على
الاقدام.. وكان اول ما يطالع القادم اليها من القرية هو
قلعة «الديوان» او قلعة «الشرطة» كما تعرف الان..
وبعض البيوت الكبيرة.. الناصعة البياض ويسكنها
بعض افراد من اسرة آل خليفة الحاكمة.. اما اليوم فقد
زالت معظم هذه البيوت.. وأنشئ الجديد منها بصورة
يصعب حصرها وبقيت القلعة فى مكانها رابضة بعد ان
نالها التوسع والتحسين. ,,

بقى والدى مع أبيه فترة.. . كان يتوق الى تلقى العلم بأى وسيلة.. . لكن الظروف
والاحوال المحيطة بالاسرة لم تمكنه من ذلك.. . كان يتحين الفرص للانتقال الى المنامة
وزيارتها.. . وقضاء بعض الايام والليالي بالمبيت فى البيت العود.

بعد وفاة والده - جدى - الحاج حسن.. . أقدم أخوه - عمي - الذى اصبح يعرف
بالشيخ محمد علي.. . بعد نيله الشهادة فى علوم الدين والفقه.. . على مغادرة قرية
البلاد.. . مع شقيقته عمتى - فاطمة - الى قرية «جدحفص» وهو ما يزال فتى يانعا.. .
والتي لا تبعد كثيراً عن «البلاد» كانت «جدحفص» هى الاخرى مركزاً من مراكز العلم
والاشعاع.. . ويسكنها كثير من رجال العلم المعروفين بمكانتهم الرفيعة.. . وتضلعهم فى
علوم الدين.. . وشئون الحياة.. . واستقر به المقام فى القرية الجديدة.. . وتلمذ على يد

العلامة المعروف .. المغفور له الشيخ أحمد حرز ثم من بعده المغفور له السيد عدنان الموسوي .. وكان هذا العالم يتولى شئون الاوقاف الجعفرية اول ما أنشأت .. وهى وظيفة كان لها أثرها وخطرها بين الناس فى تلك الأيام .. واستطابت الحياة للشيخ محمد علي .. فى جدحفص .. وتزوج منها .. واقترن بأكثر من واحدة .. ورزق بالبنين والبنات .. وظل مقبلا بها حتى وفاته وأننى لاذكر هذا اليوم .. فقد كان بها مشهودا .. حضر جمع غفير من الناس .. من كل انحاء البحرين .. لتشييع جنازته .. ودفن فى مقبرة «عين الدار» الواقعة على طريق جدحفص الغربية .

وفى السنوات الاخيرة .. اقيمت قبة بالمقبرة المذكورة تضم رفاته ورفات من سبقه من العلماء .. ومنهم الشيخ أحمد حرز .. وقرية الشيخ سلمان حرز .. والد زوجته الاولى .. والدة ولده الشيخ سليمان أما جدى .. الحاج حسن فقد دفن بمقبرة «ابو عنبرة» الواقعة شرقى مسجد سوق الخميس .. وهى لا تزال قائمة فى هذا الموقع حتى الآن .. لكننى لم أقم بزيارتها .

قبل وفاة عمى بمدة وجيزة .. أذكر ان والدى أخذنى الى جدحفص صباح احد الايام بحجة حضور احدى ولائم الغذاء التى يقيمها عمى فى بيتهم .. وما كنت اعلم ان ذلك لم يكن سوى مصيدة .. فحين وصلت باب بيت عمى .. تلقفنى رجلان واقتادانى الى مكان داخل البيت .. حيث تمت عملية «ختان» لي بالطريقة المعهودة ، وأجريت كذلك لابنى عمى الصغيرين آنذاك .. سليمان وعبدالله .

أما الوليمة التى تحدث عنها الوالد فقد كانت فعلا صحيحة .. ففى ظهر ذلك اليوم .. اقيمت فى مجلس البيت وحضرها عدد من المدعوين ولم تقتصر هذه الوليمة على ذلك اليوم فحسب .. بل تواصلت لمدة يومين آخرين .. أننى اتذكر هذه الواقعة بكثير من الاشفاق والخوف .. وبقيت فى بيت عمى بعدها لبضعة ايام حتى تماثلت للشفاء .. وعدت الى بيتنا فى المتأمة .

لا بد لى من ان اذكر فى هذا الصدد .. ان عمري خلال هذه الفترة قد تجاوز العاشرة بقليل .. او أننى لم أبلغ بعد العاشرة .. اما سليمان فلم يبلغ بعد السنة الثانية وعبدالله .. اصغرنا لم يتعد السنة الاولى من عمره .

تواصل الذكريات والحكايات .. ويذكر الوالد انه بعد انتقال أخيه الشيخ من البيت فى قرية «البلاد» استقر رأيه هو الآخر ايضا على مغادرة البيت فيها . والسكن فى البيت

العود بالمنامة . . وفي بضع سنين قليلة راح يؤهل نفسه للتعليم . . وينكب على مطالعة كل ما تقع عليه عيناه من الكتب . . وحاول في هذه الفترة العصبية من حياته . . الالتحاق بمدرسة «الارسالية الامريكية» بالمنامة .

وقد كانت تشجع الراغبين في الالتحاق بها من ابناء بعض العائلات بشتى الطرق والوسائل . . الا ان معارضة عميد الاسرة المغفور له . . الحاج علي بن حسن المسقطي . . وقفت حائلا في طريق تحقيق هذه الرغبة . . وبدلا من ذلك كان يتردد يوميا على زيارة مجلس الشيخ باقر العصفور . . القريب من البيت . . والذي كان بمثابة مدرسة في الواقع . . لما كان يدور فيه من دروس وعظات . . تركت اثرها على تفكير الوالد وسلوكه . . بمضى الايام والسنين .

بهذا القدر المحدود من المعرفة . . يقول الوالد انه استطاع ان يشق طريقة للتقدم في طلب وظيفة مدرس بالمدرسة الجعفرية التي تم افتتاحها في منتصف سنة 1927 . . وكم كانت فرحته كبيرة . . بل لا توصف حين وصلته موافقة ادارة المدرسة على التحاقه بها . لقد كان طلب التقدم للحصول على وظيفة عامة في دوائر حكومة البحرين في ذلك الوقت محدودا جدا . . لان عدد الدوائر نفسها كان محدودا . لقد كانت هذه المدرسة هي الاولى والوحيدة من نوعها في المنامة . . اما الرواتب فمهما قيل عن ضآلتها في تلك السنين العجاف . . فأنها لا تصدق . . لقد كان مشغوبا بمهنته الجديدة وبقي يعمل في المدرسة حتى تحولها الى مدرسة حكومية . . وبقي مخلصا لها كل الاخلاص حتى آخر لحظة من حياته .

جدي:

لم أحاول يوما التوقف من سؤال الوالد . . عن السبب او الاسباب التي جعلتنا لا نملك البيت الخاص بنا . . وذلك لكثرة تنقلنا للسكن بالايجار في بيوت عدة . . وفي مناطق مختلفة فكان يرد على بأنه لا يوجد سبب سوى قلة المال لديه . . وان الراتب الذي يتقاضه من عمله . . كمدرس . . يكاد لا يكفي بالوفاء بطلبات الحياة اليومية في البيت . . وانه لم يدخر طيلة حياته فلسا واحدا يقية نكبات الحياة . . وانه لم يمد يديه طالبا الاقتراض من اى كان . . في الوقت الذي لم يرغب عن باله مسألة اقتناء بيت

خاص . . وقد لاحظت اننى من كثرة ما رددته من اسئلة فى هذا الموضوع . . ان نوبة من الحزن العميق تعتريه وتغير من ملامحه . من المؤكد . . ان صراعا قويا كان يدور بداخله . . كلما جرى على ألسنتنا هذا الحديث .

فى احدى المرات . . حدثنى الوالد نفسه عن هذا الموضوع فقال انه لم يتوان أبدا ولم يقصر . . فقد كتب طلبا الى «ادارة الطابو» المسئولة عن التسجيل العقاري . . يطلب شراء مساحة من الارض تصلح لبناء بيت للسكن وتقع قريبا من المدرسة التى يعمل فيها . . ورد عليه مستشار حكومة البحرين . . بلجريف فى رسالة بتوقيعه بعدم التمكن من بيع قطعة الارض المطلوبة لحاجة الحكومة اليها . . وبعد سنوات قليلة تغيرت ظروف الارض كما يبدو، حصل احد المواطنين المعروفين على قطعة الارض ذاتها . . والطريف ان هذا المواطن كان من طلاب المدرسة السابقين . . ربما كان من المتيسر ان يحصل والدى على الارض التى يرغب فيها لو تقدم بطلب فى موقع آخر . . فقد كانت الارض الحكومية متوفرة فى كل مكان من المنامة . . ولكن هذا ما حدث . . واننى حتى الان اذكر هذه القصة كلما مررت ببيت هذا المواطن الذى اقامه على الارض المذكورة . . او جرى بيننا حديث عن الارض . . واطعاعها فى البحرين اليوم اننى احتفظ بالرسالة التى بعث بها المستشار ضمن اوراقى .

روى والدى . . ان جدى كان فى شبابه كثير الاسفار وكانت تأخذه فى بعضها الى سواحل افريقيا الشرقية مثل زنجبار . . وبعض الجزر . . لغرض التبادل فى تجارة الاخشاب وغيرها . . وكان فى طريقه . . يعرج احيانا على سلطنة عمان . . ويظهر انه فى احد رحلاته تزوج من احدى السيدات . . ورزق منها بولد اسمه «ابراهيم» وفى مسقط . . العاصمة اشترى أرضا وبنى له بيتا عليها . . وقد رزق ابراهيم بطفلة هى وحيدته . . ومرت سنوات طويلة على هذا الزواج . . كف فيها بصر ابراهيم وبقي مقيما فى ارضه لا يغادرها حتى وفاته فى منتصف الثلاثينات . . وقد سافر عمى الشيخ محمد علي على اثر ذلك الى مسقط . . وأحضر معه الطفلة «فاطمة» وعاشت معه فى بيته فى جدحفص . قبل ان تنتقل الى العيش معنا فى المنامة . . حتى زواجها من الحاج أحمد السلمابادى فى منتصف الاربعينات حين كنت لا أزال ادرس فى القاهرة والحاج أحمد هذا . . كان يمتن صياغة الذهب . . فى بيته الواقع على عدة خطوات من «مأتم بن سلوم» بالمنامة .

كنت اسمع كثيرا عن هذا البيت الذى تركه جدنا فى مسقط . . وفى احدى زياراتى

الى سلطنة عمان . . سنة 1979 . . خطر لي ان امر بموقع البيت للاطلاع على ما آل اليه والوقوف على حقيقة الامر . . بعد طول تلك السنين . . وقد دلني جماعة من اهل المنطقة . . الى مكان البيت . . وذكروا لي انهم كانوا يشاهدون العم ابراهيم - رحمه الله - وهو يقيم حتى آخر حياته في هذه الارض التي تقع في حارة صغيرة من مسقط يسمونها «حارة البحارنة» وكان البيت عبارة عن عشة . . الى جانبها سدة «كنار» . . لكن كل اثر لذلك قد زال . . وبيعت الارض . . والجماعة لا يعرفون كيف تم ذلك . . وتحت أي ظروف . . وقد رأيت بعيني ان أرض بيت العم . . قد تحولت الى عمارة حديثة . . شغلتها السفارة الفرنسية في مسقط . . وقد أجريت بعض الاتصالات مع من أعرفهم من الاخوة العمانيين . . ومنهم المرحوم الحاج «حسن بن مكّي» وغيره من افراد اسرة «المكّي» هناك . . لكن اتضح ان موضوع المطالبة باسترداد الارض . . بعد طول هذه السنين يتطلب بذل جهود كبيرة لدى البلدية . . والسلطات الاخرى . . ومتابعة الموضوع . . ومن الجماعة الذين اتصلت بهم صاحب أحد الكراجات المهجورة بالمنطقة . . واسمه . . اسماعيل عبدالله أحمد/ كراج الشرق . . ص.ب 351 مسقط . . في تلك الزيارة التقطت عدة صور تشير الى موقع البيت . . والارض .

اذا كانت قصة هذه الارض في مسقط تبدو شائكة فأن موضوع أرض بيت جدى في قرية «البلاد» لا تقل عنها فقد سكنه أحد الافراد من سكان القرية لبضع سنين ثم بقى مهجورا . . وقد زرتة اكثر من مرة . . وقد نصح كثيرون من الجماعة الذين اتصلت بهم في شأن بيعه . . لصغر مساحته وعدم الحاجة اليه .

وقد اوكلنا ذلك كله لابن العم . . الشيخ سليمان فهو الاقدر على متابعة الموضوع والتصرف فيه . . والى جانب بيت الجد . . توجد قطعة ارض اخرى في القرية ايضا . . في منطقة تدعى «الصداعة» قريبة من بيت عبدالوهاب بن شعبان . . وجنوب مأتم «السطيح» يقال انها كانت مسكنا لجدنا الاكبر . . محمد . . والد الحاج حسن . . وهى أرض واسعة يقال ان محمد . . قتل وهو في ريعان شبابه في مدينة بومباى بالهند بعد ان أوصى ولده . . الحاج حسن في البحرين بأن يدفن فيها . . ولكن هذه الرغبة لم تتحقق . . وفي إحدى زياراتى لموقع هذه الارض شاهدت قطعة حجر كبيرة . . منقوشا عليها بعض الكتابة القرآنية لتضم قبر المرحوم محمد . . لولا الحادث الذى وقع له بالهند . . الغريب ان أحدا . . بمن فيهم والدى . . كان لا يعرف شيئا عن الاسباب التى ادت لمقتله في تلك الديار البعيدة . . وحين تحدثت الى من اعرفهم عن هذه

القصة . . وبعضهم كان من المعمرين من اهالى القرية . . ومن جيران الارض . . لم أسمع من اى واحد منهم . . ما يساعد على معرفة تفاصيل هذا الامر . . وقد سمعت من عمى - رحمه الله - ترداد مثل هذه الاقوال فى احاديثها .

أقصى نعيمة

اكبر شقيقتى سنا . . واكثر من عشت معهن عن قرب . . ربطتنى معها صلوات وعلاقات قوية منذ سن الطفولة . لم نفترق فى حياتنا العملية كثيرا . كما كان الحال مع بقية الاخوة . . والاخوات . . شهدت زواجها من المرحوم حسن وفرحنا بهذه المناسبة السعيدة فرحة عامرة اننى لا أنسى ان نعيمة كانت بالنسبة لى فى مراحل العمر المختلفة بمثابة الاخت والام . . لحنوها وطيب مشاعرها وشعورها بالعطف والاهتمام بجميع افراد الاسرة . . ورجاحة عقلها طول حياتها التى قدر لها ان تعيشها فى هذه الدنيا .

لم تتح لها الظروف اكمال دراستها لزواجها المبكر بعد ان انتهت الشهادة الابتدائية حسب الانظمة السابقة ولكنها كما تقول احدى بناتها فهى على جانب من الثقافة والاطلاع .

كانت تطالع دائما الكتب والمطبوعات الجديدة . . وكتب الشعر والادب العربى . . والقصص بشكل دؤوب لا يجاريا فيه احد منهم . . رغم مستواهم الثقافى وتخرجهم من الجامعات . . والكليات ورغم انشغالها باعمال البيت التى لا تتوقف يوما .

كانت على الشدة صبورة . . وما دخلت عليها فى بيتها يوما . . الا ورأيتها قانعة صابرة . . واذا شكت حالها وقليل ما كانت تشكو فأن شكواها لا تخلو من حكمة او عبرة ترسلها الى كل من حولها .

ان ما اتذكره من حياتها . . التى هى حياتى ايضا اشياء كثيرة لا يمكن ان تغيب عن البال ابدا . . لكن من الصعوبة ان الم بكل تفاصيلها فى هذه السطور المحدودة فضلا عن الاشارة اليها . لكنى سأذكر بعضها وفاء لذكرها العطرة التى لا تنسى مهما حاولت . . ففى ايام الطفولة عندما كنا نعيش كأسرة واحدة فى البيت العود . . قبل ان

يستقل والدانا في بيت واحد . . خلال سني الحرب العالمية الثانية . . الى ما بعد منتصف الاربعينات .

أذكر عن أختي قصة وقعت لها سنة 1940 ففى أحد الأيام . . ولا زلنا نعيش في البيت العود كانت نعيمة تلهو وتلعب في السطوح . . ودون ان تعي أو تدرك ما يجبه لها القدر . . والوضع الذى كانت تمر به في البيت في ذلك الوقت دون ان يراها احد تعلق رجلاها بشباك احد السطوح المقامة هناك .

وسرعان ما زلت دون ان تشعر بذلك مما اوقعها في سقطة سريعة في حوش البيت على ارتفاع يزيد على عشرة اقدم . ومن حسن حظها ان إحدى سيدات العائلة كانت مارة في الحوش قريبا من المكان الذى سقطت فيه نعيمة . شاهدت هذه المرأة الحادث فسارعت لنجدتها ونقلها . كما سارع من حضر في ذلك الوقت وتم نقلها الى بيت المرحوم الحاج يوسف بن مكى المخرق . . المقابل للبيت . . او الباب بالباب كما يقولون . . وقام الحاج يوسف - رحمه الله - المشهود له بمكانته وحنكته بعملية تدليك لنعيمة . وتم تجبير الرجلين . . وبالطريقة المتبعة لدى العارفين من الناس في مثل هذا العلاج المضمون لديهم في تلك الايام . . والحمد لله ان نعيمة شفيت من مضاعفات حادث السقوط بعد ايام قليلة .

في 1951 تزوجت نعيمة من المرحوم السيد حسن مهدي المسقطي . . وعاشا مع اولادهم عيشة هائلة سعيدة . . في بيتهم الجديد الذى تم بناؤه بفريق الخضر «قريبا من دار سينما اوال» وسافرا الى بلدان عديدة . فقد كان السفر هواية الاثنين .

الا انه ومنذ منتصف الستينات بدأت العلل والاسقام تتاب نعيمة مما كان يضطرها للبقاء لبعض الفترات في المستشفى . . او السفر الى الخارج لتلقى العلاج .

في صيف 1968 زاملت نعيمة في سفرة طويلة اخذتنا الى لندن . وقبل ان نصل هذه المدينة مررنا بالقاهرة . . وبيروت وفرانكفورت بالمانيا الغربية . كما أمضينا بضعة ايام في مدينة باريس . . العاصمة الفرنسية في طريق العودة الى البحرين . ونعيمة «أم توفيق» تهوى السفر . . ولطالما قامت بسفريات الى بلدان كثيرة . . بعضها للعلاج . . وبعضها للترفيه . . ومن البلدان التى زارتها . . ايران . . العراق . . وسوريا . . ولبنان . . وقبرص والهند وايرلندا وغيرها . . ولم تتوقف عن السفر الا قبل وفاتها بمدة قصيرة .

عندما أشدت بها المرض طلبت نعيمة ان تعيش مع أسرته في بيتهم . . لتقوم والدتها

بمساعدها فى اعمال البيت ورعايه الاولاد . والعودة الى لم الشمل بعد فترة التفرق التى مررنا بها بعد زواجها ، لقد امضينا فى بيت نعيمة فترة طويلة زادت على عشر سنوات . . كانت من اسعد الاوقات وأجملها . . لقد حفلت بشتى المناسبات الجميلة ، وقد رزقها الله خلال هذه السنوات بالبنين والبنات الذين كانوا جميعا والحمد لله من المهندسين والاطباء وغيرهم من خريجي المعاهد العليا وذلك بفضل تربيتها لهم التربية المثلى .

كانت أمنية ام توفيق فى حياتها ان تزور بيت الله الحرام . . فى مكة المكرمة . . وقد مكنها الله تعالى من تحقيق هذه الامنية الغالية وشرفها بزيارة هذه الاماكن المقدسة .

بعد وفاة زوجها «يرحمة الله» فى 1975 فرقت بيننا الطرق مرة اخرى كأخوة واشقاء . . ولكن بقى بيت ام توفيق الصغير فى المساحة . . الكبير فى المعانى التى يمثلها . بقى هذا البيت المتواضع هو المكان الذى يجمعنا فى المناسبات والاعياد . . لا لكونه اكبر البيوت او اوسعها ولكن لان صاحبتة ام توفيق هى من نعرف جميعا لقد بقى الجميع من أخوة واشقاء بنين وبنات واقرباء . نتبع هذا التقليد سنين عديدة حتى وفاتها . . يرحمها الله .

فى سنة 1990 دخلت نعيمة مستشفى السلمانية كما دخلته مرات عديدة قبل ذلك .

وكنتم وبقية ابنائها والاهل والاصدقاء نزورها يوميا . . وفى اى وقت وفى ليلة من الليالى كنت عائدا الى بيتنا القريب من المستشفى . . بقيت ساهرا بعض الوقت لسبب لا ادريه . . وخلافا للعادة التى درجت عليها . اتصل بى توفيق وهو اكبر الاولاد وكان اتصاله فى مثل هذا الوقت شيئا غير عادى اتصل وهو يحمل لى النبأ الفاجع بوفاة والدته وانتقالها الى ربها فى ساعة مبكرة من صباح ذلك اليوم المشئوم .

رحم الله نعيمة . . وجازاها عنا خير الجزاء واسكنها فسيح جناته وتغمدها برحمته ورضوانه ابد الابدين . . ودهر الداهرين .

انه نعم المولى ونعم المجيب السميع .



صورة تذكارية... قديمة:

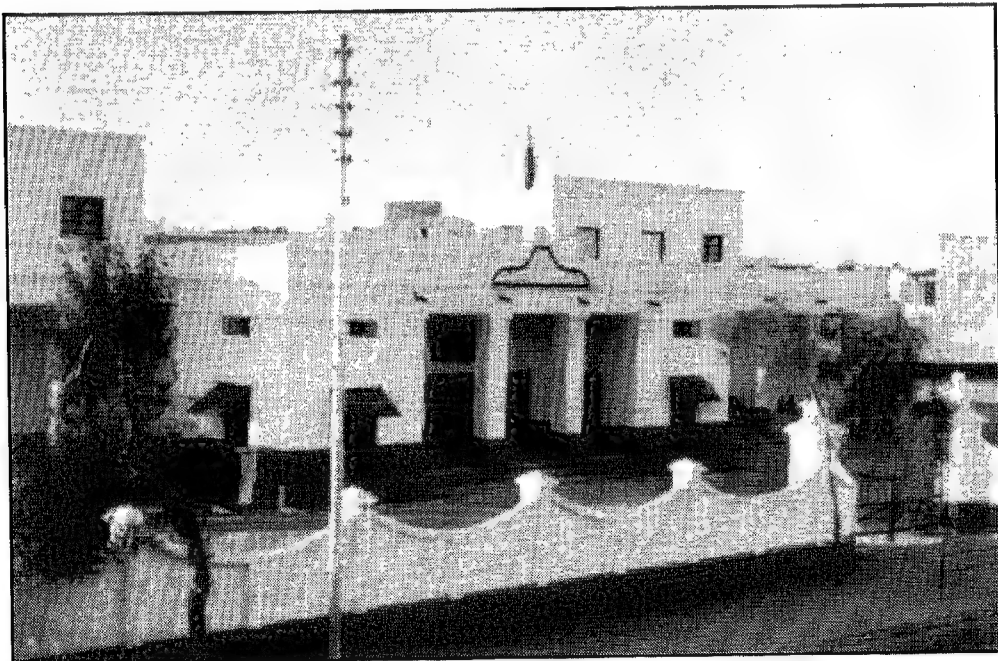
سعدت كثيرا لحصولي على صورة تذكارية.. قديمة لجدي الحاج حسن.. حصل عليها بدوره تاجر خضراوات من عمان كان يزور البحرين خلال سنة 1965. وعثر على الصورة عامل بناء في بيت العم ابراهيم بمسقط.. ملقاة تحت احدى الدعائم الحجرية خلال العمل.. والصورة محفوظة لحسن الحظ داخل اطار معدني قديم.. ويظهر فيها جدي وهو يرتدي ملابس غاية في الاناقة والقيافة القديمة.. واثنان من اخوته.. مع بعض مرافقيهم.. ويبدو ان الصورة التقطت في احد ستيوهات التصوير بمستعمرة «زنجبار» او «موزامبيق» البرتغالية.. واسم المحل كما هو ظاهر خلف الصورة.. MARCOS BRUNO, AFRICA.. بتاريخ 2 شوال سنة 1309 هجرية.. الموافق لـ 3 ابريل سنة 1892 الميلادية. ويظهر في الصورة.. جلوسا الحاج حسن بن محمد المدني.. وعلى يمينه اخوه.. حمود.. ووقف خلفهم.. صالح الشقيق الاصغر لجدي.. ثم احد الخدم من الافريقين السود واسمه «سعود خادم العم سليمان».. ثم يوسف بن مكّي «البحراني» جد انجال الحاج راشد بن علي بن حسن المسقطي. تظهر اهمية هذه الصورة النادرة في مرور اكثر من مائة سنة «قرن كامل» من تاريخها.

تمنيت.. لو قدر للوالد في حياته.. ان يطلع على هذه الصورة فمما لا شك فيه انه سيطلعنا على كثير من المعلومات عن اولئك الرجال.. وما يحيط بحياة كل منهم.. ولكن.. ليس كل ما يتمنى المرء يدركه.. كما قال شاعرنا من قديم.. وهو وان لم يكن من هواة جمع الصور.. الا انه كان يحرص — رحمة الله عليه — ان يقتنى كل ما يستطيع الحصول عليه منها.. واننى لأذكر انه احضر لي قبل وفاته بقليل.. عددا من صور قديمة جدا.. التقطت له مع بعض المدرسين ممن كانوا يعملون معه في المدرسة.. وفي

سنة ١٩٥٤ عندما ذهب الى بيروت . . في دورة دراسية قصيرة مع بعض زملائه . . عاد وهو يحمل معه اليوم صور . . ضم العشرات من الصور التذكارية . . الجميلة . .

_____ المدرسة الجعفرية.. في المنامة

قصة تأسيس المدرسة الجعفرية في المنامة . . قصة طويلة، تحدث والدي عن قصة تأسيس المدرسة الجعفرية . . فقال: على اثر تأسيس مدرسة الهداية الخليفية في المحرق خلال 1922/1919 . . رأى نفر من رجالات المنامة القيام بمبادرة لتأسيس مدرسة جديدة لابنائهم . وقد نشطوا في جمع التبرعات لتحقيق هذه الغاية . . وكانت ترعى شؤون هذه الحملة . . دائرة الاوقاف الجعفرية التي يرأسها المغفور له السيد عدنان الموسوي . من رجال الدين المرموقين في البحرين . وكانت دائرة الاوقاف ذات نفوذ قوي . . وقد تشكلت لجنة خيرية اخذت على عاتقها مشروع تأسيس المدرسة . .



■ المدرسة الجعفرية « ابوبكر الصديق حالياً في اوائل الاربعينات

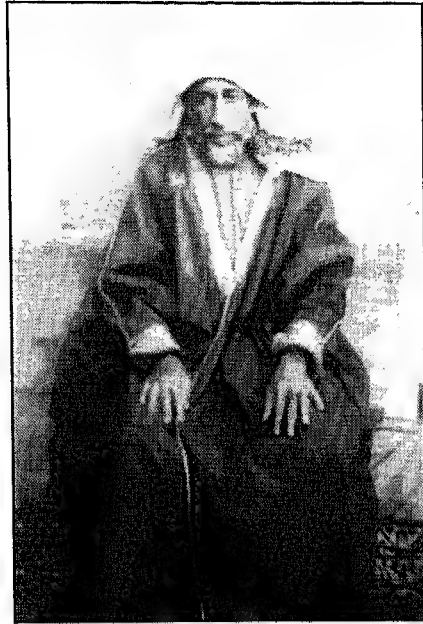
وضمت بعض الوجهاء والاعيان ومنهم الحاج عبدعلي بن رجب . . والسيد احمد السيد جواد العلوي والحاج ابراهيم عبد العال «بلاد القديم» والحاج محمد علي الابريق والحاج علي الساهيجي . . والحاج محمد بن مكّي البحارنة . . وغيرهم من اولياء امور الطلاب في المدرسة .

رأت اللجنة المسئولة تأسيس المدرسة الجديدة اولا بمنطقة البلاد القديم . . في نفس الموقع الذي تقوم عليه الآن مدرسة الخميس . . وذلك في اوائل سنة 1926 . . ريثما يكتمل بناء المدرسة الجعفرية . . في المنامة . . واطلق على المدرسة الجديدة «المباركة العلوية» وانضم اليها عدد من التلاميذ . . ومعظمهم من ابناء القرية . . والقرى المجاورة لها . . وبعد ان حصلت اللجنة على موافقة صاحب العظمة حاكم البحرين آنذاك . . المغفور له الشيخ عيسى بن علي آل خليفة . . اكتمل بناء المدرسة الذي اشرف عليه فريق من اشهر العمال والبنائين . . وكان مبنى المدرسة حديث الناس في كل مكان لجمال تصميمه وهندسته . . وكان الى جانب ذلك من أكبر المباني في مدينة المنامة . . ويقع الى الشرق قليلا من قلعة الشرطة . . بالمنامة .

في اواخر 1927 . . تعاقدت اللجنة مع هيئة التدريس التي كان جميع افرادها من العراق . وعلى رأسهم المرحوم الاستاذ محمد سعيد ال جمعة . . وعين اول مدير لها . . وهو ينحدر من اسرة مرموقة . . يقيم بعض افرادها في القطيف . . بالمنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية . . نزحت اليها الأسرة المذكورة ايام تولى الاثراك الحكم . . خلال الحرب العالمية الاولى .

في نفس الفترة تألف مجلس اعلى للمعارف برئاسة نجل الشيخ عيسى بن علي الحاكم . . هو الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة . . وكان مقر المجلس بمدينة المحرق التي كانت تستقطب اهتمامات المسئولين في البحرين بصفة خاصة . . لكن يظهر ان اللجنة المسئولة عن ادارة المدرسة الجعفرية بالمنامة . . وشقيقتها المدرسة العلوية بالخميس . . سارت في طريق لا يرضى عنه مجلس المعارف بسبب تدخل من المستشار الانجليزي . . بلجريف . .

في هذه الاثناء . . انتظمت الدراسة في الجعفرية وفق المنهاج التعليمي الذي وضعه الاستاذ محمد سعيد وبقيت اللجنة الخيرية تسير امورها . . وتلدفع رواتب مدرسيها وحث ابناء العائلات في المنامة على الالتحاق بها .



■ المرحوم الحاج عبدعلي بن رجب في أوائل الثلاثينات



■ إحدى المناسبات الهامة التي اقامتها المدرسة الجعفرية لتكريم بعض تلاميذها سنة 1927م

بدأت «الجعفرية» تشع بانوارها وأصبحت حديث الناس الذين يتناقلون اخبارها ونشاطاتها . . وما تقدمه من دروس . . لم يسمع بها احد من قبل . . وبعد عدة شهور اقترح مديرها ان تبدأ المدرسة عطلتها الصيفية وان يفوض في استقدام المدرسين . . الذين كانت المدرسة في حاجة اليهم . . وكان كل اقتراح يتقدم به ينال موافقة اعضاء اللجنة دون مناقشة . وكان من بين الامور التي تقدم بها تشكيل فرقة للكشافة . . ربما لم تكن الاولى في المدرسة او في البحرين . . بل هي الاولى من نوعها على مستوى اقطار الخليج العربي . . والجزيرة العربية برمتها . . كما يشهد بذلك كل العارفين والمهتمين بشئون التعليم . بدأت اولى الطلائع من فتيان وابناء العائلات المعروفة في المنامة ينخرطون في فرقة الكشفاء . . وبدأ افرادها يطوفون في نهاية كل اسبوع بشوارع وطرق المنامة . . وهم يرتدون بزاتهم المميزة الجميلة . . ويحملون معهم الاتهم النحاسية الموسيقية التي يشاهدها الناس لأول مرة في البحرين . . يعزفون ويرددون مختلف الاناشيد الوطنية الحماسية . . لم تكن مسيرات الفرقة تقتصر على شوارع مدينة المنامة . . بل امتدت حتى موقع المدرسة العلوية بمنطقة الخميس . حيث يتبادل طلاب المدرستين الشقيقتين التحية . . والانشيد . . ولم يتوقف الامر عند هذا الحد . . فقد حدث من خلال مسيرات فرقة الكشفاء الاسبوعية . . وفي المناسبات الخاصة . . انضمام اعداد كبيرة من الاطفال . . والشباب . . ومواكبة طابور الفرقة حينما تتوجه في الطريق .

اثارت هذه الحركة الجديدة والنشاطات غير المألوفة حنق وغيظ مستشار الحكومة . . تشارلس بلجريف الذي عين في هذا المنصب الرفيع اوائل 1926 . . ورأى انها ستترك أثارا بعيدة على رأي الناس . . لذلك اوعز الى ناظر المعارف الذي عين حديثا ايضا وهو مدرس لبناني يدعى (فائق ادهم)، وتمكينه من وضع يده . . واحكام قبضته على المدرسة . . وكانت الحجة التي برر بها المسؤولين هذا التدبير هو عجز اللجنة الاهلية المسؤولة عن ادارة المدرسة ماليا واداريا . . وتحمل الحكومة دفع رواتب المدرسين . . ومن ذلك الوقت بدأت نظارة المعارف تتدخل في شئون المدرسة وتفرض اشرافها الكامل على المناهج والانشطة فيها . . وتحولت اخيرا من مدرسة اهلية الى مدرسة حكومية . . واصبحت تعرف باسم «المدرسة الابتدائية الخليفية للبنين» .

يذكر الوالد في سرده لتاريخ المدرسة . . انه يوم افتتاحها في عام 1347 الهجري . . الموافق لعام 1927 الميلادي كان يوم عيد شعبي في تاريخ المنامة . . فقد حضر الاحتفال عدد كبير من اولياء امور الطلاب واهاليهم . . وغيرهم من المدعوين . . وألقيت بهذه



■ الاستقالة عن المدني والدة المؤلف في المدرسة الغربية أوائل الأربعينيات

المناسبة الكلمات والقصائد وقام تلاميذ المدرسة بالقاء الاناشيد التي أعدت لهذه المناسبة وعلق على مدخل المدرسة الرئيسي لوحة تذكارية . . حملت بيتي الشعر التاليين للذين يرمزان الى تاريخ التأسيس :

اشرقت من هذه الدار العلية

لبني البحرين شמוש المدنية

وسعيد الفال قد أرخها

كتب الفتح بباب الجعفرية

بقى الوالد يعمل مدرسا في المدرسة بعد تحويلها لعدة سنوات . . حتى تم نقله الى مدرسة البديع في بداية نشأتها ثم مديرا في مدرسة عالي . . الجديدة في اوائل الخمسينيات . وبقي في هذه الوظيفة حتى وفاته في ليلة الاثنين الواقع في 12 ربيع الاول 1374 هجرية . . ويوافقه 8 نوفمبر 1954 ميلادية . . ودفن بمقبرة «الحورة» بالمنامة .

لم يكن من الميسور ان تستمر اللجنة الخيرية المسؤولة عن ادارة المدرسة في تسيير الامور كما يجب . كانت اللجنة برئاسة السيد عدنان الموسوي رجل الدين الذي يسكن قرية جدحفص . وبعد وفاته انتقلت المسؤولية الى السيد احمد السيد علي السيد جواد العلوي . . الذي تولى رئاسة دائرة الاوقاف الجعفرية . وبدى ان اللجنة لم تفكر في تنمية الموارد المالية لتغطية مصروفات المدرستين في المنامة والخميس . ولم يكن امامها الا تسليم الامور الى نظارة المعارف كما تقضي طبيعة الامور . التي بدأت تنشر سلطتها على مدرستي الهداية في المنامة . . والمحررق .

لكن المؤسف في هذا الشأن هو اقدام الحكومة على تسفير الاستاذ محمد سعيد جمعة . . مدير المدرسة لا شيء جنته يده . . سوى عدم رضوخه لأوامر مستشار الحكومة . . ومعاونه اللبناني ناظر المعارف . . فائق ادهم ، ولم يقتصر الامر على الاستاذ جمعة بل شمل الابعاد بقية مدرسي المدرسة . . ومحاولة اعطاء الرأي العام صورة مشوهة عن اهداف المدرسة النبيلة .

أخبرني احد تلامذة المدرسة القدامى ان طاقم الدراسة بالمدرسة الجعفرية كان يتألف بالاضافة الى منصب المدير . . من بضعة مدرسين مؤهلين معظمهم من العراقيين . .



■ طلاب الصف الرابع الابتدائي بالمدرسة الغربية سنة 1965 م .

منهم الاستاذ عبدالقادر افندي مدرس اللغة العربية والمحفوظات . . وكان يرتدي الفيصلية او ما يطلق عليها «السدارة» وهو غطاء خاص بالرأس كان منتشرًا في العراق ايام حكم الملك فيصل الاول . والاستاذ عبدالحميد افندي والاستاذ المنشىء . . والاستاذ موسى افندي والاستاذ صالح الشارخ . وهو اسمر اللون ويظن انه من منطقة «الزبير» القرية من البصرة او انه من الكويت، وكان الوالد رحمة الله عليه هو المدرس الوحيد من اهل البحرين في المدرسة منذ ايامها الاولى .

كان التلاميذ تقديرًا واحترامًا منهم لأساتذتهم ينادونهم بكلمة (سيدي) وكان في نية الاستاذ محمد سعيد وضع خطة متكاملة للنهوض بمستوى المدرسة . . وجعلها في مستوى لائق بين مثيلاتها في البحرين . . والوطن العربي . لكن خطوة المستشار فائق ادهم . . قوضت بهذه الخطط والآمال .

ذكر لى احد التلاميذ القدامى ان المدرسة كانت تشغل احد المباني القديمة في سوق النمامة . . جنوب مبنى شركة كرى ماكنزي (مجمع يتيم الحالي) لبضعة شهور في الوقت الذي كان يشيد فيه مبنى المدرسة الحالية كان عدد الفصول محدودا . . وكذلك عدد التلاميذ لكنهم كانوا من ابناء جميع الفئات في البحرين دون تمييز . كانوا يرتدون زيا موحدًا . . هو عبارة عن بنطلون اسود وكذلك القميص . اما الغترة فقد كانت عبارة عن قطعة قياس من «الخاكي» الزيتي اللون وفوقها العقال الاسود . وبعد ان استكملت المدرسة مبناها الجديد تفرق تلاميذ المبنى القديم المؤقت . . والتحق بعضهم بمدرسة الهداية الحكومية الموجودة بمدرسة عائشة ام المؤمنين بفريق الفاضل . . . وقبل ان يتحول الى مدرسة خاصة بالبنات .

بقيت المدرسة شاحخة . . ليس بمبناها فحسب بل بعدد التلاميذ الذين التحقوا بها منذ تأسيسها وعلى فترات متعاقبة حتى اليوم . . رغم تبديل الاسماء التي حملتها منذ ذلك الوقت . . وتبديل العصور والاحوال .



„ دخلت المدرسة.. وجاءت الأيام التي تفتحت فيها عيني على
عالم جديد.. كل ما فيه يدعو للدهشة والتأمل.. والتفكير. في كل
يوم.. وفي كل ليلة.. كان والدي يقربني منه.. ويطلعني على كثير
من تفاصيل حياته.. ومشاهداته.. وكانت اسعد الاوقات لديه
حين يجلس في بيتنا.. في بعض ليالي الشتاء الباردة. يترنم
ببضعة ابيات من الشعر.. ذي نغم مميز جميل.. اذكر منها هذين
البيتين:

في سما العليا كنا انجما زهرا
قد عدلنا اذ حكمنا البر والبحرا „

ولطالما سألته عن السر في ترديده لهذا الشعر.. فكان يقول لي أنه يذكره بأيامه
الاولى.. يوم التحق بالعمل.. بالمدرسة. إنها ابيات من قصيدة شعرية.. من دواوين
الشعر العربي القديم.. في الفخر.. يرددتها تلاميذ المدرسة الجعفرية وافراد فرقة
الكشافه عندما يقيمون بعض حفلاتهم. وكان هذا وغيره مما يغريني على طلب المزيد
للاستماع له.. احاديث وحكايات كثيرة.. كان يرويها لي.. وجميعها تقريبا كانت عن
المدرسة وما يتصل بها.

لازالت المدرسة في موقعها حيث انشئت لاول مرة تقع شمال شرقى قلعة الشرطة.. ولم
تتغير في شكلها العام وان اضيفت اليها بعض الاقسام الجديدة.. ولكن منذ تأسيسها

في 1927 حملت عدة اسماء . . منها المدرسة الابتدائية الخليفية للبنين . . والمدرسة الغربية . . حتى استقر عليها اسم . . مدرسة ابو بكر الصديق . وقد كانت تضم في جنباتها خلال عهدنا . . كافة تلاميذ المنامة . . ومن مختلف الفئات والطبقات فكان فيهم ابناء المسلمين . . والمسيحيين واليهود . وكانت هي المدرسة الحكومية النظامية الوحيدة . . ولم يكن ينافسها في تلك الحقبة سوى مدرسة الارسالية الامريكية والمدرسة الاهلية الايرانية . اللتين أنشئت في البحرين قبل ذلك بسنوات طويلة .

كانت المدرسة تضم العديد من الفصول . . ابتداء من الفصل التمهيدي . . واحيانا يطلق عليه . . التحضيري حتى الفصل التاسع حسب نظام التعليم الذي ساد في تلك الفترة .

أما عدد التلاميذ . . في منتصف الثلاثينيات فلم يكن يتعدى ٣٠٠ من مختلف الأعمار والمستويات .

تولى ادارة المدرسة في نشأتها الأولى . . كما سبق ذكره الاستاذ محمد سعيد جمعة . . يعاونه عدد من المدرسين العراقيين وعدد آخر من جنسيات مختلفة . . وبعد ان تحولت ادارتها الى الحكومة تولى إدارتها الاستاذ نديم احمد حلاق . . وهو لبناني . . ثم في ايامنا الاستاذ سالم العريض . . والد الوزير جواد العريض . . واستمرت ادارته للمدرسة سنوات طويلة .

كان والدي - رحمه الله عليه - لا يزال مدرسا وقتما التحقت بالمدرسة . . بل كان من اوائل المدرسين الذين عملوا بها منذ تأسيسها . . وكان يقوم لسنوات طويلة بتقديم مادة «الفقه» للصفوف المتقدمة بالمدرسة . . ومادة اللغة العربية لبقية الصفوف . . وبقي في مزاولة هذه المهنة حتى تحوله الى مدارس اخرى فيما بعد . . وكان يزامله في التدريس بعض المعلمين الافاضل الذين اذكر منهم المرحوم الشيخ احمد بوشيت . . الذي كان من جيران بيتنا في الفريق . . والاستاذ عبدالله المهزع والاستاذ محمد عبدالرحمن المهزع . . من جيران البيت ايضا . كما اذكر من المدرسين الاستاذ ابراهيم على كانوا . . مدرب التربية الرياضية ومدير اذاعة البحرين السابق والاستاذ احمد قاسم محمود . . والاستاذ شاؤول فرايم وهو من الطائفة اليهودية . . وبيت اسرته قريب ايضا من بيتنا . كما عمل في مهنة التدريس . . مدرس يهودي آخر . . هو الاستاذ سلمان يعقوب زلوف . . وكان يتولى شئون الرياضة ولعبة كرة القدم ومن الشباب المعروفين في عالم الرياضة في

البحرين . . قبل ان يغادر البحرين ويهاجر الى «اسرائيل» بعد حوادث 1948 المعروفة . .
والتي يتذكرها الكثيرون .

وقبل سنة او ستين من نشوب الحرب العالمية الثانية في سبتمبر/ ايلول من عام 1939 . . بدأ عدد من المدرسين العرب . من سوريا . . ولبنان . . وفلسطين يتوافدون على البحرين للتدريس في مدارسها . . واتذكر منهم الاستاذ عفيف البعلبكي من لبنان وكان مسئولا عن الانضباط العام في مدرستنا . . ومدرسة الصناعة التي انشئت حديثا . . والاستاذ عارف محمود . . والاستاذ شحذة عمر . . والاستاذ يوسف الدجاني . . وثلاثتهم من فلسطين . . وقد عرف عن الاستاذ شحذة صرامته وميوله النازية وعداؤه للانجليز . . ولذلك لم يبق طويلا في عمله بمدرستنا وغادر البحرين في ظروف لا نعرفها . . واتذكر من المعلمين الاوائل الاستاذ عبد علي عباس أديبي . . نقل مديرا بمدرسة الخميس . . وكان يقوم بالتدريس الخاص خلال الاجازة الصيفية . . لقرب بيته من المدرسة .

واتذكر من اساتذتنا . . المرحوم الاستاذ ايوب حسين . . غادر بلده العراق واستقر في البحرين حتى وفاته . . وكان يقوم بمهمة الاشراف العام في المدرسة ومساعدة المدير في المدرسة . كما كان يتولى قيادة الاناشيد وادارة الحفلات . وعندما بدأت اذاعة البحرين القديمة بمنطقة «الحورة» خلال سني الحرب العالمية الثانية . . عام ١٩٤٠ تبث برامجها . . كان الاستاذ ايوب يصحبنا من بيته بمنطقة (رأس الرمان) القريبة من مقر الاذاعة . في منطقة الحورة ونقوم بتأدية بعض الاناشيد الوطنية . . والتي كان الاستاذ ايوب نفسه يقوم بتدريتنا عليها . كما زادت صلاتنا به اكثر من خلال اشتراكنا في عضوية نادي العروبة الذي كان عضوا بارزا فيه . . وحتى ذلك الوقت لم نكن نعلم ان الاستاذ سالم العريض . . مدير المدرسة . . كان يعمل مديعا في دار الاذاعة تلك . . يشاركه زميل آخر له هو المرحوم الاستاذ محمد دويغر . . رئيس نادي العروبة .

ومن اقدم الذكريات في هذه الفترة . . اننى التقيت خلال زيارتنا للاذاعة . . بالمطرب الكويتي المعروف المرحوم «عبدالله الفضالة» وكان يقدم بعض اغانيه للاذاعة المذكورة .

لم اكن قد تجاوزت التاسعة من عمري عندما نشبت الحرب العالمية الثانية (السنوات 39-1945) بين بريطانيا العظمى وحلفائها من دول الغرب من جهة . . وبين المانيا النازية وحلفائها من دول المحور . . من جهة اخرى . وكنا نحن في هذه البقعة من العالم نسمع بالاحداث . . والمعارك التي تدور بين هذه الدول . . كنا لا نزال اطفالا صغارا

على مقاعد الدراسة . . ولكننا رغم السن نعى بعض الوقائع والحوادث التى ظلت محفورة فى اذهاننا حتى اليوم .

كانت الحياة عموما صعبة فى بلدنا . وبلدان العالم قاطبة . . لازلت اذكر وأنا فى تلك السن المبكرة . . كنت شديد الحرص على شراء جريدة «البحرين» التى كان يصدرها الاستاذ عبدالله الزايد . . وفى صباح كل جمعة كنت اذهب الى مقر الجريدة الواقع بشارع الخليفة . . بالمنامة . . القريب جدا من مجمع «يتيم» التجارى . . الآن . فأشترى العدد . . بما يتوفر لدي من مصروف الجيب المتواضع . . واروح ألتهم كل ما كتب فيها من مقالات واخبار . مما كان يثير حنق وعجب بعضهم . . كما لاحظت .

لم يكن الناس فى تلك الايام يمتلكون اجهزة الراديو او يقرأون الصحف . . وكان من يمتلك راديو . . فى منطقتنا على الاقل يعدون على الاصابع . . وكان الاستماع الى اذاعات دول المحور محظورا . . وعلى الاقل اذاعة «برلين» . فى هذه الاذاعة كان صوت المذيع العراقي «يونس بحري» يلعلع فيها . . كان عمي المرحوم الشيخ محمد علي المدنى يملك جهاز راديو فى بيته . . فى جدحفص ، كذلك المرحوم الحاج ابراهيم بن علي بن حسن المسقطي . . يملك راديو . . وكنا نذهب الى مجلسه كل ليلة للاستماع الى الاخبار . كان والدى وبعض افراد العائلة . . والاصحاب يحضرون هذا المجلس ويتجادب هؤلاء الرجال الاحاديث المتعلقة باخبار الحرب . ومن الاذاعات التى كان هؤلاء يحرصون على الاستماع اليها اذاعة «بارى» الايطالية وحيانا اذاعة «طوكيو» اليابانية ، لكننى لازلت اذكر انهم فى هذه الفترة كانوا لا يثقون الا بالاخبار التى تذيعها اذاعة «انقرة» التركية . . وذلك لان تركيا وقفت على الحياد فى هذه الحرب .

من اذاعة برلين كنا نستمع الى يونس بحري . . وهو يذيع تعليقاته على المعارك الدائرة . . . ومن الكلمات والعبارات التى كان يطلقها هذا المذيع العجيب . . ولا انساها حتى الآن . . استهلاله لاحاديثه بعبارة . . حى العرب . . ثم يروح يصب جام غضبه وكلماته النارية على رؤوس قادة الحلفاء . . وزعمائهم . . لا اخفي اننى كنت استمتع كل الاستمتاع . . وانا استمع الى تلك الاخبار والتعليقات . . والتى كانت تلقى الصدى والقبول . . من قبل عدد من المتابعين والمهتمين . . الذين كانوا يوالون . . الالمان وحلفاءهم ويتمنون لهم الانتصار فى هذه الحرب .

فى المدرسة . . كنا نخشى من بين المدرسين الاستاذ عزالدين الذى كان مسئولاً عن

التمارين الرياضية . . وهو من لبنان ويقيم معظم اوقاته في مدرسة الصناعة . . ولكنه كان يحضر الينا بعد وقت وآخر . كان طويل القامة ومفتول العضل . . ومن الذكريات التي لا أنساها . . حادث وقع في مدرستنا . . كان بطله طالب من احدى العائلات . . من طلاب الصفوف العليا بالمدرسة . . وقد حدث انه في احد الايام وخلال عرض الطابور الصباحي للطلاب اراد مدير المدرسة المرحوم الاستاذ سالم العريض تأديب الطالب المذكور امام طلاب المدرسة . . لجرم ما ارتكبه الطالب كما جرت العادة في مثل هذه الحالات . الا ان عملية التأديب استعصت على المدير . . رغم ما عرف عنه من قوة وسلطة . الامر الذي استوجب دعوة الاستاذ عزالدين للمساعدة في تكتيف الطالب . . وشل حركته واخضاعه بقوة للتأديب .

هذه الحادثة الفريدة . . يذكرها الطلاب الذين عايشوا تلك الفترة . . اما سبب الحادثة ذاتها فما من احد منا يذكره الآن .

في فترة من الفترات التي مررنا بها في المدرسة . . كان يطبق على التلاميذ نوع من «التمايز» الذي لا يمكن تفسيره . ففي حصّة الدين . . مثلا كان التلاميذ في كل صف يوزعون حسب مذهبهم مهما كان عددهم . . أما التلاميذ اليهود . . او غيرهم فانه يصرح لهم بقضاء حصّة الدرس المقررة في ساحة المدرسة الخارجية . . ولكن مثل هذا الوضع لم يستمر طويلا .

كما كانت تقام الصلاة جماعية في فناء المدرسة . . عندما كان دوام المدرسة على فترتين . . وعلى الاخص فريضة العصر . ولكنها كانت اختيارية . . ومتاحة لأي تلميذ او مدرس . ورغم هذا التمايز فقد كان جميع التلاميذ يتمسك بالمبادئ الوطنية . . وعشنا طول المدة التي امضيناها في المدرسة في ألفة ومحبة . . ولا نشعر بأية فوارق بيننا . . او بين اساتذتنا . . وربما كان من بين التلاميذ من يوصم بالجهل او التعصب . . ولكن عددهم كان قليلا على اي حال .

وعندما بدأ المدرسون القادمون من الاقطار العربية يأخذون نصيبهم من الاشراف والتوجيه . . كنا - نحن التلاميذ - في طوابير الصباح . . نؤدى الاناشيد الوطنية . . مثل «حماة الديار» ونشيد «نحن الشباب» وغيرها . . وفي ضمائنا فيض لا ينضب من الاحاسيس والمشاعر الوطنية المتأججة .

من اقدم واجمل الاحداث التي مرت علينا خلال دراستنا الاولى . . حضور حفل

افتتاح جسر المنامة/ المحرق (جسر الشيخ حمد) الذي اقيم مساء احد الايام من شهر ديسمبر عام 1941. تحت رعاية صاحب العظمة الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة . . حاكم البحرين. كنت من ضمن عدد من كشافة المدرسة الذين طلب منهم القاء بعض الفواصل من الاناشيد احتفاء بهذه المناسبة وترحيبا بالضيوف الذين تقاطروا على الحضور الى مكان الاحتفال. في هذا الاحتفال اذكر ان الشاعر . . عبدالرحمن المعادة الذي كان يطلق عليه شاعر الشباب ألقى قصيدة لاقت استحسان كل من حضر هذا الاحتفال .

قبل انشاء الجسر . . كان الانتقال الى جزيرة المحرق وزيارتها يعد من اصعب الأمور التي يعانها الناس . . وكانت وسيلة النقل الوحيدة المتيسرة هي «العبرة» التي يتنقل فيها العابرون في كل رحلة بين المنامة والمحرق لقاء مبالغ زهيدة . . لكنها تتوقف عن العمل ليلا . . الا في ظروف غير اعتيادية . كنت سعيد الحظ اذ اتحت لي فرصة ركوب «العبرة» مرة واحدة في حياتي . . وقبل ان تتوقف نهائيا . مع بعض زملاء المدرسة . . لحضور حفل زواج لاحد اقرباء بعض التلاميذ . . اقيم حينها في احدى مناطق المحرق وعدنا الى المنامة عن طريق الباص .

في تلك الايام كان مجرد التفكير في زيارة الى جزيرة المحرق حدثا يستحق الاهتمام . . فلم يكن يقدم عليه الا الافراد الذين لهم مصالح او تجارة . . او الذين تربط بينهم العلاقات العائلية . . وكل هؤلاء كانت اوضاعهم المالية . . والاجتماعية تساعدهم على ذلك . . اما ما عداهم فلان التنقل بين الجزيرتين يعد مخاطرة . . او مغامرة يجب ان يحسب لها حسابها .

من ذكريات المدرسة القديمة . . زيارة تفضل بها صاحب العظمة الشيخ حمد الى مدرستنا خلال شهر يناير من عام 1942. واتذكر ان المرافقين الذين كانوا في معية الحاكم . . كانوا خلال هذه الزيارة يحملون على ايديهم طيور «الشواهين» . . والصقور التي يظهر انهم عادوا بها من احدى رحلات الصيد . . كنت يومها في الفصل الثاني الابتدائي . . وطلب مني الاستاذ أيوب القاء قصيدة . . ترحيبا بمقدم الشيخ ومرافقيه .

من الذكريات التي لا تنسى خلال عهد الشيخ حمد الاحتفالات والافراح التي كانت تقام في البحرين بمناسبة عيد الجلوس . . وفي الساحة المواجهة لقصر القضيبة تنتشر الاعلام واقواس الزينة . . المزدانة بسعف النخيل والشرائط الحمراء والبيضاء التي تمثل

علم البحرين . . وتضاء الانوار الكهربائية بألوانها الجميلة في كثير من الشوارع . . والطرق وتترفع الاعلام على كثير من البيوت . . والادارات الحكومية . . وكان من ابرزها مبنى بلدية المنامة القديم . . ويبلغ ذروة الاحتفالات بهذه المناسبة . . جولات صاحب العظمة في اسواق المنامة في سيارة مكشوفة يحف بها الحراس وهم يرتدون ثيابهم المزركشة او «الشلحات» العربية . . ويتبع سيارة الحاكم رتل طويل من السيارات الفارهة التي يستقلها افراد من الاسرة الحاكمة او رجال الحاشية . . وتطوف هذه السيارات اسواق المنامة التي تفتح متاجرها حتى وقت متأخر من ليالى الاحتفالات . . ويهرع الناس لمشاهدتها . . وسط بهجة وفرح بالغين .

استمرت هذه الاحتفالات سنتين او ثلاثاً . . ثم توقفت بوفاة الشيخ حمد في وقت ما من عام ١٩٤٢ . . وتولى نجله الاكبر الشيخ سلمان بن حمد مقاليد الحكم في البلاد . . وقد عطلت ادارات الحكومة . . والمدارس ثلاثة أيام حدادا على وفاة الشيخ حمد . . واتذكر . . ان رجال الشرطة ارتدوا شارات سوداء علق في ستراتهم الرسمية . . واقيمت حفلة تأبين (اربعية) في حديقة بلدية المنامة (الباخشة) أقيمت فيها الكلمات والقصائد الرثائية . . كان من بينها كلمة للاستاذ محمد خير الدين الجبال . . احد المدرسين المعروفين آنذاك . . وقصيدة القاها فضيلة الشيخ عبدالحسين الحلي . . قاضي التمييز الجعفري .

حضرت هذه الحفلة . . برفقة الزميل . . عبدالحמיד الشتر واستمعت للكلمات والقصائد التي أقيمت فيها .

كان يواكب الاحتفالات بعيد الجلوس السنوي . . اقامة مهرجان رياضي كبير على ساحة قلعة الشرطة بالمنامة . . يشترك فيه افراد الشرطة . . من مختلف الرتب من المراكز . . وينضم اليهم عدد من طلاب المدارس الحكومية . . وفي هذا المهرجان الذي تحضره جماهير غفيرة من المشاهدين . . وتجري فيه ألعاب رياضية عديدة . . مثل الجري لمسافات طويلة . . والعباب الوثب العالي . . ومباريات في لعبة «شد الحبل» التي تستحوذ على اهتمام الحاضرين . . وعدة فقرات مشوقة من بينها لعبة «الخوض المدهون» يتبارى فيها شرطيان متقابلان على اللوح . . وقد توقف هذا المهرجان . . وانتقل بعد سنوات الى المحرق . . على ساحة مدرسة الهداية . . ويقتصر على طلاب المدارس . . ثم بعد سنوات اخرى . . توقف المهرجان نهائياً .

في سنة ١٩٤٠ وما تلاها من سنوات . . تصاعدت المعارك في الحرب الدائرة بين

الحلفاء . . ودول المحور. وكنا في كل يوم نسمع ان المانيا قد اجتاحت بلدا جديدا من بلدان القارة الاوروبية . . وفي غضون سنة او سنتين انتقلت الحرب الى الاتحاد السوفيتي . . وظهرت جبهة جديدة في شمال افريقيا . . ثم معركة «العلمين» المعروفة على الحدود المصرية. هذا في الوقت الذي وصلت فيه اليابان . . المحيط الهندي . . بعد اجتياحها لمعظم بلدان جنوب شرق آسيا . . كما اشتدت المعارك الجوية على العاصمة البريطانية . . لندن. وكنا نسمع في نشرات الاخبار التي يتم التقاطها في البحرين . . او ما يرد من صحف . . ونشرات دعائية. اسماء الكثير من اسماء القادة . . والعسكريين . . واسماء الزعماء. ونهرع الى ما يتيسر تحت ايادينا من خرائط جغرافية . . واطالس للتأكد من مواقع المدن . . والمناطق التي ترد في الاخبار.

ومع اشتداد المعارك على جميع الجبهات . . اصبح من المتعذر استيراد البضائع . . والمواد الغذائية . . لتوقف خطوط الملاحة البحرية بين البحرين وغيرها من بلدان العالم. بدأ التجار يجأرون بالشكوى . . وسيطرت حالات من البؤس والمعاناة والحاجة تعم كافة طبقات الناس. مما حمل الحكومة في البحرين . . وفي غيرها من بلدان الخليج على سن القوانين التي تكفل توزيع المواد التموينية من الرز والطحين والدهون وغيرها واطلق الناس على هذه الفترة العصيبة التي مرت بالبلاد «زمن البطاقة» وظلت هذه التسمية منتشرة في البحرين يتداولها الناس فيما بينهم حتى وقت قريب.

ولما تفاقمت الأمور . . واشتدت حالات البؤس انشأت الحكومة ادارة جديدة ملحقة بإدارة الجمارك في النمامة . . وعهد الى عدد من موظفي الادارات . . والمؤسسات بالعمل فيها . . وكان والدي - رحمه الله عليه - واحداً من الذين عملوا في تلك الادارة . . بصورة مؤقتة . . خلال اجازة المدارس الصيفية . . وعلى الرغم من الشح في توزيع المواد الغذائية . . وعلى الاخص الرز والسكر فقد كان بيتنا عامرا بها لبعض الوقت . . وكان الوالد يساعد بعض الجيران وبعض معارفه . . الذين كان يحضر بعضهم الى البيت لهذا الغرض لكننا ايضا لم نسلم - كغيرنا - من طائلة الجوع والحاجة. ومرت علينا ايام وليال طويلة . . لم نذق فيها الطعام.

ومن القصص المتصلة بأيام الحرب . . قيام دائرة المعارف بتوزيع ألبسة قطنية من نوع «السواحلي» الخشن على تلاميذ المدارس المعوزين والفقراء . . اسهاما منها في مساعدتهم، فقد انقطع استيراد الاقمشة وغيرها . . ولم يعد ممكنا بيعها في الاسواق العامة . . كما سببت الحرب وجرت الويلات على كثير غير الاغذية والالبسة. وبرزت

جهود الوالد في ذلك، حين احضر الى البيت ماكينة خياطة وظل يعمل عليها اياما طويلة لتجهيز بعض «الثياب» وتوزيعها على تلاميذ المدرسة او غيرهم من ابناء الجيران.. والمحتاجين.

كما تعذر الحصول على التمر.. وهو ايضا مادة اساسية لا غنى عنها لدى الكثير من الناس. فقد انقطع وصولها من ميناء «البصرة» في العراق. وكانت هذه هي البلد التي درج سكان الخليج.. وربما غيرهم من اقطار اخرى.. على الحصول على التمر الذي تشتهر به.. وكانت بادرة كريمة من جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود.. ملك المملكة العربية السعودية ان قدم شحنة كبيرة من التمر.. تم توزيعها على اهالي البحرين.. وبلغت كميتها كما سمعنا 150 ألف كيس.. او «قلة» كما يعرفها الناس. وقد انقذت هذه المساعدة الكريمة آلاف العائلات والاسر في البحرين.. وكان لها الصدى الطيب في نفوسهم. وكان الطحين ايضا.. بما عز وغلا ثمنه. وكان الاهالي يتسلمون الكميات المعطاة لهم من ادارة التموين. ويقومون بعجنه واعداده في بيوتهم.. ثم يأخذونه الى احد الخبازين في مناطقهم لاعداد خبزه. وكان الناس يتجمعون في هذه المخابز.. ويتداولون الاخبار.. ويثون شكواهم وهمومهم. واننى لأتذكر.. الخباز الذي كنا نتعامل معه في منطقتنا وهو المرحوم.. الحاج مهدي طربوش. وكان محله يقع في شارع الشيخ عبدالله.. وفي هذا المحل كنت استمع الى ما كان يدور من قصص.

وفي تلك الايام ايضا.. انتشرت بين الاهالي وجبة لم يكونوا قد تعودوا عليها من قبل.. وهى وجبة «الجريش» التي كانت عبارة عن حبات القمح الصغيرة التى يتم جرشها وتكسيها.. وكانت بالنسبة لغيرها من بقية المواد الغذائية.. متوفرة في كل مكان.. وبأسعار زهيدة. وبدأت كثير من العائلات في البحرين.. بها فيها العائلات الكبيرة.. والغنية في استعمال وجبة الجريش.. في وجباتها اليومية واستمرت بينهم فترة طويلة ثم نسوها في وقت من الاوقات. وعادت للظهور مرة اخرى في سنوات الرخاء الاخيرة.. لحنين الناس اليها في ايام الشدة ولعرفتهم ايضا بقيمتها الغذائية.

خلال شهر ابريل 1942 شنت الطائرات الايطالية القادمة من اراضي مستعمرة الصومال في ساحل افريقيا الشرقي.. غارة جوية وكان هدف الغارة تدمير مصافي النفط الموجودة في جنوب البلاد. وعلى اثر هذه الغارة دب الهلع بين الناس. وبدأوا في كل مكان ذهبوا اليه يتحدثون عن امكانية ايجاد المكان الآمن الذى يقيمهم من شر مثل هذه الغارات اذا ما اتضح انها ستتكرر. ومع ان هذه الغارة لم تسبب في موت احد.. الا

انها تركت اثرها العميق في نفوس الناس . فقد اصدرت دار المستشار (الحكومة) اعلانا رسميا نصحت فيه الاهالي بالانتقال من بيوتهم الى اماكن اكثر امانا في مناطق البلاد الاخرى وتأمينا لحياتهم من خطر هذه الغارات . سارعت بعض العائلات والجماعات في الانتقال بالفعل . ومنها اسرتنا الصغيرة آنذاك . انتقلنا الى قرية «جدحفص» حيث يقيم بها عمي المرحوم الشيخ محمد علي ، ونزلنا لبضعة ايام في قسم من بيت السيد عدنان الموسوي وهو بيت كبير يجاور بيت عمي . . وتتوفر فيه الغرف والمرافق المطلوبة قياسا لغيره من البيوت الموجودة في القرية . . وكان يربط بين هذين البيتين عمر صغير يتيح للداخل والخارج بينهما دون اي عناء او مشقة . . وفي خلال المدة القصيرة التي امضيناها هناك . . كان يزورنا جدي . . المرحوم الحاج ماجد لتسليتنا والاطمئنان على احوالنا . لكنه — رحمه الله — لم يكن يتحدث عن الاخبار التي كان الناس يتحدثون عنها في تلك الايام .

من جملة الاحتياطات التي اتخذتها الحكومة لانتقاء خطر الغارات الجوية . . انها اصدرت اعلانات علقت على لوحة الاعلانات بمبنى بلدية المنامة . . وغيرها من المحلات تقضى بتعتيم الانوار في البيوت ليلاً وعدم ترك نوافذها مفتوحة . كما شمل الاعلان طلاء انوار السيارات باللون الاسود . وقد استمر العمل بهذه التعليمات فترة من الوقت . . الى أن انقشعت مخاوف الناس . . وزال الخطر .

تواصلت انباء المعارك في جميع جبهات القتال . . ويدى ان ميزان النصر يميل لصالح الحلفاء . . الا ان ذلك لم يضعف من رغبة الحكومة في الاخذ بوسائل الوقاية من خطر الغارات الجوية . . فقد قامت في الشهور الاولى من سنة 1942 ببناء عدد من الملاجئ في مناطق محددة من البلاد . . واتذكر من بينها الملجأ الذي انشئ في الاراضي الخالية الواقعة جنوب مدرسة الصناعة . . ومدرستنا . كما قامت بتركيب «صفارة للانذار» في احدى العمارات الموجودة قريبا من فرضة ميناء المنامة . . وبدأت في تشغيلها على سبيل التجربة حتى يتعود السكان على صوتها . . ويلجأون الى تلك الملاجئ متى ما شنت غارات جديدة . . كانت هذه الملاجئ عبارة عن خنادق محفورة في الأرض . . مستطيلة الشكل بعمق ثلاثة او اربعة اقدام . . وضعت على جوانبها اكياس مملوءة بالرمال على ارتفاع قدم او قدمين لكي تمنع تساقط شظايا القنابل ووصولها الى داخل الخندق . . ولكن تلك الحفر لم تكن محمية . . من ناحية السقف فقد كانت مكشوفة . . كنا نلاحظ ان الناس . . من الرجال والاطفال الذين يصادف ويمرون بهذه الخنادق يتتابهم الخوف

والهلع من رؤيتها . . وكانوا يقولون لبعضهم انها القبور.

اما تلاميذ مدرستنا . . فقد كان يستولى عليهم الفرح والابتهاج كلما سمعوا صفارات الانذار وهى تنطلق . . لم نكن ندرك ذلك الوقت حجم الاخطار التى يمكن ان تتسبب فيها الغارات . . وكنا لا نتوقف عن توجيه الاسئلة والاستفسارات الى المدرسين او الى بعض تلاميذ المدرسة الذين يكبروننا في اعمارهم ، وفي خلال تأدية التجارب على اللجوء الى الخنادق في ساعات الخطر كان يحضر الى المدرسة عدد من رجال الشرطة . . وكلهم من الهنود . . لمساعدة المدرسين الذين كلفوا بمهمة التدريب . . وتطبيق الطرق الصحيحة . . وفي مرة من المرات اتذكر ضابطا انجليزيا . . رفيع الرتبة . . كان يتكلم بعض الكلمات العربية اصدر أمره بمغادرة الملجأ . . بل المدرسة ايضا . . والعودة الى بيوتنا . . وعدم التوقف فى الطريق . . دون ان نعرف الاسباب . ولعلمهم كانوا يتوقعون حدوث غارة محتملة في ذلك اليوم . ولكن - حمدا لله - فانه لم يقع شئ من ذلك .

خلال معارك الحرب مع اليابان . . تعرضت احدى الغواصات او السفن الحربية اليابانية . . كانت تجوب المحيط الهندي . . او قريبا من سواحل بحر العرب الى ضربة قاصمة من سفن الاسطول البحري البريطاني . . أدى الى غرقها وتدميرها . . وترامى الى اسماعنا ان البحارة العاملين فى الاسطول . . استطاعوا ان ينتشلوا حطامها ونقل ما استطاعوا نقله من محتويات ومعدات بداخلها واحضارها الى البحرين . وكان المكان الذى اختاره المسئولون لتخزين تلك المحتويات والمعدات يقع قريبا من مبنى «دار المجانين» غرب قلعة الشرطة . . بالمنامة . والجهة التى اشرفت على هذه العملية كانت بلدية المنامة . وقد علمت بهذه القصة من الزميل فى المدرسة . . عبدالحميد محمد صالح الشتر . وقد قمت معه بزيارة او زيارتين الى المكان الذى تم تخزين المحتويات فيه وشاهدنا فيه كثيرا من المعدات والادوات . . ومن بينها مطارق حديدية وأوانى للطبخ . . ومقابض ومشابك وغيرها . وخلال تجوالنا فى المكان وتنقيبنا فى المحتويات عثرنا على صندوق معدني صغير يضم ألبيومات صور لعدد من الممثلات الأمريكيات خلال سنة 1933 . من النوع الذى يستعمل فى لعبة الورق المعروفة . ولازلت احتفظ بعدد من هذه الصور . اما بقية الاشياء فقد ضاعت منى منذ زمن طويل .

فى سنة 1942 . . تفشى فى البحرين وباء لم يعبأ الناس به فى بادىء الأمر . . ورأت دائرة المعارف ان تقوم بتطعيم جميع تلاميذ المدارس ضد هذا الوباء لوقايتهم من الآثار المترتبة على الاصابة به . وفى يوم ما من ذلك الصيف حضر الى مدرستنا عدد من

الاطباء والممرضين الهنود . . وطلبوا من ادارة المدرسة اخضاع جميع التلاميذ لعملية التطعيم التى جاءوا لاجرائها . انتشر الخبر بسرعة بين التلاميذ . واغلقت ابواب الفصول واحكمت النوافذ . . وطلب من التلاميذ التخلص من ملابسهم والتقدم واحدا بعد واحد الى الغرفة التى تجرى فيها العملية . بعض التلاميذ قاوموا بشدة هذا الطلب . . وتسلسل هاربا من المدرسة . . حتى ان بعضهم لم يحضر فى اليوم التالى ظناً منهم ان عملية التطعيم مستمرة .



.. الذكريات الجميلة أيام المدرسة كثيرة.. وهي تكاد لا تنتهى .. لقد غاب فيها الكثير.. وبقي في الذهن بعضها. حادثة تاريخية وقعت خلال السنين الاولى لالتحاقى بالمدرسة وبقيت منطبعة في ذهني حتى اليوم.. هذه الحادثة.. هي الحريق الكبير المدمر الذى وقع بأسواق الخضرة والعمارات.. بالمنامة. ،،

في ليلة من شتاء عام 1938 كما أظن . . شب حريق هائل في سوق الخضرة . . وفي عمارات الخشب المقامة شمال مبنى بلدية المنامة القديم . . وسوق اللحم . وأتى الحريق على عدد كبير من المحلات والدكاكين . . وجميع المخازن الموجودة في المنطقة . ورغم الجهود الكبيرة التى بذلها رجال الشرطة والاطفاء لاختفاء الحرائق التى انتشرت في كل ركن وزاوية . فان النيران ظلت مشتعلة الأوار لمدة ثلاثة أيام متواصلة . . كان الناس من اصحاب الدكاكين . . او غيرهم . . يتقاطرون على المكان لمشاهدة الاثار التى خلفها الحريق الكبير . بقيت اخبار هذا الحريق حديث الناس في البحرين . . سنوات طويلة . . حتى انها ظلت لدى بعض الناس . . يؤرخون بها كل ما وقع لهم من احداث .

تذكرنى حادثة الحريق . . بمعلم من معالم مدينة المنامة التى اندثرت الآن . . فقد كان يوجد في الطريق العام المؤدى الى مدرستنا . . مصطبة من الحجر المبنى على ارتفاع قليل اقيم عليها جرس نحاسى كبير الحجم وثقيل الوزن . . مربوطا الى خشبة عالية في اعلى

المصطبة . . كان يهرع اليه احد الرجال المكلفين من قبل البلدية . . والمقيمين في المنطقة . . ويشرع في طرق طرقات عالية متواصلة في حالة وقوع حريق بالمنطقة او غيرها من المناطق ضمن حدود مدينة المنامة . لقد ازيلت هذه المصاطب من مكانها . . واصبحت ذكرى قديمة لا يتذكرها كثيرون .

في ركن صغير من زاوية المدرسة . . الشمالية الشرقية كان يفترش الارض بقال عجوز لبيع ما يجلبه معه من فواكه ومنتجات زراعية رخيصة يبيعها لتلاميذ المدرسة . وكان هؤلاء التلاميذ يقبلون على شراء هذه الاصناف خلال الاجازة القصيرة بين كل حصة . . وحصة . . او خلال انصرافهم الى بيوتهم في نهاية الدوام الرسمي بالمدرسة . كانت الاصناف المعروضة تستهويننا جدا . مثل اللوز السكندري . . والكنار . او الصبار الهندي . . الاحمر اللون . او احيانا الطروح والرمان .

سوق الأربعاء :

سوف يبقى هذا السوق الذى يحمل هذا الاسم ماثلا في اذهان كل واحد منا شهد تعاقب العهود . انها واحد من الاسواق الشعبية القديمة التى تقام بصورة منتظمة في يوم الاربعاء من كل اسبوع . وسوف تظل ذكرى هذا السوق لدى اي منا . . على الرغم من تغير كثير من انشطته وفعالياته . . وعلى الرغم من انتقاله من مكانه الاصلي الى امكنة اخرى متعددة . . كما شهدنا في السنوات الاخيرة .

في ايامنا . . وما قبلها . . وحتى الستينات كانت فعاليات السوق تقام اسبوعيا في الساحة الشمالية امام مبنى بلدية المنامة القديم . وقبل انتقاله الى مبناه الحالي المقام على ساحل البحر من الجهة المقابلة من شارع البلدية نفسه .

كان بيتنا لفترة من الفترات تزيد على 15 سنة يقع جنوب مبنى البلدية . ولذلك فان الانتقال الى السوق ومشاهدة ما يجرى فيه من أنشطة ومعاملات . . من ابسط الامور وأسهلها . وكانت البلدية بمبناها الضخم الشامخ تتوسط مدينة المنامة . ويجاورها العديد من الاسواق . التى لازالت بعضها يزاول عمله . بينما اختفت كثير من المعاملات التى كانت ولازالت قائمة حتى سنوات قليلة .

الى الغرب من مبنى البلدية تقع «جبرة» سوق اللحم . وشمالها توجد دائرة النواير . وهو الحرس الليلي في البحرين واسواقها وقد كان لهم شأن واي شأن في تلك السنين . والى الشمال من هذه الدائرة القديمة العهد كانت توجد «حوطه الحمير» التي كانت مزار تعليق كل من قدر له مشاهدة ما كان يجرى فيها من حركات . . سواء بين الحمير نفسها . . او بين اصحابها . بعض هذه الحمير كانت معروضة للبيع . وهى تلقى رواجاً كبيراً فحتى ذلك الوقت كانت الحمير احدى وسائل النقل المعروفة في البحرين .

تضم السوق كثيراً من الفرشات . . التى تعرض فيها مختلف اصناف الخضر والفاكهة . . واصناف الحلوى والتمور والرطب اذا صادف وقوع مواسمها في هذا الوقت .

ويتنشر في جوانب الساحة العديد من المحلات التى تزاول بيع الابقار والاغنام . . واسراب البط والدجاج . . والطيور بأشكالها . . وعلى الاخص الحمام . والبلابل والعصافير المغردة وغيرها . كما تنتشر في السوق فرشات تأخذ شكل «العمارات الهرمية» التى يبيع اصحابها انواع العطور والبخور بأشكاله . وهذا النوع من المعاملات يتوافد عليها باعة من السيدات من اهالي الرفاع والبديع .

وفي مناطق قريبة من هذا السوق الكبير ينتشر الحمالون والحلاقون والباعة المتجولون الذين يبيعون اصنافاً لا تخطر على بال . لقد كان الحمالون وهم يتنقلون في السوق من مكان الى آخر يحملون معهم آلة (الجراخية) وهى آلة من الخشب لسن الموس . . وقد انتقلت الى البحرين كما يعتقد من الهند . وقد اندثرت هذه الآلة الآن ولم يعد يتذكرها احد الآن .

وفي جوانب اخرى حتى شمال الشارع الرئيسية تقوم «عمارات» تباع الاخشاب ومختلف اللوازم التى تدخل في مهنة البناء . والى جانبها أيضاً دكاكين تباع الاواني الفخارية من «ججال» و«غراش» وجبوب الماء . . وغيرها . الى جانب كل هذا الحشد من المعروضات . . والخدمات يصطف عدد من سيارات الاجرة وبعض عربات الحافلات او الباصات المحلية المصنوعة هياكلها من الخشب . وهى تنقل ركبها الى انحاء متفرقة من البلاد .

في يوم الاربعاء . . وخلال احتدام الحركة في السوق . . وعلى مدى اسابيع طويلة . . يحضر لزيارة مبنى البلدية سمو الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة رئيس البلدية حيث يأخذ مكانه المختار في الرواق الشمالي المطل على الساحة . يستقر الشيخ وحاشيته على

الكراسي الوثيرة التى صفت فى الرواق. يشاهدون ما يجرى من نشاط بمناظيرهم المكبرة. كما تعقد بعض اللقاءات مع رئيس البلدية من قبل بعض المراجعين من اعضاء المجلس البلدى او التجار او المواطنين. . والذين تربطهم مصالح خاصة مع البلدية. لم يكن الشيخ عبدالله هو الوحيد الذى يحضر مثل هذه اللقاءات. . بل يحضر ايضا بعض افراد العائلة الحاكمة وافراد من الحاشية التى ترافق الشيخ فى جولاته.

كانت ساحة البلدية تتحول فى يوم الاربعاء الى ما يشبه الكرنفال. . حيث تتعالى اصوات الناس ويختلط الحابل بالنابل. . والرجال بالنساء. ويتدافع كل واحد منهم فى كل حذب وصوب. وتظل الحركة على اشدها حتى ساعة الظهيرة حين يتفرون ويذهب كل فرد الى الوجهة التى ينشدتها وتهدأ الحركة الصاخبة.

اخيرا. . نصل الى نقل معلومة هامة تتصل بسوق الاربعاء ولا يتذكرها الكثيرون.

فى بعض الاسابيع وليس فيها جميعها يحضر المسئولون من جهاز الأمن والشرطة بعض المساجين الذين حكم عليهم بالجلد لمخالفات او جرائم ارتكبوها. . ويجرى توقيع هذه العقوبة عليهم. كان الناس يحرصون على حضور هذه المناسبة ومشاهدتها. بعض المساجين كان يغطى وجهه بقناع او غتره حتى لا يتيح الفرصة للمشاهدين من الناس التعرف عليه.

كان السواح والزوار الاجانب يحرصون على حضور سوق الاربعاء كل اسبوع والنقاط الصور التذكارية وشراء ما يرغبون فى شرائه من معروضات. . والتى كان بعضها ذو قيمة كبيرة اذ كانت من قطع «الانتيك» الثمينة. اما نحن وللاسف الشديد فقد كنا لا نملك كاميرا للتصوير.

ورغم ان الاشياء التى نشتريها من البقال العجوز لا تزيد فى قيمتها عن آنة او آنتين (٢٠ فلسا تقريبا) الا ان مثل هذا المبلغ الزهيد. . كان يمثل وقتها مبلغا لا يستهان به. وقليل هم التلاميذ الذين يحصلون على آنة او آنتين. كمصروف جيى لهم فى تلك السنين. . اين منها. . مصروفات هذه الأيام.

فى اول عطلة ربيعية تجرى فى البحرين. . اوائل 1943 نظمت دائرة المعارف رحلة لطلبة بعض المدارس الى منطقة «سافرة» التى تقع فى منحدر الطريق المؤدية من الرفاع. . الى منطقة «العوالى» مدينة النفط كما كنا نطلق عليها فى تلك الايام. . اشترك فى هذه الرحلة عدد كبير من طلاب المدارس فى المنامة. . والمحرق. . وكان طلاب

مدرسة الصناعة اكثرهم عددا.. اقيم في المكان الذى تم تحديده مخيم كبير. كانت الارض جرداء قاحلة.. لكن كانت توجد مزرعة على الجانب الاخر من الطريق.. كما كان يوجد في طرف من ارض المخيم بئر ماء غزيرة.. كان العاملون والطباخون الذين رافقونا في الرحلة يجلبون المياه منها.. وإلى جهة الشمال كانت توجد بعض التلال التى كنا ننتقل بينها في ساعة الراحة. لقد وضع المسئولون عن الرحلة برنامجا يوميا.. وفي كل أمسية كانت تجرى وصلات من ألعاب التسلية والمسابقات.. والاغاني والاهازيح التى يجيدها بعض الطلاب.. قمنا صباح احد الايام بجولة طويلة.. اخذتنا الى منطقة «جبل الدخان» التى تقع خلف الكثبان الرملية.. في الجنوب من الجزيرة. وكانت جولة موفقة اطلعنا فيها على كثير من المعالم في هذه المنطقة.

كانت خيمة مدرسة الصناعة مركز تجمع طلاب الرحلة.. وفي كل ليلة كانت تجرى فيها.. او حولها حلقات السمر.. واشعال النار. وفي احد الايام زارنا السيد «ويكلن» والسيدة حرمة.. والاستاذ «ناير» مدير القسم الداخلي.. كما زارنا ايضا بعض الزوار.. واذكر من بينهم الاستاذ عبدالله الزائد.. صاحب جريدة «البحرين» التى كانت تصدر في تلك الفترة، والسيد محمد صالح الشتر.. معاون رئيس بلدية المنامة واحضروا معهم عددا من الخراف.. واطباق من الحلوى.. اللذيذة هدية منهم للطلاب.. وللعاملين في الرحلة.

استمرت الرحلة خمسة او ستة أيام.. ولعلها كانت المناسبة الاولى التى نبيت فيها خارج منازلنا.. كما انها احدى المناسبات الفريدة التى حرمانا من الحصول على ما التقط فيها من صور تذكارية. على كثرة ما التقط فيها من صور.

كان التعاون بين مدرستنا.. ومدرسة المنامة الصناعية قائما طيلة سنتى الدراسة التى مرت.. فلم يكن يفصل بيننا سوى الشارع العام.. وكان تلاميذ المدرسة المذكورة يحضرون الى مدرستنا في كل وقت وحين لتأدية تمارينهم الرياضية على ساحة المدرسة.. لان مدرستهم لم تكن تملك ساحة للعب. هذا فضلا عن تبادل المدرسين بين المدرستين اذا دعت الظروف الى ذلك.. وكانت ابرز صورة للتعاون المشترك بين المدرستين العمل في الرواية المسرحية «الفرد الكبير» التى اقيمت على مسرح مدرسة البنات.. بالمنامة.. والتي عرفت فيما بعد بمدرسة عائشة ام المؤمنين».

عرضت هذه الرواية لعدة ليال.. اعتبارا من الخميس (ليلة الجمعة) في ١٥ ربيع

الاول 1362 هجرية . . يوافقها 20 مارس 1943 . . تحت رعاية صاحب العظمة الشيخ سلمان بين حمد آل خليفة . . حاكم البحرين . وحضر لمشاهدتها جماهير غفيرة من الناس . . ولاقت نجاحا كبيرا لم تنله اية مسرحية اخرى اقيمت في مثل تلك السنة . مؤلف المسرحية - كما أتذكر - كاتب لبناني هو الاستاذ «شيلي ملاط» . . واخرجها او اشرف على اخراجها بعض المدرسين . . ولعله كان الاستاذ نديم احمد الحلاق . . او الاستاذ صلاح الدين فارس احد المدرسين الفلسطينيين في مدرستنا . . الجدير بالذكر ان بعض طلاب مدرسة الصناعة الذين اشتركوا معنا في هذه المسرحية . . كانوا من اعضاء بعثة الكويت الذين كانوا يتلقون العلم في البحرين في مثل تلك الفترة . وجاء توزيع ادوار الرواية بين طلاب المدرستين وفقا لمقدرة وسن كل طالب . . وذلك على الوجه التالي :

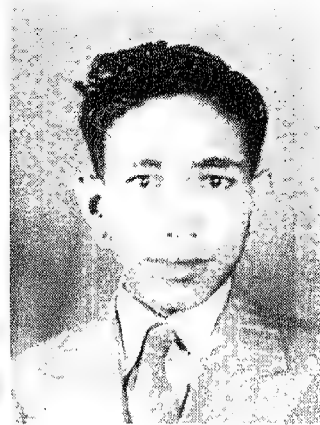
الفرد ملك الانجليز	مجيد صالح الكويتي	الصناعة
اسارد اسقف انجلترا	محمد علي محمد صالح	الصناعة
كتروم زعيم الدنمارك	احمد علي الشوملي	الصناعة
دلكان قائد سكسوني	موشى يهودا	مدرستنا
اجيل قائد سكسوني	علي عبدالله سيار	الصناعة
ادمون أمير انجليزي	سلمان عبدالوهاب الصباغ	مدرستنا
عودا قائد انجليزي	عبدالرحمن مطر	الصناعة
هاني قائد انجليزي	عبدالحميد العليوات	مدرستنا
اوتارو قائد انجليزي	ماجد جواد الجشي	مدرستنا
مطر قائد انجليزي	عبدالحميد الشتر	مدرستنا
مندراد قائد دنماركي	حسن علي محمد الخليفة	مدرستنا
أموند قائد دنماركي	يوسف ابراهيم زباري	مدرستنا
اوسكيل قائد دنماركي	حسن علي المدني	مدرستنا
آرلي قائد دنماركي	علي راشد المسقطي	مدرستنا
	علي محمد علي حميدان	مدرستنا



■ علي عبدالله سيار



■ عبدالرحمن كانو



■ علي راشد المسقطي

في اخر ليلة من ليالي العرض . . حضر عدد كبير من مديري المدارس . .
والمدرسين . . وطلاب الصفوف العليا في كل مدرسة وبعض المدعوين من اولياء امور
الطلاب المشتركين في المسرحية يتصدر المدعوين مدير المعارف (السيد ويكلن) الذي قام
بتوزيع الجوائز على المتفوقين من الطلاب . وكانوا اربعة هم :

الجائزة الاولى	سلمان عبدالوهاب الصباغ	مدرستنا
الجائزة الثانية	احمد علي الشوملي	الصناعة
الجائزة الثالثة	علي عبدالله سيار	الصناعة
الجائزة الرابعة	ماجد جواد الجشي	مدرستنا

قد حفلت الحياة الاجتماعية في البحرين خلال هذه الفترة التي امتدت حتى منتصف
الاربعينيات باقامة عدد كبير من الروايات والمسرحيات التي قام بالعمل فيها طلاب من
المدارس . . للاندية الأهلية المنتشرة في كل من المنامة . . والمهرق . . وكانت معظم هذه

المسرحيات تقام على مسرح مدرسة البنات التى كانت الوحيدة التى بنى فيها مسرح . .
اذكر منها على سبيل المثال . . لا للحصر:

نادي الثقافة	لولا المحامي
مدرسة عائشة / بنات	صلاح الدين الأيوبي
نادي العروبة	كسرى والعروبة
نادي العروبة	الحجاج بن يوسف الثقفي
مدرسة عائشة / بنات	في سبيل التمساح

افردت لهذه المسرحيات . . وبعض التفاصيل منها في مكان آخر في هذه الاوراق .
وكانت جميعها تلاقي الاقبال الكبير من جمهور الحاضرين . . رجالا ونساء . . لقاء
مبالغ زهيدة جدا . . وتظل حديث الناس . . رغم ما كانت تفتقر اليه من وسائل
الايضاح والايخراج المتواضعة في تلك الايام . . وتظل حديث الناس في مجالسهم اياما
طويلة . . ويطوى الزمان هذه الصفحة الزاهرة من تاريخ البحرين . . وتطلع علينا -
مؤخرا - مؤسسات ومسارح يقال انها متخصصة في هذا الفن . . بسيل جارف - لا
ينقطع - من مسرحيات . . الصق بعضها زورا . . واحيانا اخرى باسم الطفل . . ولكنها
للاسف غشاء . . اشبه ما يكون بغشاء البحر . . اننى اهوى المسرح . . واحرص على
حضور حفلاته كلما سنحت لي الفرصة . . واخشى ما اخشاه ان تستمر مسيرة المسرح
في التدهور والانحدار . . ويكفى ما نقرأه عنها كل يوم في صحفنا . . وفي أنديتنا . . وفي
اجهزة الاعلام النشطة . . مما لا يترك مزيدا لمستزيد .

كانت الحرب لا تزال دائرة في جميع الجبهات . . والمعارك الطاحنة على اشدها في كل
مكان . . واقتربت نهاية السنة الدراسية . . ويده انتقلنا للدراسة في المدارس الثانوية . .
دخلت الامتحانات النهائية وأديناها ونجحنا فيها بحمد الله وتوفيقه .

كنا خلال ذلك . . نتشاور في ضرورة توفير بعض المال للاستعانة به في تحمل تكاليف الحياة . . لقد كانت احوال معظمنا في الصف . . بل في المدرسة كلها تدعو للثرثاء . كان آباء بعض الطلاب الميسورين بيننا تعد على الاصابع . . ورحنا نفكر . . ونفكر . اشار البعض الى ضرورة الاشتغال في اي مكان خلال اجازة الصيف . . لكننا تساءلنا فيما بيننا . . عمن يقبلنا ونحن في تلك السن المبكرة . . وهدانا التفكير الى التقدم لطلب وظيفة - اي وظيفة - في شركة النفط . . فهي الوحيدة التي تتوفر لديها الأعمال . . هذا ما كنا نسمعه من جميع الاصدقاء الذين اتصلنا بهم لمساعدتنا، وفي خلال الاسبوع الاخير من الدراسة . . كنا قد عقدنا العزم على الاشتغال في الشركة . . وهل لنا ان نفعل غير ذلك!

كانت الأيام التي نمر فيها أياما صعبة . . وكان كل واحد من الطلاب يتحسس حاله زميله . . ومدى حاجته . .

وفي صباح احد الأيام . . ذهبت برفقة بعض الزملاء من طلاب صفنا . . ومن طلاب المدرسة الآخرين . . . نطلب العمل . . في مكتب ادارة الشركة - بالعوالي - وحمدنا الله كثيرا الى توفيقنا في الحصول على وظيفة بمنطقة مصافي النفط . . الريفاينري .

قبل أيام من موعد عرض الرواية وفي ضوء الاستعدادات الجارية لها في المدرسة . . طلب مني الاستاذ سالم العريض مدير المدرسة القيام بتلاوة ما يتيسر من القرآن الكريم في حفل افتتاح الرواية . . وبقية الليالي التالية . . اعتقادا من السيد المدير وبعض الاساتذة في المدرسة بأن صوتي هو من انسب الاصوات . وقد اعتذرت لاسباب رأيتها في ذلك الوقت عن القيام بهذه المهمة . الا ان السيد المدير اصر على قيامي بالتلاوة . رفضت مرة اخرى هذا التكليف الا ان الاستاذ سالم اصر من جانبه على هذا الطلب .

تماديت في رفضي . . وبقي المدير مصرا على الانصياع لطلبه . وكلنا يعلم تمام العلم نتيجة عدم تنفيذ طلب المدير .

وفي اليوم التالي . . استدعاني السيد المدير الى مكتبة مكررا طلبه من جديد . ولما ابلغته ان لي دورا في الرواية قال لي اننا سنعفيك من اداء هذا الدور . . على ان تقوم بتقديم آيات القرآن . وازاء هذه النية التي ابداهها السيد المدير . . زاد اصرارى على الرفض .

استدعى السيد المدير الاستاذ المرحوم ايوب حسين . . ووالدي المدرس بالمدرسة وابلغهما برفضي . . وقد حاولا ثني دون ان يتمكننا من ذلك . فما كان من المدير الا

تهديدي باستعمال الفلقة (الجحيشة) وقلت له استعمل ما شئت . وفي غرفة الادارة بالمدرسة استعان الاستاذ سالم - رحمه الله - بكل من والدى والاستاذ ايوب - وقد طلب منى القبول بطلب المدير الا اننى زدت اصرارا وعنادا .

قام الاستاذ ايوب ووالدى ببطحى ارضا قريبا من طاولة مكتب المدير . وراح يشرع في ضربى بكل ما اوتى من قوة . . دون ان انبس من جانبي بكلمة واحدة ، ومن جديد عاد يكرر طلبه . . وعدت اكرر رفضي . ولا ادري حتى اليوم السبب الذى حدا بنا المدير من جهته . . ومن جهتى فى الاستمرار فى هذا الحوار العقيم .

الفصل الدرامي فى قصة رفض طلب السيد المدير لا يتمثل فى رفض تلاوة القرآن الكريم فى افتتاح الرواية . بل ما حدث من انتهاء الاستاذ المدير من نوبة الضرب بالفلقة . فقد اغتنمت الفرصة وقمت بمباغطة والانقضاض عليه . . دون ان يحسب اى حساب لمثل هذه الحركة الجريئة . . وادخلت يدي داخل جيوب ثوبه حيث قمت بشق الثوب من اعلاها حتى اسفلها وبشكل سريع لا يصدق . وقد انتابت المدير نوبة من الغضب واضحى فى وضع لا يحسد عليه . وبدا واضحا انه لا يمكنه البقاء فى مكتبه بغرفة الادارة . ولذلك سرعان ما احضرت له سيارة ركبها وغادر المدرسة مسرعا الى بيتهم لاستبدال الثوب المشقوق . ولا ادري هل عاد الى المدرسة بعد ذلك .

اما انا فقد طلب منى الاستاذ ايوب . . مغادرة المدرسة والعودة الى البيت . . والحضور لمقابلته فى غرفة المدرسين . . او الاجتماع باحدهم ، او دخول الصف .

وفي صباح اليوم الثانى حضرت الى المدرسة فقابلت الاستاذ ايوب . . وكذلك والدي . اللذان اخذانى الى غرفة السيد المدير . . حيث قدمت له اعتذارى لما حدث يوم امس .

كنت اكرر اعتذارى . . بل اننى بكيت لبضع دقائق . قبل ان ادخل الصف .

بقيت هذه الحادثة عالقة فى الذهن . . وكان الاستاذ سالم - رحمه الله عليه - يذكرنى بها بعض الاحيان كلما التقينا رغم مرور السنوات الطويلة على وقوعها .

من الزملاء الذين كانوا معي . . محمود علي شبر . . من فريق «الفاضل» بالمنامة . . والذى التحق فيما بعد بدائرة المعارف وأصبح مدرسا . . ثم مديرا لاحدى المدارس . . اما مكان العمل الذى اشتغلت فيه . . فقد كان عبارة عن ورشة كبيرة تشتمل على عدة اقسام . . من بينها قسم السوائل النفطية التى يتم فيها تحليل وقياس درجات كثافة النفط . . او الزيوت الاخرى التى يحضرها الموظفون فى قناني صغيرة . . وفى حرص

وعناية فائقتين تسلم الى قسم المختبر.

كان العمل في حد ذاته مريحا . . رغم ان الراتب الذى حصلت عليه لم يتعد مبلغ روبيتين في اليوم . . ولكن كان يسوؤه نظام النوبات الذى لم يكن من مفر الا القبول به . اشتغلت اسبوعا او اسبوعين في نوبة «آخر الليل» وكنت مضطرا للعودة الى البيت بعد انتهاء نوبة العمل والساعة لم تصل بعد السادسة من صباح اليوم التالي . . ولم يكن هذا وحده بالامر السيء . . كنا نحشر حشرا في باصات الشركة الكبيرة . . واحيانا اللوريات المكشوفة التى تنقلنا الى مكان العمل . . مع مجموعات العمال . . من كل صنف واتذكر ان نقطة التجمع لحركة هذه الباصات . . كانت تقع في مكان مدخل قلعة الشرطة . . القرية جدا من مدرستنا . . لقد تحملنا عناء كبيرا . . ونحن نتقل في مثل هذه الباصات .

وعلى الرغم من قصر المدة التى امضيتها في العمل . . فهي لم تزد اكثر من ٤٥ يوما . . الا انها كانت فرصة ثمينة للتعرف على كثير من اصناف الناس . . وفئاتهم . . وفي فترات الراحة التى كانت تتاح لنا . . كنت اختلط ببعض العمال . . ومعظمهم من كبار السن ومن امضوا سنوات طويلة في العمل بالشركة . . اسمع منهم الحكايات عن حياتهم . . ومشاكلهم . . كثير منهم لم يدخل المدرسة . . ولكنهم كانوا يتحدثون جيدا باللغة الانجليزية . . بعضهم جاء للعمل من المحرق او الحد . . او من بعض القرى . . كانوا يجهلون اشياء كثيرة عن العالم . . وتنقصهم المعلومات الاساسية في كثير من النواحي . وكل من يتقرب اليهم . كانوا يستغربون كثيرا . . وانا اتحدث مع بعضهم عما يجري في ساحة القتال . . واخبار العالم . . وعن الاحوال السائدة في هذا البلد او ذاك . . مما تعلمناه في المدرسة . . كان اكثر ما يستهويهم الحديث عن ابطال الاسلام . . والحروب بين الامم . . وجغرافية بعض البلدان . . وتاريخ الحضارة وكنت ادخل معهم في حوارات ساخنة عندما يصادف وتحدث عن قضايا الدين . . والعبادات . . لقد كان الفارق كبيرا في اعمارنا . . ولكني لاحظت انهم يتقبلون كل ما يقال .

جمعتني الصدفه مع زميل في العمل . . يكبرني بعشرين سنة او اكثر . . اسمه . . عبدالكريم . . من قرية ستره . . يختلف عن بقية زملائه في العمل . ويحمل افكارا وراء جريئة . . في كثير من القضايا وشئون الحياه . وعلى الاخص فيما يتعلق بشئون الشركة . . وقضايا النفط ومستقبله . وذكرني في احد احاديثه التى كانت تمتد لساعات خلال نوبات العمل الطويلة . ان رئيس الوحدة التى يعمل فيها . . كان مهندسا

جيولوجيا من كندا. اخبره ان ادارة الشركة - في تلك الفترة - لو قامت بدفع رواتب الموظفين والعمال فيها الى ثلاثة اضعاف المبالغ المدفوعة لهم لما خسرت شيئا. . وان دخل الشركة السنوى الذى يعلن عنه يفوق كثيرا المبالغ الحقيقية التى تحصل عليها. وان كميات البترول التى يتم شحنها فى الناقلات عن طريق ميناء سترة. . لا يتم قيدها فى السجلات كما ينبغى. . وان كثيرا من الحقائق والمعلومات تخفى. واخبره ذلك الزميل ان الشركة حين علمت بما ينقله ذلك المهندس سارعت الى انهاء عقده وابعاده الى بلده. . لانها اعتبرت تلك المعلومات ضارة بمصالح الشركة. . لكن المهندس بقى يرأسه من بلده البعيد وكان يرسل اليه بعض الصحف والجرائد التى تختص بصناعة النفط. .

لكننى للحقيقة لم يكن لدي شيء مما كان يردده ذلك العامل الستراوى.



■ على سطح المدرسة الثانوية فى البحرين سنة 1945 م .

انقضت الاجازة الصيفية. . وتركت عملي بشركة النفط بعد ان تمكنت من توفير مبلغ من المال. . يساعدنى فى شراء ما احتاجه من ملابس. . وبعض الدفاتر والحاجات التى كنت بحاجة ماسة لها وانا اعد نفسي لدخول المرحلة الثانية من الدراسة. . فى مدرسة المنامة الثانوية.

فى خلال هذه الفترة. . كنت اتردد على زيارة «غرفة المطالعة» التى افتتحتها دائرة «الاستعلامات» التابعة لدار الاعتماد البريطانىة فى

البحرين . . او «بيت الدولة» كما كان الناس في تلك الايام يعرفونها . كان موقع هذه الغرفة او المكتبة يقع في عمارة هلال المطيرى الكائنة بشارع الحكومة . . قريبا من مبنى دائرة الجمارك . . في هذه المكتبة يجد الزائرون العديد من المجلات والجرائد والمنشورات المصورة . . التي تتحدث عن مجهود الحلفاء في الحرب . كانت زيارتي لهذه المكتبة تكون غالبا في المساء . . كنت التقي بعدد من الاصدقاء وطلاب المدارس . . نتجاذب اطراف الحديث . . وعن استعداداتنا لدخول الثانوية . . كان الموظف المسئول عن الاشراف على هذه المكتبة المرحوم «سلمان احمد كمال» والد «احمد كمال» احد زملاء في المدرسة الابتدائية . . وقد تدرج في عدة وظائف حتى اصبح مؤخر . . رئيس تحرير جريدة «اخبار الخليج» . . المعروفة .

بقيت المكتبة قائمة لفترة من الوقت في مكانها حتى الاعلان عن انتهاء الحرب . . ثم اغلقت .

كانت دائرة الاستعلامات البريطانية تشرف على دار الاذاعة القديمة بمنطقة «الحورة» التي سبق ان قدمنا فيها بعض الاناشيد . كما كانت تقوم بتزويد جريدة «البحرين» التي اصدرها الزائد في تلك الفترة . . بالموضوعات والمقالات . . الى جانب اخبار الحرب . وكان من بين العاملين في تلك الدائرة . . مسئول كبير . . عراقي الجنسية اسمه (جورج طليا) كان يتردد على زيارة نادي العروبة في سنواته الاولى . . وتربطه بعض الصلات بأعضاء النادي .

وخلال هذه الفترة ايضا . . كنا نحضر بعض العروض السينمائية في مدرستنا . . لافلام ولقطات تنصب كلها على اخبار الحرب . تقوم بتنظيمها الدائرة المذكورة . . او شركة نفط البحرين بالتنسيق مع دائرة المعارف . . ويحضر هذه العروض عدد كبير من الموظفين الى جانب طلاب المدارس . . . وغيرهم .

مرة اخرى في المدرسة . . ولكن هذه المرة . . مدرسة المنامة الثانوية . . واول التحاقني بها 12 اكتوبر 1943 الموافق بالتاريخ الهجرى 14 شوال 1362 .

كان الطلاب والمدرسون وبعض الاصدقاء الذين التقي بهم او تربطنا الزمالة معهم يظهرون بشيء من التعالي زهوهم واعجابهم بهذه المدرسة . . حين تدور الاحاديث عن المدارس . . وشئوننا . . ليس لأن هذه المدرسة هي الوحيدة في مستواها بين بقية المدارس ولكن لانهم — اي الطلاب — هم ايضا الوحيدون من حيث المستوى بين بقية طلاب

المدارس . . وهذه — في نظرهم — ميزة كبرى لا ينالها الا كل ذى حظ عظيم . يكفي انها كانت تعرف اول ما تأسست باسم . . « كلية البحرين » وهذا ما كان يؤمل ان تصير اليه . . لولا الظروف التي اعترضت طريقها .

————— مجالس رمضان :

رمضان شهر كريم من شهور السنة الهجرية يحتفل به المسلمون في بلادهم . . بطريقة وتقاليد تختلف من بلد الى بلد . ومنذ شرع الله صيامه وقيامه يندر ان تجد شابا او رجلا . . مهما كانت سنه او احواله لا يتذكر رمضان . . او يحسب حسابه كلما مرت السنوات وتعاقبت الايام . فهو شهر يزخر بكل خير وتغلفه البركات وتور فيها الاحداث .

بالنسبة لي وبالنسبة لكل من كان في مثل سنى . . ذكريات لا تنسى . تمر السنوات وتتغير الاشياء ولكن رمضان يبقى الشهر الذى لا يشاركه شهر اخر . كان الاحتفال بمقدمه . . وايامه ولياليه واواخره . . وكل ساعة فيه يحسب لها اى حساب .

وفي البيت العود . . كان الاحتفال بالشهر الفضيل يجرى حسب مراسيم ومناسك خاصة . كما ان الامر ينطبق على كل البيوت فى منطقتنا . . وفي كل مناطق البحرين الاخرى . . واذا كان هناك اختلاف . . فهو اختلاف يرجع بسبب حالة كل بيت من الناحية الاجتماعية والامكانيات المادية . وحسبما يكون صاحب هذا البيت او ذاك من الوجاهة والغنى . . وسعة الرزق .

اننى لازلت اتذكر الليلة الاولى من رمضان ، حيث يهرع الوالد — رحمة الله عليه — مع مجموعة من افراد وشباب الاسرة . . وجيران البيت بعد غروب شمس ذلك اليوم — يصعدون الى سطح احدى الغرف . . لاستطلاع رؤية هلال شهر رمضان الذى يحتمل ان يهل فيها . . وتكون بداية الشهر الفضيل . فاذا ثبتت رؤية الهلال من قبل الجميع تبدأ الليلة الاولى . وتستهل عادة بتلاوة سور القرآن الكريم . ويحضر المجلس جميع افراد العائلة وجيران البيت . . وبعض الرجال والزوار الذين تربطهم والعائلة اوشج العلاقات والاواصر .

كان الوالد يقوم بتلاوة القرآن الكريم لوحده ويتناوب معه في بعض الليالي بعض الحاضرين . ويختتم المجلس عادة بقراءة دعاء «كميل» المعروف . وينفض المجلس ويغادره الحاضرون الا من نفر قليل يفضل البقاء للمناقشة والحديث في شئون الحياة والمعاملات . . واخبار الدنيا حيث يدير هذه الاحاديث بينهم المرحوم العم الحاج ابراهيم .

في البيت العود . . كان يوجد مجلسان . . الأول شتوى بالدور الأرضي من البيت . . والثاني لفصل الصيف ويقام في السطح الشرقي . . ذى الهواء الطلق، كان يحضر المجلس كثير من الزوار . بعضهم من كبار السن والمكانة في ذلك الوقت . ويظل المجلس على هذه الوتيرة حتى تنتهي لياالي العامرة . . ويعلن عن قدوم العيد .

اما نحن الاطفال . . فقد كنا نقضى لياالي الشهر تقريبا عنهم بعيدين عن البيت . . تجرى بعض الالعاب الرمضانية التي اندثر معظمها الآن . وهى العاب لو حاولت ان اسرد شيئا منها لاستغرق من ذلك الصفحات .

لقد كان رمضان في تلك السنين الغابرة يتميز بتقديم الوجبات الخاصة به . وكان تبادل هذه الوجبات على مختلف اصنافها وانواعها متواصلة بين جيران المنطقة لا فرق بين غنيهم او فقيرهم . . والبعيد منهم والقريب .

وفي صبيحة يوم العيد حيث جرت عادة الناس بالذهاب الى المساجد لتأدية فريضة العيد . لاحظت ان بعض افراد الاسرة لا يؤدون هذه الفريضة في المساجد . وأتذكر ان بعض الرجال كانوا يحضرون في ساعة مبكرة من صباح يوم العيد . حيث يؤدون الصلاة جماعة ويؤمهم المرحوم جدى الحاج ماجد . وقد بقيت هذه العادة فترة من الوقت وانتهت بوفاة رجالها .

لقد اغلقت كثير من المجالس التي كانت عامرة في شهر رمضان لوفاة اصحابها . او لظروف خاصة بهم . ولكن لم نعدم ظهور مجالس جديدة في كل مكان من المنامة . يؤمها الكثير من الناس . ولا تختلف كثيرا في طابعها التقليدي عن مجالس رمضان القديمة .

رمضان يزورنا مرة في السنة . وسيبقى على ذلك ابد الابدين ودهر الداهرين ، وفي يقيني ان جميع المسلمين لو اولوه ما يستحقه من تكريم وتعظيم . . وعناية واهتمام . واستجابوا الى ما يدعو اليه من الخير . . والبذل والتسامح والمحبة وغيرها من الفضائل

النيلة لازدادوا خيرا على خير. اليس هو شهر الخيرات والبركات؟

————— صيران الجص :

كان من عادة اهل البحرين في تلك السنين في الثلاثينات وما قبلها، المقتدرون منهم بصورة خاصة . . ان يشيدوا بيوت سكناهم من الحجارة والجص . اما الحجارة فقد كانت تنقل على عربات تجرها الحمير من الشواطىء القريبة في المنامة او المحرق أما الجص فهي مادة جيرية هشة تميل الى الاحمرار قليلا في لونها وكانت تنقل الى المنامة من مناطق متعددة من انحاء البلاد . والمنطقة الجنوبية منها على الاخص . كما كانت تجلب احيانا من جزر حوار البحرينية .

لم يكن الاسمنت والطابوق والواح الحديد . . والاششاب تدخل في شئون البناء . ولم يكن احد من الناس يستعملها سوى بعض المؤسسات والشركات الكبيرة المعروفة .

كانت حجارة الجص كما ذكرت تنقل على عربات تجرها الحمير . وتجمع في شكل (كومات) او (اهرامات) وتوضع في احدى (البراحات) بالمنطقة التي يراد تشييد البناء فيها . وفي الغالب تكون مثل هذه البراحات واسعة بعيدة عن البيوت . ويحضرها عمال متخصصون حيث يقومون بالتعامل معها . وذلك بوضع بعض جذوع النخيل داخل الهرم الذي يعملونه ، ويكون لمثل هذا الهرم باب (فتحة) او بابين حيث يشبون النار داخله . ويقومون على العناية به . حتى تأتى النار على الحجارة وتحيلها الى مادة هشة ناعمة . ويستغرق هذا العمل اليوم بأكمله . ويظل الدخان يتصاعد في المنطقة طوال الليلة . . وتمتد روائح الحريق الى مسافات بعيدة .

ويحضر العمال في اليوم الثاني بمعاولهم وادواتهم . . بعد ان تكون النار قد خمدت تماما في الهرم . وهم في الغالب اربعة او ستة عمال . حيث يقومون بتنعيم الحجارة وتعبئة المسحوق داخل اكياس خاصة تنقل الى البيت الذي تم التعامل معه . وخلال ما كان العمال يقومون بتأدية هذا العمل كانوا يرددون اغاني «شيلات» تخفف عنهم ما يعانونه في عملهم من تعب وجهد . وقبل حلول المساء . يحضر مالك البيت ويسلمهم اجورهم التي لا تتعدى روبيات معدودة .

لقد بقيت اقامة هذه صيران في المنامة . . وفي كثير من مناطقها حتى منتصف الاربعينات . . واختفت تماما بعد ما طرأ من نهضة عمرانية كبيرة شملت انحاء البلاد . وفي اليوم الثالث او الرابع من حرق الصار . وتنعيم الجص يحضر العمال مرة اخرى الى المكان . . ويقومون بازالة كل ما تبقى من مخلفات . . ويصبح الطريق سالكا للمرور . . وعبور الناس .

ان عملية استخراج الجص وتشبيد المباني منه لم تكن في الماضي تكلف كثيرا من النفقات . ولقد لاحظت في السنوات الاخيرة من المهتمين . . مهندسين او غيرهم وبعضهم متخصصون في البناء والتراث من يدعون للعودة لاستعمال الجص في البناء بالبحرين . . زاعمين ان ذلك هو المطلوب فعليا في بناء البيوت في بلد يشكو من الحرارة والرطوبة في معظم ايام السنة فضلا عن الميزات الكثيرة التي يسوقونها عن محاسن الأخذ بها درج عليه الآباء والاجداد .

ولعل هذه الامنية تأخذ مكانها في يوم ليس بالبعيد . ويتحقق حلم المهندسين .

زمن المقاهي:

باديء ذي بدء . . اذكر انني قرأت مرات عديدة عن هذا الموضوع الذي طرقه اكثر من واحد من كتابنا . . او مواطنون اخرون . . سواء في الصحف المحلية . . او بعض الكتب والمؤلفات التي خصصها اصحابها اصلا لمثل هذه الموضوعات المتصلة بتقاليدنا وتراث البحرين . . وعاداته .

ومع هذا الذي اعرفه . . ويعرفه الجميع . . اقوم بدوري واكتب عنه في اوراقى هذه . لكن يشفع لي ان اكتب عنه بشعوري بما يمثل من خواطر . . وتأملات اجد نفسي لا استطيع ان انفك عنها . وهي وغيرها من موضوعات يجدها القارئ محشورة في هذه الفصول . . والابواب .

في الطريق من البيت العود . . الى الاسواق وسط المنامة القديمة . . يقع مقهى او قهوة (مدوه) احدي اكبر واشهر القهاوى الشعبية التي كانت عامرة بروادها . . وقائمة خلال

الحرب العالمية الثانية.. وربما ما قبلها بسنوات طويلة. موقعها بالتحديد في منتصف شارع الشيخ عبدالله الذي يربط غرب وشرق المنامة.

قهوة (مدوه) هذه.. كانت تجذب الناس من كل الطبقات نظرا لما تتصف به من السعة والشهرة من مرتادى القهاوي في تلك الايام وعلى الاخص طبقة (الزركت) التي يعرف عنها عدم امتهان اصحابها لأي مهنة او حرفة محددة.. وتجد في نفسها الحاجة لتزجية اوقات الفراغ التي تساعد على البقاء في هذه القهاوي.. والالتقاء باصدقائهم الذين يماثلونهم في العادات.. يجلسون معهم كل يوم ويتبادلون معهم الاحاديث.. وفي كل ما يعن لهم من شئون الحياة.. ومشاغل الدنيا وكغيري من اطفال الفريق كنا نمر بالقهوة كلما رحنا او جئنا من البيت.. فهي تقع في طريقنا مهما تكن الاحوال. اكان الوقت صباحا او عصرا.. او مساء.. وفي اي ساعة من ساعات اليوم. نرى الجالسين والمترددین متشربين في كل ركن من اركان القهوة. احيانا نتوقف ونلقى نظرة على هؤلاء الجالسين. وحيانا نمر مسرعين دون ان نلتفت الى شيء اخر. كانت الاحاديث تدور بين الجالسين باصوات مرتفعة. وحيانا تدور همسا.. احاديث غريبة وقصصا وحكايات عجيبة من المعاملات والبيع والشراء او احاديث البحر والغوص وحيانا السفر الذي تنصب في معظمها على السفر الى الهند او ايران. لكن ونحن نشهد ذلك يوما لم تحدثنا نفوسنا ان نجلس في هذه القهوة.. المترامية الاطراف. وذلك بناء على نصائح الأهل او الاصدقاء.. الذين يكبروننا سنا. وحين نسأل بعضهم عن السبب الذي يدفعهم لتوجيه مثل هذه النصائح الينا.. والاسباب الحقيقية في ذلك.. يجيب بعضهم بان في المسألة من الاسرار ما يستحسن ان لا نعرف عنه شيئا ونحن في هذا السن الصغيرة.. لكننا سنعرفه حتما حين نكبر وحين يمكن لنا ان نجلس في القهوة ونأخذ حريتنا فيها.. او في غيرها من القهاوي المائلة.

ويلاحظ ان تجار السوق.. ورجال اللؤلؤ والطواويس وامثالهم.. يأنفون ويترفعون بانفسهم بان يحضروا للجلوس في القهوة. فقد كانت لهم قهاويهم التي لا يشاركون فيها احد غيرهم. واذكر ان من بين هذه القهاوى.. قهوة صغيرة تقع في شارع ولي العهد.. مكان فندق (ارادوس) حاليا.. يديرها رجل كبير السن اسمه.. محمد حسين.. المعروف من سكان هذه المنطقة.

لم تكن قهوة (مدوه) هي القهوة الوحيدة الموجودة آنذاك ولعل ابناء العقود الخمسة الماضية في المنامة أو غيرها يتذكرون قهاوى غيرها.. كانت قائمة وموجودة ومنتشرة في

كل جوانب مدينة المنامة . . وحيانا في بعض مناطق السكن . . وبيوت الاهالي داخل هذه الفرقان . اذكر بين ذلك براحة الجامع الغربي (جامع المهزع) حيث تنتشر فيها القهاوي التي تتميز بصغرها . . واحدة من هذه القهاوي قهوة معروفة يحضرها على الاخص افراد من الجالية اليهودية في البحرين . وهي عادة ما تكون عامرة بروادها في الظهيرة وفي الاماسي . كما اننا لازلنا نتذكر قهاوي معروفة ومشهورة مثل قهوة (عبد النور) وقهوة (الفارة) وقهوة (معرفي) بمنطقة رأس رمان وقهاوي اخرى كانت منتشرة على شارع الحكومة . . وساحل البحر .

لقد كانت هذه القهاوي بالنسبة لكثير من مرتاديا بمثابة الأندية لكثير من مرتاديا من شباب هذه الايام . لقد كانت تخدم اهدافا اجتماعية . . ان لم نقل اهدافا ثقافية . . او رياضية . . او غيرها . . لقد كانت هذه القهاوي . . ضرورة على كل حال .

لكن قهوة (مدوة) تظل في رأيي اكثر هذه القهاوي جمالا وتنظيما . كانت مساحتها تمتد على طول الشارع . . او على الاصح جزء من الشارع . . لا يفصلها عنه شيء من الجدران او الحواجز . . سوى الاعمدة التي يقوم عليها سقف القهوة . . او ما يطلق عليها «السناطوين» وهذه نفسها لا ترتفع عن مستوى ارضية الشارع اكثر من قدم واحد في الغالب .

داخل هذه الاعمدة او «السناطوين» من داخل القهوة او جوانبها ركب عليها عدد من الصور الترائية الجميلة القديمة لمختلف العهود . . فعلى احدها مثلا صورة للملك آمان الله خان . . احد ملوك افغانستان السابقين ، وعلى عامود اخر صورة القائد رضاخان الذي اصبح فيما بعد شاهنشاه ايران . . وصورة جميلة للملك بريطانيا . . جورج الخامس . . وعلى الأعمدة الاخرى صور للطاووس الهندي المشهور وصور لمناظر جميلة من البحيرات . . والجبال والمناظر الطبيعية . . من بلاد الصين القديمة . . وصور غريبة لمناظر لإلهة الهندوس الاسطورية التي تتعدد فيها الرؤوس والايدي والارجل . . وغيرها .

كما كانت توجد قريبا من منصة الراديو في القهوة صورة نادرة للمطربة الكبيرة . . ام كلثوم . . وهي ترتدي الخمار الاسود .

في قهوة (مدوه) استمعت اول ما استمعت الى أغاني الموسيقار محمد عبدالوهاب في

عهودها الاولى والى اغاني فريد الاطرش واغاني منيرة المهديّة . . وعبد صالح وغيرهم من موسيقى مطربي الرعيل الاول من العرب من مصر وسوريا ولبنان . . والى جانب هذا الاغاني التراثية من اليمن . . وحضرموت . . واغاني من العراق لمطربات قدييات مثل زكية جورج . . وسليمة مراد .

وغيرهم . . هذا الى جانب مطربين محليين من البحرين ومنطقة الخليج من امثال محمد فارس وضاحى بن وليد ومحمود الكويتي . . والملا سعود . . من الكويت . . ومحمد على سندی من السعودية . . وجميع هذه الاغاني كانت مسجلة على اسطوانات «القار» القديمة . . ذات الحجم الكبير والسرعة في الدوران . . وقبل سنوات قليلة كانت تباع باسعار زهيدة جدا . . واذكر انني قبل مدة قصيرة اشتريت من احد الباعة في المحرق مجموعة من هذه الاسطوانات بسعر مائة فلس للواحدة . . اما اليوم فانك تحاول الحصول على واحدة من هذه الاسطوانات ولكنك لا تجد لها من أثر . . وفي احد معارض وزارة الاعلام التي اقيمت أخيرا في متحف البحرين الوطني . . احضر احد العارضين مجموعة من تلك الاسطوانات القديمة . . وباع بعضها بقيمة دينار واحد للاسطوانة . . ولكن تلك المجموعة القليلة سرعان ما تخاطفها الزائرون في المعرض . . واختفت .

في هذه القهاوى . . والى جانب زوارها الذين اعتادوا الحضور يوميا واصبحوا من الزبائن الدائمين كان يتردد في بعض الايام عليها الباعة المتجولون ومنهم (صباّب القهوة العربية) وكان هذا الرجل يحمل في يده دلة القهوة الكبيرة او المتوسطة الحجم ويطوف على اصحاب المحلات التجارية . . والدكاكين ومرتاوي القهاوي . . يصب لهم ما يرغبون فيه من القهوة العربية التي تعبق بالهيل والقرنفل والزعفران لقاء بعض المبالغ النقدية الزهيدة . . والتي لا تخضع لاجرة محددة . . بل ترك لارحية التاجر وكرمه . . يطوف صباّب القهوة بالمحلات في السوق المرة والمرتين والثلاث . . وكانت هذه العادة سائدة في البحرين وغيرها من دول الخليج . . الا انها بدأت تندثر او تقتلص كما ظهر في السنوات الاخيرة .

والى جانب صباّب القهوة العربية . . كان يحضر ايضا باعة لاصناف اخرى . . يروجون لبضاعتهن من امثال بيع الحب والسنبّل . . والمكسرات وبيع الباقلة . . وانواع الشربت والايسكريم . . وغيرها .

ينطوى الزمن . . وتمر السنوات سراعاً ونتجاوز عقد الخمسينات . . ونكبر . . ويشغل

بعضنا في الحكومة او المؤسسات وغيرها من الشركات والاعمال . . ونجد انفسنا نتسلل الى احد المقاهي الصغيرة المنزوية في احد المنعطفات الجانية المتفرعة من شارع باب البحرين او احيانا في الطريق المتفرع من شارع ولي العهد . . وقد كان هذا المقهى يشتهر بمن يحضره من الشباب بصورة خاصة من اعضاء النادي الاهلي والاندية الاخرى . ويزدحم المقهى بمرتاديه صباح يوم الجمعة .

لقد كنت وغيري نتردد كثيرا على هذا المقهى الذى اطلقنا عليه اسم (مقهى النشاط) لصاحبه العم علي . وفي السنوات الاخيرة تحول هذا المقهى الى محل لبيع الاقمشة والملبوسات داخل السوق حتى ان معالمة قد ضاعت في زحمة هذه المتغيرات التى شهدتها البحرين .

وكما ذكرت في اول حديثي عن هذا الموضوع فقد تكون الكتابة فيه ليس بالشىء الجديد . . ولكنى رأيت ان لا تخلو هذه السطور من هذه التأملات والخواطر التى لا تزال عالقة في ذهني . . واذهان الكثيرين .

ويذكرني هذا بان كاتبها مصريا معروفا لا اذكر اسمه الان قد اصدر مؤخرا كتابا بعنوان (حكاوي القهاوي) في مصر . . سرد فيه الحكايات والطرائف . عن القهاوي . . وعالمها الغريب .

ولاغرو ان هذه الاحاديث والقصص التى يروى اصحابها عنها تختلف الحكايات . . باتت اسواقها تروج في الاوساط الامريكية والاوربية . . ويمجدها الناس معروضة بكثرة في دور المكتبات واكشاك بيع الصحف والمجلات . . حين يزور الانسان تلك البلدان المتقدمة .

اما نحن . . فأننا نسير في طريق من سبقونا . ولا نظن الا اننا نفعل بذلك خيرا . وقد نكون مخطئين .

_____ **فرصة النماة:**

من الاماكن التى كنت اذهب اليها وانا لازلت في سنى الاولى و ان لها سحرا لا يقاوم . مع انها في نظر الكثيرين شىء لا يستحق ان يذكر . ولكنها في نظري وفي نظر

اخرين شيء غير ذلك تماما .

في اجازات المدارس الصيفية . . ونحن لا زلنا في اوائل الاربعينات . . كنت مع الصديق علوى السيد خلف نقوم بزيارة فرضة المنامة كلما تيسر لنا ذلك . . حيث نقضى الساعات الطويلة في تأمل ما نشاهده من حركة قائمة في الفرضة . . التى كانت تعتبر الواجهة البحرية التجارية الوحيدة للبحرين حتى ذلك الوقت . كانت الحركة في الفرضة يومية ولا تتوقف في اى ساعة من ساعات النهار . عشرات السفن والقوارب المحملة بشتى انواع البضاعة تروح وتجيء . . بعضها قادم من مدينة البصرة ميناء العراق الرئيسي . . وبعضها من ميناء عبادان الايرانى . . والابوام الكبيرة (مفردها . . بوم) قادمة من سواحل سلطنة عمان . . بل ان بعض هذه السفن يصلنا من سواحل الهند . . وسواحل افريقيا .

كانت البضاعة التى تنقلها هذه السفن وتكون مكدسة في جوفها تحوى اصنافا عديدة . . منها على الاخص الاخشاب والتمور واكياس مختلفة وغريبة لمواد غذائية وبعضها العدد والالات الهندية . . ومواد وأشياء لا تقع تحت حصر . كان يجلو لي وللأخ علوى التوقف قريبا من هذه السفن التى تلقي بمراسيها في ارضفة الفرضة والتحدث مع بعض اصحاب هذه السفن عن الحياة في بلادهم وكان يداخلنا شعور قوي كأننا مسافرون مثلهم . . ونشعر بمتعة زائدة لا تدانيها متعة .

في بعض هذه الجولات . . دعانا احد اصحاب السفن للجلوس في سفينته . . وكان قد اعد فيها مكانا مفروشا بالسجاد والوسائد القطنية . . وفي احد الجوانب اعد مكانا خاصا بالقهوة العربية . . وباريق الشاي لتقديمها للضيوف الذين يزورون السفينة .

كان صاحب هذه السفينة شاب عربي من سكان مدينة خرمشهر . . او كما نعرفها عن مدينة (المحمرة) التى رغم انها ايرانية التبعية من الناحية السياسية الا ان سكانها عرب اقحاح . نزلنا الى هذا الركن المعد في السفينة . . وقدم لنا الرجل بعض حبات من (الرقى) الذى احضر منه كميات هائلة لبيعها في اسواق البحرين . . وحضر احد مساعديه وقدم لنا اقداح الشاي والقهوة . . وكان بقية الرجال العاملين على ظهر السفينة يتحدثون احاديث متفرقة عن الحياة في بلادهم والمصاعب التى لاقوها وهم في طريقهم الى البحرين . وظهر لنا من هذه الاحاديث انها ليست الزيارة الاولى التى يحضرون فيها الى بلادنا .

وقبل ان يغادر السفينة . . شاكرين لأصحابها كريم ضيافتهم وحسن تقديرهم
ونبلهم . . راجين منا ان نأخذ منهم كهدية حبة او حبتين من فاكهة الجح الذى لازالت
لديهم منه كمية كبيرة للبيع .

كان الطريق داخل الفرضة طويلا . . ويزدحم من جانبيه بشتى انواع البضاعة . . من
اكياس وصناديق مختلفة الاشكال والاحجام . ويؤدى هذا الطريق في نهايته الى جهة
الشمال حيث ترسو سفن خاصة لا تحمل اي بضاعة . . لكنها تتبع شركة البواخر
(كرى ماكزى) او دائرة الشرطة . . وغيرها من المؤسسات الاخرى .

وفي منتصف الطريق في الفرضة . . وعلى الجهة الشرقية كانت توجد آلة رفع قديمة قد
اقيمت هناك منذ سنوات يطلقون عليها اسم CRANE يشرف على تشغيلها عدد من
العمال . هذه الآلة تبدو غريبة الشكل . . وتستعمل لرفع الصناديق الكبيرة . . او
البضاعة الثقيلة الوزن التى لا يقوى عمال الفرضة على رفعها بانفسهم الى مستوى
الرصيف وتكون عادة مكدسة في احد الصنادل الحديدية التى يطلق عليها اسم
(الدوبات) التى تنقلها من سفن الشحن الكبيرة التى ترسو على مقربة من ساحل
البحرين الشمالى . . ولا تستطيع الاقتراب من فرضة المنامة لضحالة المياه فيها . .
وعندما يتم تفريغ البضاعة من الدوبات . . يجرى نقلها الى مخازن داخل سوق المنامة . .
وذلك على عربات (الترولى) التى تربطها بتلك المخازن خط من القضبان الحديدية .

كانت بعض البضاعة تنقل من جزيرة (سترة) حيث اقامت شركة النفط ميناء خاصا
بها . ولكن كمية البضاعة التى تنقل الى فرضة المنامة بواسطة السفن قليلة جدا . . ولا
تقاس بما تنقله السيارات الخاصة الى انحاء متفرقة من الجزيرة .

بقيت الرافعة القديمة رابضة في مكانها المعهود وبفرضة المنامة سنين عديدة تؤدى
عملها الذى يفوق مجهودات العمال الفردية وفي ظروف متفاوتة . . قبل ان يتقرر
تفكيكها ونقلها من مكانها . لقد تحولت الى قطع صغيرة من الخردة (السكراب) انه لا
يعلم الا الله ما آلت اليه من مصير .

وفي السنوات الاخيرة . . اوائل الستينات تقريبا نقلت دائرة شئون الجمارك بموظفيها
وأقسامها الى منطقة جديدة تقع جنوب المنامة . . حيث انشأ هناك ميناء جديد يستقبل
السفن الكبيرة وبكفاءة اكثر من فرضة المنامة . . واطلق على المكان الجديد اسم . . ميناء
سلمان .

نسيت ان اذكر ان الاخ علوى قد التحق بالخدمة فى دائرة الجمارك فى سنة 1947 . .
ولذلك تكونت لديه خبرة واسعة عن العمل فى شئون الجمارك . التى تعاقب على ادارتها
منذ نشأتها عدد من المدراء الاجانب كان اخرهم السيد G.W.R. Smith الذى شغل فيها
بعد منصب سكرتير حكومة البحرين بعد رحيل السيد بلجريف مستشار الحكومة
المعروف . وبعد ذلك تولى شئون الجمارك مواطنون من البحرين . . كان من بينهم زميل
الدراسة السيد خليل ابراهيم المطوع . . الذى احيل الى التقاعد قبل سنة او سنتين .

سقوف اسواق المنامة:

بقيت المنامة . . عاصمة البحرين شأنها شأن بقية المدن الكبرى فى منطقة الخليج
العربي . مثل دبي والكويت تحمل نفس الطراز المعهود فى ابنتها واسواقها . . وانظمة
الحياة الاجتماعية فيها حتى منتصف الاربعينات . وكلنا ممن قدر له ان يفتح عينيه ويعى
الاحداث السائدة حتى ذلك الوقت يتذكر كيف كان الحال عليه فى اسواق المنامة .

كانت معظم أسواق المنامة فى تلك الحقبة من الزمن وشوارعها المعروفة المحدودة العدد
مسقوفة بسعف النخيل وشرائح المنقور والجنديل المستورد من سواحل افريقيا . . واحيانا
بعض العوارض الخشب والجريد . . وبعض انواع الحبال التى لا يمكن الاستغناء عنها
فى مثل هذه الاحوال .

وقد قامت ببناء هذه السقوف بلدية المنامة او بعض السلطات فى بقية المدن والقرى
والنواحي . اتقاء لحرارة الشمس واشعتها فى فصل الصيف . . وتنفذ الى الدكاكين
والمحلات التجارية فى الاسواق . . وكأنها شواظ من نار .

كانت هذه السقوف مبنية بصورة بدائية فضلا عن ان فعاليتها لا تستمر طويلا .
تتخللها فجوات كبيرة فى بعض جوانبها مما يتيح للمارة فى تلك الاسواق ان يرى الشمس
اذا ما تطلع اليها . كانت هذه السقوف تغطى شوارع رئيسية بمدينة المنامة مثل شارع
باب البحرين . . وشارع التجار وشارع ولي العهد . . وغيرها . ويمتاز شارع باب
البحرين بانه يختلف بعض الشيء عن بقية الشوارع الاخرى . فقد اقيم فى جزء متوسط
فيه نوع من السقوف من مادة «الاسبستوس» والعوارض الخشب القوية . كان هذا
الشارع يعرف حتى ذلك الوقت باسم شارع (برت / Barrit) نسبة لاسم احد المعتمدين

لبعض الوقت . . ثم يعودون مرة اخرى الى محلاتهم بعد اداء صلاة العصر. كنا نجوب هذه السقوف بدافع شقاوة الاطفال . . او حب الاستطلاع. وكنا نبدأ هذه الجولات من مكان قريب يقع في خان خنجي بشارع الشيخ عبدالله والذي تحول فيما بعد الى ما يعرف بسوق الذهب . . ونسير في كل اتجاه . . حتى نصل احيانا الى اسواق الخضرة التي تقع الى الغرب من بقية الاسواق في المنامة.

كانت هذه السقوف مرتعا للقطط والكلاب . . وكثيرا ما كنت أسمع عنها القصص والحكايات المضحكة .

ما ان انتهت الحرب . . حتى بدأت عملية ازالة هذه السقوف بعد ازدياد حركة العمران والبناء في البلاد. وبقي الجزء المحصور بشارع باب البحرين (الاسبستوس) والذي أزيل من مدة تقريبا .

يأخذني الكلام عن هذا الموضوع الى ظاهرة قديمة اندثرت الآن تماما . . ولا يتذكرها كثيرون. فقد درجت البلدية على عادة تسير سيارة الحريق وهي ملأى بالماء خلال فترات الظهيرة من كل يوم لرش الارض في بعض الشوارع والطرق تخفيفا لموجة الحر اللاهب التي تتفاقم في مثل هذا الوقت من النهار. وكان اصحاب الدكاكين والمحلات الذين تمر سيارة الحريق امام محلاتهم . يتربصون حضور السيارة بكل لهفة . . وسرور. وهكذا . . كانت أيامنا . . فأين منها هذه الأيام.



،، تولى ادارة المدرسة فى الايام الاولى من تاسيسها — حين كانت تقع فى مبنى قديم يسمى «البنك القديم» بفريق الفاضل — الاستاذ كمال المهزوع.. نجل المرحوم الشيخ الجليل قاسم المهزوع قاضى القضاة فى البحرين.. وكان الاستاذ كمال.. من اوائل الطلبة الذين سافروا الى الديار المصرية وتلقى العلوم بالجامع الازهر الشريف. اما فى ايامنا.. فقد كانت المدرسة تقع فى شارع الشيخ عبدالله.. بالمنامة. فى بيت يملكه التاجر الثرى المعروف.. منصور محمد حسين العريض.. يضم العديد من الغرف والاقسام ويتألف من دورين وسطح. كانت هذه الغرف.. صفوف الطلاب الثلاثة وغرف الادارة.. والاشغال.. والمكتبة.. والمدرسين.. وفى الجزء الغربى من البيت.. كانت تقوم دائرة المعارف بمكاتبها المتعددة. وفى الدور العلوى.. القسم الداخلى الذى يضم الطلاب المنخرطين فى مدرسة الصناعة والمدرسة الثانوية والذين توجد منازلهم فى مدينتى المحرق.. والحد.. وبعض القرى. ،،

كان عدد طلاب المدرسة حين التحقت بها لا يزيد على 50 طالبا فى جميع الفصول.. وبدا انها تعاني من نقص فى عدد المدرسين واختلال فى الادارة. فخلال السنة الاولى تولى الادارة فيها مديران.. هما الاستاذ محمد خير الدين الحبال.. والاستاذ نديم احمد الحلاق.. ثم بعد فترة وجيزة.. الاستاذ عبدالله البيضاوى. وجميعهم كانوا لبنانيين.. وبما يكشف عن حقيقة ذلك.. ان مدير المعارف نفسه (السيد ويكلن) قام فى فترة من الفترات باعطائنا بعض الدروس فى الرياضيات.. كما كان يقوم بالتدريس لبعض الوقت ايضا مدرسون متدبون.. اذكر منهم الاستاذ الشاعر ابراهيم العريض.. فى حصته «الجبر» والاستاذ محمد قاسم الشيراوى.. لاعب المحرق المشهور فى كرة

القدم .. وكانا يحضران لاعطاء الدروس في جميع فصول المدرسة .. وليس في فصلنا فقط . اما المناهج والمقررات .. فانها لم تكن مستقرة على حال .

في الايام الاولى من الدراسة .. قامت المدرسة بتنظيم رحلة الى جزيرة المحرق .. كانت بالنسبة لي وبعض الطلاب الآخرين الزيارة الأولى .. أمضينا فترة الصباح في احد البساتين الجميلة الواقعة على شاطئ البحر .. وقدم زملاؤنا من اهل المحرق فنونا متنوعة من الغناء والرقص الشعبي واشاعوا بين المشتركين في هذه الرحلة جوا من المرح .. والاشراح .. طيلة اليوم . وظهر اولئك الطلاب من المحرق مهارات لا ينافسهم فيها منافس .

وقبل عودتنا الى المنامة .. بحلول المساء مررنا بمطار المحرق القائم قريبا من بستان الرحلة .. وألقينا عليه نظرات سريعة التقطت خلالها بعض الصور التذكارية .. لكنني لم احصل على اي منها حتى الآن .. لقد كانت هذه الزيارة .. ورحلة اليوم .. فرصة مفيدة لزيادة وعينا ومداركنا .. وفاتحة للعديد من الزيارات والجولات .

تكون في المدرسة فريقان للخطابة والتمثيل .. وانضم للفريق الثاني عدد من طلاب صفنا .. وكانت باكورة الاعمال التي قام بها هذا الفريق .. مسرحية قصيرة من مشهدين او ثلاثة .. بعنوان «الخنساء» وتوليت فيها هذا الدور . ومرت علينا بضعة ايام كنا نتدرب فيها على اداء الادوار .. لم يحملنا المشرف على المسرحية عناء ارتداء الملابس الخاصة التي يقتضيها كل دور .. وقدمنها امام طلاب الفصول في المدرسة صباح احد الايام وحضر لمشاهدتها بعض المدرسين من المدارس الحكومية الذين تمت دعوتهم من ادارة المدرسة .. قمت باداء دور البطولة في هذه المسرحية خير قيام . وشهد الجميع لي بذلك .

كنا نحضر التمارين الرياضية التي تقيمها المدرسة صباح كل خميس .. على ارض ساحة مكشوفة بحديقة بلدية المنامة (الباخشة) التي تقع خلف مبنى مدرستنا .. لعدم وجود ساحة بالمدرسة . وكان مدرس الرياضة هو الاستاذ سلمان زلوف .. الذي سبق وعرفناه عندما كنا في المدرسة الابتدائية .. لطالما كنا نتهرب من اداء هذه التمرينات بعض الاحيان .. لكن الاستاذ زلوف لم يكن يظهر اي اهتمام لمثل ذلك . بل يدعنا نتجول في انحاء الحديقة .. ونقتطف بعض الاثمار التي نجدها خلال الجولات .. مثل التين والتوت .. كان الممر الطويل الموصل بين باي الحديقة في جهتيها الشمالية والجنوبية .. هو مضمار الالعاب التي نقوم بها عندما نزور الحديقة .. لم تقتصر زياراتي الى

الحديقة خلال التمارين الرياضية . بل كنت احيانا ازورها بعد الظهر . . والعصر . . فكان نواطير الحديقة التابعون للبلدية لا يألون جهدا في السماح لي بالدخول وذلك بفضل العلاقة التي تربطني والزميل عبد الحميد الشتر .

في وقت سابق لدخولنا المدرسة الثانوية . . كانت الحديقة تضم بعض الحيوانات . . الاليفة والمتوحشة . . مثل الدب والنمر والقروذ . . والغزلان وحمار الوحش المنقط . . وطائفة من الببغاوات والطيور . وكان الناس يحضرون مع اطفالهم لمشاهدة هذه الحيوانات . . وهى رابضة في اقفاصها الخاصة . الا ان هذا الوضع تغير في السنوات التالية . . وتغير معها وضع الحديقة نفسها .

كما لازلت اتذكر ان الحديقة في وقت سابق ايضا كانت تضم «كشكا» جميلا اقيم في احدى جنباتها . . الشرقية . . وفي عصر كل يوم جمعة . . يحضر مجموعة من رجال فرقة «الموسيقى» التابعة لشرطة الحكومة . . حيث يعزفون بعض وصلات الموسيقى الكلاسيكية على آلاتهم النحاسية . . كوسيلة من وسائل الترويح . . المتاحة في تلك الايام . . الا ان ذلك توقف مؤخرا . . بعد ان تحولت الحديقة الى وضع آخر . . فقد اقيم على طرف فيها في الناحية الغربية . . مدرسة حديثة للبنات . . عرفت بمدرسة الزهراء منذ اوائل الخمسينات . . وانشئ في طرف آخر من ناحية الشرق مركز للاطفال . . وحول الممر الطويل فيها الى طريق عام . . زالت الحديقة واعى اي اثر لها ولكن «الباشخة» بقيت حاضرة في اذهان الناس . . الى اليوم .

عودة للحديث عن القسم الداخلي . . فبالاضافة لكونه مقرا لسكن طلاب مدرستي الصناعة والثانوية . . من غير المقيمين في المنامة . . فقد كان مركزا للنشاط الذى تقيمه دائرة المعارف في كثير من المناسبات . . تولى ادارة القسم منذ تأسيسه موظف مسئول . . هو الاستاذ «ناير» وهو هندي الأصل كان يجيد الحديث باللغة العربية . . ومشهورا باناقته المميزة في ملابسه . . في مبنى القسم كانت تقام بعض الحفلات والنشاطات . . سواء الحفلات التى يقيمها طلاب القسم انفسهم . . او تلك الحفلات التى تقام احيانا لكبار الزوار التى تستضيفهم دائرة المعارف . اذكر اننا في احدى المرات حضرنا حفلة العاب سحرية يقوم بها لاعب انجليزى اسمه (يونج) . وكان من بين طلاب القسم . . طلاب من الكويتيين المبتعثين للدراسة في البحرين . وكان لهم نشاط ملحوظ .

كنت احرص على زيارة القسم الداخلي . . كلما سنحت الظروف لي بذلك . وكنت اتناول بعض وجبات الطعام فيه بترتيبات خاصة مع الاستاذ «ناير» وفي نفس الوقت

كنت احرص على تقوية الصلات مع الطلاب المقيمين فيه . . واذكر انه كان يعمل في مطابخ القسم اخوان من مدينة المحرق . . هما غلوم . . ومحمد جعفر . وقد بقيا في الخدمة سنوات طويلة .

كانت مطابخ القسم الداخلي - كما علمت - هي الجهة التي تزود المدارس . . بطلبات الطعام وغيرها في الرحلات التي تقيمها لطلابها .

وفي جانب آخر من المدرسة . . خصصت احدى الغرف للمكتبة وكان لهذه الغرفة باب تطل منه على الطريق العام . . وقامت ادارة المدرسة . . ثم دائرة المعارف فيما بعد . . بتزويد المكتبة بمئات من الكتب . . والمؤلفات . . والمطبوعات في الفنون والشعر والادب والجغرافيا وفي علوم الدين . . والقصص . . وغيرها . وكنا نرتاد المكتبة خلال فترات الاجازة القصيرة . . بين الحصص .

ثم تحولت المكتبة . . الى مكتبة عامة يزورها الراغبون في الاطلاع . . واستعارة الكتب . . بعد ان قام المسئولون بسن نظام خاص لهذا الغرض . كان يشرف على المكتبة في ايام تأسيسها . . الاستاذ مصطفى صبحي . . احد المدرسين المغتربين الذين وفدوا للتدريس . . ثم تولى امانة المكتبة بعد سنوات الاستاذ محمد حسن صنفور . . وظل مسئولا عنها سنوات طويلة . في هذه المكتبة تفتحت عيوننا على عالم زاخر بالفكر . . والخيال . . وكنت مع بعض الزملاء من الطلاب نحضر مساء كل يوم . . ونقضي ساعات في قراءة الكتب من كل صنف ولون لمشاهير الكتاب . . العرب والاجانب . . ومن هؤلاء . . طه حسين . . والعقاد . . وزكي مبارك . . وتوفيق الحكيم . . والمنفلوطي . . وسلامة موسى . . والزيات . . واسماء لامعة . . لا تنقطع .

الطريف . . اننى في احدى زياراتي الى اماره «الشارقة» بدولة الامارات العربية المتحدة . . عثرت على كتاب قديم كثيرا ما استهوانى . . في مكتبة المدرسة . . هذا الكتاب وجدته معروضا للبيع في مجموعته الكاملة التي تزيد على ٢٠ مجلدا . . بسعر زهيد هو قصة (روكابول) ولكن صديقا عزيزا سبقني لشراء المجموعة التي كانت الوحيدة في تلك المكتبة .

في المدرسة توثقت علاقتي بالاستاذ ابو القاسم فيضي مدرس اللغة الانجليزية . . كان هذا المدرس يتمتع باحترام وتقدير جميع المدرسين والطلاب في المدرسة . . لما عرف عنه من نبل المشاعر . . والاخلاق الرفيعة . . والادب الجم . كان يقوم بتقديم دروسه في اسلوب . . قل ان ينافس فيه احد . وكنا نتمنى ان تطول الحصة في الفصل . . بعكس

مدرسين كثيرين مررنا بهم في حياتنا الدراسية. كان الاستاذ «فيضي» يكافئ الطلاب المبرزين في مادته.. بأهدائهم بما كان يحصل عليه من بلده «شيراز» في ايران من فاكهة لذينة مثل العنب.. والتين.

لم يكن غيره من المدرسين يعاملنا مثل هذه المعاملة. لقد كنا مشدودين اليه.. وقبل نهاية السنة باسابيع فوجئنا بغياب الاستاذ «فيضي» وانقطاعه عن تقديم دروسه ثم علمنا بعد ايام ان الاستاذ فيضي قد طلب منه مغادرة البحرين لاتهامه باعتناق «المذهب البهائي» المناهض لتعاليم الدين الاسلامي. لم نكن في تلك الايام نعرف شيئاً عن هذا المذهب. فقد كان استاذنا.. يستشهد في اقواله كثيراً بآيات من القرآن الكريم. ولم يبد منه في اي وقت ما يمكن ان يفسر انه ضد الدين. ولم نصدق ما كنا نسمعه عنه. اننى لأتذكر ان الاستاذ فيضي قام بتصميم احدى اللوحات الفنية.. كانت موجودة في مقر «نادي العروبة» القريب من مدرستنا. كانت هذه اللوحة تحمل اسم النادي في زخرفة اسلامية جميلة مستوحاة من آيات القرآن الكريم. حزنا كثيراً على غياب الاستاذ فيضي. ومنذ سفره من البحرين لم نسمع عنه شيئاً.

يذكرني الاستاذ فيضي.. بمدرس آخر لا انساه هو الاستاذ «صبحي الدحلة» وهو فلسطيني من الذين قدموا بالتدريس ولكن لم يقدر لهم ان يبقوا طويلاً. كان الاستاذ صبحي انيق المظهر.. دائم الابتسام. وكان يرتدى بدلات انيقة.. يعلوها العقال العربي والغترة.. وهو الزى البلدي الفلسطيني المعروف. سمعنا ان الاستاذ الدحلة غادرنا للعمل في المملكة العربية السعودية.

من ذكريات المدرسة.. في صباح احد الايام نقل لنا الاستاذ الدحلة.. خبر وفاة الطفل «تيموثي» ابن السيد ويكلن مدير المعارف.. على اثر عملية جراحية غير ناجحة في «اللوزتين» في مستشفى الحكومة.. في النعيم. وهذا الطفل لم يتجاوز الستين. كان لهذا الخبر.. اثره المؤسف لدى جميع طلاب المدرسة.

ابان اشتداد الازمة الاقتصادية القائمة خلال الحرب والتي تمثلت في انقطاع المواد الغذائية والملبوسات.. وغيرها. رغبت دائرة المعارف في مساعدة طلاب المدارس الحكومية في الحصول على ما يحتاجون اليه من القرطاسية.. والدفاتر.. ومن اطرف ما حدث في هذا الشأن.. قيام الحكومة بطبع كمية كبيرة من الدفاتر في احدى المطابع

الهندية . . في مدينة كراتشي . . وعندما وصلت الكمية الى البحرين . . اكتشف المسئولون وجود خطأ في الكتابة على هذه الدفاتر . . فقد كتب عليها بحروف بارزة . العبارة التالية : (. . . مدرسات الحكومت البحرين) . . وواضح انها عبارة ركيكة تقرب في شكلها الى لغة «الاردو» المستعملة في الهند . . ولم يكن من مفر . . نظرا للكمية المستوردة . . الا توزيعها على التلاميذ . وظلت قصة هذه الدفاتر مثار تعليق كل من اطلع عليها . . ولحسن حظي فقد احتفظت بعدد منها . . وهي موجودة لدي حتى الآن . من بين المدرسين الفلسطينيين الذين لا انسى مواقفهم النبيلة . . مع الطلاب . . الاستاذ عارف محمود . . مدرسنا خلال الدراسة الابتدائية . في اللغة العربية . . والتاريخ والجغرافيا . كان الاستاذ عارف يزجي للطلاب الارشاد والتوجيهات السديدة . وكان هو الوحيد من بين المدرسين الآخرين الذي ينصح تلاميذه بضرورة مواصلة التعليم . . ونيل الشهادات العالية . . والسفر الى احدى البلاد العربية . . او غيرها لنيل مثل هذه الشهادات . وخلال انتقالنا الى المدرسة الثانوية . . نقل الاستاذ عارف الى المدرسة الابتدائية «الشرقية» التي انشئت حديثا مقابل مدرستنا وعين اول مدير لها . . كنت احيانا اجد في نفسي الجراءة في الدخول على بعض المدرسين في غرفتهم الخاصة بالمدرسة . . واستمع الى ما كان يدور بينهم من احاديث غريبة حول الاحوال في بلادهم . وفي مرة من المرات سمعتهم يتحدثون عن «الرقابة» التي فرضتها الحكومة على جميع الرسائل التي تصلهم بالبريد من اهاليهم في سوريا . . ولبنان . . وفلسطين . كانوا يتذمرون من فرض هذه الرقابة . . ومن غلاء أسعار المواد الغذائية . . وانعدام وسائل الترويح . . وغيرها .

كانت الحرب لا تزال دائرة في جميع الجبهات . . وانباء القتال تصلنا بين حين . . وآخر . . ولازال الناس في البحرين يكتفون بناها مما تركته من آثار سيئة على الحياة العامة . . وكنت في بعض الأيام أقوم بنقل موجز لأهم الانباء على السبورة في غرفة الفصل بعد ان استمع الى نشرات الاخبار التي نسمعها مساء كل يوم في بيت عمي . . ومرة اطلع الاستاذ عبدالله البيضاوي القائم باعمال مدير المدرسة حينذاك على هذه الكتابة في الفصل وابدى دهشته . . ونصح بعدم تكرار هذه «الفعلة» !! واقتربت السنة الدراسية من الانتهاء . . وحلول الاجازة الصيفية . ودخلنا الامتحانات . . وانتهت الأمور والحمد لله على احسن ما يرام . . وكما حدث في العام الماضي . . رحنا فيما بيننا نشاور في الاستفادة من الاجازة الطويلة التي تنتظرنا .

لم يكن امامنا الا أن نطرق ابواب شركة النفط.. فلقد مرت بي تجربة سابقة حين التحقت بها في اجازة العام الماضي.. وذهبت لوحيدى صباح احد الايام الى مكتب التوظيف بعوالي.. واخبرت الموظف الهندى المسئول بالمكتب بطلبى.. والخبرة السابقة.. ولم يطل في الانتظار فقد اتصل تليفونيا باحد المسئولين الذى رد عليه بالموافقة وذكر لي انه لا حاجة لتقديم اى امتحان.. للوظيفة.. لأنها وظيفة مؤقتة.. وطلب ان احضر لمباشرة العمل بعد يومين.. كما اخبرنى ان دوام العمل سيكون صباحا.. وفى مكاتب مكيفة.. وقد كدت اطيّر من الفرح ولم اصدق ان احصل على ذلك في اقل من ساعة.

اخبرت الأهل وبعض من اعرفهم.. عن هذه المقابلة الفريدة.. وقد كانوا مثلى.. لم يصدقوا ما ذكرته لهم.. وحين سألتونى عن الراتب وكى سيكون.. اظهرت لهم عدم اهتمامى به.. وبدأت العمل دون انتظار لأي شىء آخر.. وكان اكثر ما افرحنى هو اننى غير مضطر لتغيير ملابسى المعتادة.. والاكتفاء بالثوب لوحده.. كما يفعل كثيرون من الموظفين المتحقيّن بالعمل.

كان المكان.. هو مكتب شئون الموظفين Personnel Office ويقع فى صالة كبيرة مكتظة بالمكاتب والاقسام.. ويختص بتوزيع شارات العمل.. للموظفين والعمال.. وكان يزاملنى فيه موظف من العرب وكان العمل سهلا.. وتنقضى الساعات فى الاحاديث.. والحكايات.. وفى غضون ايام قليلة تعرفت الى طالب يعمل فى مكتب قريب من مكتبنا.. من مدينة المحرق.. وظلت علاقتنا متصلة بعد سفري الى القاهرة هو على.. الذى اصبح فيما بعد من رجال الاعمال المعروفين فى البحرين.. اما الراتب فقد كان مبلغ ١٧٥ روية فى اليوم وقد كان مثل هذا المبلغ مقبولا فى تلك الأيام.. بالنسبة لسنى ولطبيعة العمل ذاته.

وحين استعرض ذكرى تلك الايام فى العمل.. يخامرني شعور قوي بانها كانت اجمل الايام واسعدها.. رغم ما كان يحيط بنا من مصاعب حياتية.. وظروف اجتماعية قاسية.. واستفدت كثيرا من تجارب الذين تسنى لي الاختلاط بهم فى تلك المكاتب.. فقد كانت الاحاديث معهم.. اكثر من واجبات العمل.

امضيت فى عملي بالشركة ما يقرب من شهرين.. ومع قرب بدء العام الدراسى الجديد.. كان لابد من توديع الاصدقاء الذين تعرفت اليهم.. وشكرهم على المساعدة القيمة التى قدموها.

شئون الحياة .. رجال اعمال .. ومثقفون .. وهواة في كل فن .. ومنهم المساكين والمعدمين الذين لم يتقدموا شبرا واحدا في حياتهم حتى اليوم .. وهذه مقادير الحياة الدنيا في كل عصر وزمان .. ليس غرضي من هذا التمهيد ان انقل سيرة حياتهم .. لكني هنا فقط أنقل بدون الذكريات التي انطبعت في نفسي عنهم .. وفي اختصار شديد .. وهي ذكريات لا تخفي دلالتها .. كما أراها .

اولهم .. عبد الحميد عبد علي العليوات .. من زملاء الدراسة في المرحلة الابتدائية .. كنا نسكن حيا واحدا .. ومن مواليد السنة التي ولدت فيها .. كنا نلتقي صباح ومساء كل يوم تقريبا جمعنا هواية واحدة .. او بالأحرى التطلع لتحقيق هذه الهواية وإن اختلفنا في الافكار .. والافعال .. كانت الصلات به وثيقة .. وخلال دراستنا في المدرسة الابتدائية اقترح هذا الزميل علي يوما تأسيس جمعية او نواة نادى في الواقع .. يضم شتات ابناء منطقتنا من الطلاب وأولاد الجيران .. او من يرغب الانضمام اليه .. خلال اجازة المدرسة الصيفية .. وإيام الجمعة .

وقد تحققت بعض الخطوات على طريق هذه الفكرة . فقد كنا نجتمع في احدى غرف بيت الزميل مع اخوته .. ومن انضم اليها من طلاب المدرسة .. دفع كل واحد مبالغ زهيدة لتعديل ديكور الغرفة وتنسيق قطع الاثاث فيها . وبقينا نحضر .. الى هذا المكان حيث ننهمك في مطالعة الصحف .. من جرائد ومجلات كانت تصدر في تلك الأيام .. . ويصل بعضها الى البحرين . اذكر من بينها مجلة «المقتطف» و «الهلل» واللطائف المصورة .. ومجلات من العراق .. وسوريا .. كنا سعداء بمطالعة هذه الصحف . ونقضى الساعات الطويلة في مناقشة ما ورد فيها من مقالات .. وموضوعات .

كان من الجائز اننا لو تمسكنا بمشروع النادى والحماس الدافق الذى يغمر نفوسنا ان يتطور الامر ويتحول المشروع الى نادى بالفعل .. لكن الرياح سارت بنا .. وبه الى ما لا نشتهي . ومرت سنوات طويلة بعد افتراقنا لم التق فيها بالزميل .. حتى انتقل الى رحمة ربه .

الزميل الثاني .. عبد الحميد نعمة داغر .. التقيت به في السنة الاولى من الدراسة الثانوية .. وتوثقت العلاقات معه .. عراقي الجنسية .. وكان والده يعمل في وظيفة كبيرة في شركة التنقيب عن النفط في قطر وامارات الساحل المتصالح المعروفة يومئذ باسم «P.C.L» عرف عن عبد الحميد هذا .. شقاوته الزائدة .. ومشاغباته .. وكثيرا ما دخل في معارك مع بقية الطلاب لأنفه الاسباب .. وكان شديد الاعجاب بنفسه .. لكنه حين يجد الجدد .. يتراجع بسرعة . عرفت عن عبد الحميد شغفه .. او جنونه بالاغاني . وكما

يحفظ عن ظهر قلب كما يقولون أغاني الموسيقىار محمد عبدالوهاب . . الشائعة في ذلك الوقت . . ولطالما جرجرنى الى اروقة المدرسة وممراتها لسمعنى شيئاً مما يحفظه ويهواه . كنت الاحظ ميله لي . هل لأننى انا ايضا احفظ تلك الاغاني التى يرددها . كان عبدالحميد يملك صوتاً جميلاً . . ولا شك . ومن الاغنيات المفضلة التى كان يرددها كثيراً اغنية قديمة لعبد الوهاب يغلب عليها طابع الحزن . . والشكوى مطلعها :

ايها الـــــراقـــــدون تحت التراب
جئـت أبـكـي على هـــــوى الأحبـــــاب
كـــــان لي في الحـــــياة من ارتجـــــيـــــه
ثم ولى والعمـــــر فجـــــر الشبـــــاب

أغنية طويلة . . لم تعد تسمع في الاذاعة هذه الأيام . . من الاغنيات الاخرى . . طول عمرى عايش لوحدي . . يا جارة الوادي . . جفنه علم الغزل . الغريب ان عبدالحميد لم يكن يميل الى الاغاني العراقية . . لم يكمل عبدالحميد الدراسة معنا في السنة الثانية . . وغادر مع عائلته الى العراق . . ثم علمت بعد مرور سنوات انه عمل لبعض الوقت في «مصرف الرافدين» العراقي بالدوحة . . في قطر . . في وظيفة محاسب . . وعلمت انه كان يزور البحرين في فترات متقطعة خلال الثمانينات . . والتقيت به في احدى المناسبات في نادى العروبة (شارع الزيارة) ثم انقطعت اخباره .

ثالث زملاء . . عبدالحميد محمد صالح الشتر . . ولعل القارىء لاحظ من غير عناء اننى اوردت اسم هذا الزميل مرات في مكان آخر . . لقد ربطت بيننا الصداقة وأواصر المحبة اكثر من اي زميل آخر . . كان زميلاً في الابتدائية والثانوية . . وفي بعثة القاهرة . . ايام الدراسة فيها . بل اننا كنا نشغل درجا واحدا في غرفة الفصل في جميع المدارس التى مررنا بها . عاش عبدالحميد طيلة سنى حياته مرفها ومنعماً . . فقد كان وحيد ابويه . . ومنذ نعومة اظفاره كان يميل الى الاشتغال في الاعمال الحرة . . وكان هذا تفكيره دائماً . كان شديد الاهتمام بانباء الحرب وما يدور في ساحاتها . . وكان واسع الاطلاع على الاحوال السائدة في العراق . . بصورة خاصة . ويحفظ اسماء واحوال العشرات من الوزراء والمستولين الكبار . . والقادة وغيرهم في هذا البلد العربي بصورة تدعو للدهشة .

بعد عودتنا من القاهرة اواخر 1946 افتتح له مكانا صغيرا يبيع فيه الملابس وبعض المعروضات . . في سوق المنامة . الا انه لم يتوسع كثيرا في تجارته رغم الامكانيات التي توفرت له . . كان دكانه بمثابة المحطة التي نتوقف فيها كلما قصدنا زيارة السوق . . ولكم حزنت لنبا وفاته المفاجئة حين سمعت عنها وانا في زيارة . . في لندن صيف عام 1983.

رحم الله عبد الحميد . . فقد كان نعم الزميل الوفي والصديق المخلص لكل من عرفه من طلاب المدرسة . . او غيرهم .

اما رابع المحاميد . . فهو الزميل عبد الحميد عبدالملك الشهابي . . من اصغر زملاء الدراسة سنا في الثانوية . . طالب من المحرق . . ذكي . . نقي . . تقي . . كان خجولا دائما في علاقته مع الطلاب . . لا يتكلم الا همسا . كنت لاحظ معاناته من مشكلة هي تحاشيه من الاحتكاك ببقية الطلاب . . وكان يجهد نفسه في ذلك . ويلفه بعض الغموض في حركاته . . لم يوفق عبد الحميد في السفر معنا الى القاهرة . اذ انه قرر قطع دراسته لاسباب كان يراها . . وسافر الى الولايات المتحدة الامريكية . . وهو لا يزال في سن مبكرة للدراسة والعمل اذا تيسر له ذلك . . وكان واثقا من انه سيكون قادرا على خوض هذه المغامرة والسير في هذا الطريق .



■ عبد الحميد عبد الملك الشهابي

بقى عبد الحميد في امريكا ردحا من الزمن . . اكتسب فيه الخبرة والمعرفة في ادارة الاعمال . . والتحق بإحدى الشركات لدى عودته

لكنه بقي على خجله المعهود . . ثم ما لبث ان ترك العمل وغادر البحرين مرة اخرى . . الى الولايات المتحدة . . وربما الى غيرها من البلاد . وكنا نتبادل الرسائل خلال السنوات الاولى . . عندما كنت في القاهرة وكان يزور البحرين بين فترة . . واخرى . . ثم يعود مرة اخرى الى الخارج ، وظل هذا دأبه دائما ، وآخر ما عرفته عنه انه استقر في عمل خاص به في دولة الامارات العربية المتحدة . . في ابوظبي . ولكن الرسائل بيننا انقطعت تماما .

ما ان انتصف العام الدراسي حتى لاحظنا وجود خلل ما او ما يشبه التدهور في سير

حركة التعليم بالمدرسة . ولم تكن في وضع يمكننا من اكتشاف اسبابه . . او نتائجه . . لكن الشيء الواضح كان يتمثل في نقص عدد المدرسين . . كان موعد الامتحانات السنوية يقترب سريعا . وكان المدرسون والطلاب يتناقلون اشاعات واقاويل لا حصر لها عن مستقبل الدراسة في المدرسة . . منها ان فصول التدريس (الصفوف) في المدرسة لن تتسع لقبول الاعداد القادمة من طلاب المدارس المنقولين للدراسة في مبنى المدرسة . . اذا لم تبادل دائرة المعارف في توسعه الفصول . . استعدادا للعام القادم . . واشاعة ثانية تقول ان السبب هو اختلاف المناهج المطبقة . . عن المناهج المصرية . الى غير ذلك من الاقاويل . . هذا الى جانب النقص الحاصل في عدد المدرسين المكلفين في المدرسة . . وأياً كانت الاسباب فان المهم اننا دخلنا الامتحانات واديناها . . ونجحنا والحمد لله . وبتنا نتقرب حلول موعد الاجازة الصيفية . في صباح احد الايام حضر الاستاذ حسن يوسف . . مدير المدرسة وابلغنا ان الاجازة الصيفية هذا العام ستكون اقصر . . خلافا لما جرت عليه العادة كل سنة نظرا لبعض الاعتبارات التي رأتها دائرة المعارف . . دون ان يفصح او يشرح لنا تلك الاعتبارات . . كان المدير . . يردد لنا انه - شخصا - لا يعرف هذه الاعتبارات .

في يوم اخر . . طلب الاستاذ حسن من جميع طلبة الفصول الثلاثة التواجد في غرفة صفنا (الأكبر من بين الفصول) وذلك لابلاغهم بخبر هام . وقبل موعد الانصراف ظهر ذلك اليوم . حضر الاستاذ حسن واخبرنا ان حكومة البحرين تعتزم ابتعاث عدد من الطلاب في المرحلة الثانوية . . لاستكمال دراستهم في معاهد القاهرة . وذكر ان الاستاذ العمران . . نائب مدير المعارف يجري الاتصالات اللازمة مع السلطات المصرية . . وانه سيقوم بأبلاغنا في وقت قريب بجميع التفاصيل . . لكنه - اي المدير - لا يستطيع ان يحدد العدد المطلوب لطلاب البعثة . . ولا الاشتراطات التي ستقرها الحكومة . وقال الاستاذ حسن ان ما يدفع الحكومة للشروع في هذه الخطوة . . رغبتها الجادة في رفع مستوى التعليم في البحرين . وانها وضعت تحقيا لهذه الرغبة مشروعا كبيرا سيعلن عنه في الأيام القادمة .

كان من المعروف . . ان الحكومة قد بعثت خلال هذه السنة ببعض الطلاب والمدرسين لتأهيلهم في معاهد القاهرة . وانهم فيها منذ غادروا البحرين في مطلع السنة . كان من بينهم هؤلاء الطلاب ثلاثة من طلاب السنة الثالثة في مدرستنا . . ثم سمعنا بعد ذلك ان عدد اولئك هم تسعة اشخاص . . وليس ثلاثة كما كنا نظن . وترامت الى اسماعنا شائعة جديدة تقول ان الحكومة سترسل عددا من طلاب الثانوية الى مدينة «كراتشي»

بالهند لدراسة هندسة اللاسلكي . . لكن الايام تصرمت دون ان تتحقق هذه الاشاعة .
عصر احد الايام جمعنا جلسة مع مدير المدرسة وبعض المدرسين لطرح الاسئلة .
والاستفسارات عن شئون البعثة والخطوات ومعرفة اسماء المرشحين لها . . والشروط . . وما
تتطلبه من نفقات واستفسر بعض الطلاب عن الاحوال في مصر . . وموضوعات
عديدة . . ورد الاستاذ على بعض الاسئلة الموجهة . . لكنهم لم يردوا على اسئلة كثيرة
تقدمنا بها . مما جعلنا نضرب احماسا في اسداس ونعيش ساعات من الحيرة والاستغراب
عن كل ما سمعناه منهم .

في اليوم التالي . . اغلقت المدرسة ابوابها . . وتفرق الطلاب . وراح كل واحد منا
يحدث نفسه قبل ان يحدث الاخرين . ومن منا سيكون سعيد الحظ . . ويقبل في البعثة
المقترحة .

اسرعت وابلغت والدي - رحمه الله - بالخبر وظهر لي انه يعرف عنه قبلي . لكنه - كما
قال - لم يشأ ان يفاجئني لعدم وثوقه من بعض الملاحظات . لكنه اكد لي بانه سيكون
اول الموافقين والمؤيدين لسفري اذا ما تم اختياري في البعثة . كنت متيقنا من ان الوالد
سيكون اول من يؤيدني برغم ما يعاينه كرب اسرة في حياتنا المعيشية القاسية . فلقد كان
طول حياته يؤيد العلم واصحابه . ووقف حياته كلها في السير في هذا الطريق . كما انه
اكد لي بانه سيبدل الغالي والرخيص . . لتحقيق هذه الامنية العزيزة الغالية .

بدأنا الاجازة . . ولم يكن في نيتي العمل خلالها كما حدث في العامين السابقين لعلمي
بان هذه الاجازة قصيرة جدا كما ابلغنا مدير المدرسة . وخلال هذا الوقت كان الوالد -
رحمة الله عليه - يوالى اتصالاته مع عدد من اولياء امور الطلاب بالمستولين في دائرة
المعارف . . وبيت المستشار (دار الحكومة) للوقوف على اخر الاخبار عن ارسال البعثة .
كان موقف والدتي - رحمة الله عليها - وبعض الأهل . . والاصدقاء يشوبه شيء من
الاعتراض على السفر . وكانوا يقولون في مجالسهم وندواتهم ان السفر الى بلاد بعيدة . .
مثل مصر . ليس بالأمر الهين لاطفال صغار في مثل اعمارنا . . فهم لا يعرفون شيئا عن
احوال المعيشة فيها . . كانوا متأثرين بما تحمله انباء الصحف والمجلات التي تصل
البحرين . . وما يشاهدونه من حكايات وقصص في الافلام السينمائية التي بدأت تعرض
على الشاشة . في دور السينما . . لم يكن معظمهم يفرقون ما يدور في مثل هذه الافلام
وما يجري على ساحة الحياة العملية !

أمضينا أوقاتا جميلة . . زيارات متبادلة . . ورحلات الى المزارع والبساتين . . وتنظيم
رحلات نبيت فيها احيانا خارج البيت . كان يحضر معنا في بعض هذه الرحلات . .

مطربون وفنانون اخرون . اذكرك من بينهم المطرب الشعبي المعروف . . محمد زويد . كانت الاجرة التى يتقاضاها لا تزيد عن روييات قليلة يدفعها المشتركون في الرحلة عن طيب خاطر . . كان لا يمر اسبوع الا ونشترك في رحلة جديدة . . وذهبنا مرة او مرتين في رحلات بحرية . . في هذه الاجازة كثفت من زياراتي وترددي على نادي العروبة . . وكان يصحبني فيها عدد من الاخوان والزملاء . امثال علي راشد . . ومحمد علي المسقطي . . وعلوي السيد خلف . . كما كان يحضر الى النادي . . ابناء واقرباء اعضاء النادي . . ممن كانوا في مثل اعمارنا . . نقضى بعض الساعات في الاطلاع على الصحف والمجلات او نزاول بعض الالعب الخفيفة الموجودة مثل الدامنه . . والكريم . كما كنا في ليالي كثيرة بعد انتهاء زيارتنا الى النادي . . نقوم بجولات الى مناطق متعددة من النامة . . يوم ان لم يكن اي منا يحلم ان يتجول في سيارة فضلا عن ان يمتلك سيارة . . مناطق مثل الجفير . . وام الحصم والخور . . وجسر المحرق . ومناطق بعيدة . . حتى عين عذاري . وسوق الخميس . . وغيرها . اما في وقتنا الراهن فهذه وغيرها لا يكاد الانسان يصل اليها او يراها . . الا عندما يكون في سيارة . تغيرت معالم هذه المناطق . . وامتد التقدم العمراني الى كل زاوية من زواياها . . حتى بات اهاليها انفسهم ينكرونها . . ولا يتذكرون شيئا منها بعد ان تغير فيها كل شيء .
انها الايام!



« وقبل ان تنقضى الاجازة الصيفية باسابيع قليلة.. تسلم اولياء امور الطلاب رسالة رسمية صادرة من ادارة مستشار حكومة البحرين تبلغهم فيها بموافقة الحكومة على سفر طلاب المدرسة الى مصر. وقد جاءت على الوجه التالي: »

ادارة مستشار حكومة البحرين
رقم E 2 - 1372 / 1964
26 شعبان 1964 هجرية

القسم الداخلي في القاهرة

نفيدكم انه من المأمول ان يؤسس قسم داخلي بالقاهرة لكي يسكن به التلاميذ البحرينيون الذين يكملون دراستهم الثانوية في مصر.. تحت اشراف ملاحظ خاص يعين لذلك.. ان تأسيس هذا القسم الداخلي يعتمد على اساسين:

- 1- فيما اذا يمكن الحصول على محل مناسب بالقاهرة.
- 2- فيما اذا يمكن للسلطات المصرية قبول هؤلاء التلاميذ.

وبما ان التكاليف التي ستتحملها حكومة البحرين باهظة فانه يرجى من آبائهم الذين تمكنهم حالتهم المالية ان يساهموا بدفع مبلغ سنوي قدره 683 روبية.. وذلك ما يعادل 50 جنيها مصريا تقريبا.. وهذا هو المبلغ المقدر لمصروف الالبسة ومصاريف الجيب السنوية. وعندما نرتب هذه المسألة نهائيا سوف لا يسمح للتلاميذ بالسفر ما لم يكونوا مزودين بما يأتي، علاوة على البستهم الخاصة.

- 1- زوجين من اغطية الفراش.
- 2- برنوصين (كمبلين).
- 3- وسادة واحدة.
- 4- ثوبين للوسادة.
- 5- قاط (بذلة افرنجية متوسطة الثقل).
- 6- زوجين من الاحذية (جوتى).
- 7- ستة ازواج من الجرابات (دلاغات)
- 8- أربعة قمصان.
- 9- زنجفرات.

ان هذه الاشياء يجب ان تعتبر اقل حد ممكن بما هو ضروري من الالبسة. ربما يستقيم التلاميذ في مصر من سنتين الى ثلاث سنوات اواربع سنوات. وهذا بالنسبة لمؤهلاتهم الثقافية والاجتهاد الذى يبذلونه في دراستهم. اما من خصوصي اجور السفر للرجوع الى البحرين اثناء هذه المدة فسوف لا تدفعها الحكومة. ويرسل هؤلاء التلاميذ الى مصر لكي يتعلموا على شرط ان يدخلوا في خدمة الحكومة لمدة لا تقل عن المدة التى قضوها في مصر للتعليم. هذا ما لزم.. ودمتم.

(توقيع)
تشارلس دريمبل بلجريف
مستشار حكومة البحرين

وفي اعلى زاوية الرسالة من جهة اليسار كتب عليها بخط اليد الملاحظة التالية :
اشارة لمحدثتكم مع مدير المعارف فقد اسقطت الحكومة عنكم دفع هذا المبلغ المذكور
أدناه .

وبوصول هذه الرسالة . . اصبح الحلم حقيقة . . طلبت من والدى ان يعطيني هذه
الرسالة للاحتفاظ بها ضمن اوراقى . ولم يمانع وكدت اطير من الفرح . . وانا اعيد
قراءتها مرات ومرات . . لكنها اثارت بعض الاسئلة والملاحظات . . التى ظللنا لفترة لا
نعرف ردا عليها . . من ذلك مثلا . . من هم اولياء الامور الذين ارسلت اليهم . حتى
نعرف بالتالى اسماء الطلاب الذين تم اختيارهم . . وعددهم . الامر الثانى . . ان ما من
احد منا كان يقدر ابدا . . ان تمتد فترة الدراسة الى ثلاث او اربع سنوات . . الامر
الثالث ان موضوع البعثة قد جاء مباشرة من مستشار الحكومة . . وهو اعلى سلطة من
مدير المعارف . . وهذا اكبر دليل على جدية الحكومة في الموضوع . اما موضوع
التكاليف . . فقد جاءت ملاحظة الاعفاء في الرسالة كافية لازاحة مثل هذا الهم الثقيل
عن صدورنا . . لم يكن مثل المبلغ المطلوب هينا . . هذا المبلغ يمثل اكثر من راتب خمسة
شهور من راتب والدى - رحمة الله عليه - في تلك الفترة . . كما اخبرني . ولنا ان نتصور
هذا التكليف هذه الايام .

بعد أيام من وصول رسالة الحكومة . . طلب بعض آباء الطلاب من دائرة المعارف
عقد اجتماع لشرح وجهة نظر المسؤولين في كل ما يتعلق بشئون البعثة . وبالفعل عقد
اجتماع بمقر القسم الداخلى حضره سمو الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة (وزير
المعارف) والامستاذ احمد العمران (نائب مدير المعارف) والسيد محمود احمد العلوى (مدير
ادارة المالية) نيابة عن مستشار الحكومة . كما حضر الاجتماع ايضا الامستاذ ناير . . مدير
القسم الداخلى . . لكن لم يحضره احد من آباء الطلبة . . في هذا الاجتماع . . الذى كان
عبارة عن حفلة شاي . شرح الامستاذ العمران الهدف من عقده . وقال ان الحكومة تعزم
رفع مستوى التعليم في البلاد وذلك من خلال انشاء مدرسة حديثة واستقدام عدد اكبر
من المدرسين . . المعارين من مصر . والمتخصصين في مختلف فروع التعليم . . الا انه
اشار الى مثل هذه الخطوات تستغرق وقتا طويلا . . فقد رأت الحكومة ارسال مجموعة
من طلبة المدرسة الحاليين لمواصلة تأهيلهم في المدارس المصرية . . في الوقت الذى ربما
تتأخر فيه تلك الخطوات . ودعى الطلاب الذين تم اختيارهم في البعثة الى التحلي
بالاخلاق الفاضلة . . وتحقيق الامال التى يعلقها عليهم آباءهم والمسؤولون في البلاد .
ومحافظتهم على السمعة الطيبة وتحقيق افضل النتائج بعد اكمال الدراسة وعودتهم الى

رقم جواز السفر . . 663 وهو يحمل تاريخاً واضحاً هو 17 من أكتوبر 1945.

تمت اجراءات الفحص ولم تكن بالصعوبة التي تعودناها . . واعطى كل طالب ورقة بيضاء كتبت باللغة الانجليزية تظهر خلونا من الامراض السارية . . الطريف ان هذه «الشهادة» كانت مشار استغراب رجال الجمارك والسلطات الصحية في القاهرة . . عندما وصلناها . ولم نعرف السبب . ولعلمهم كانوا يطلعون على هذه الشهادات لأول مرة .

في بيتنا.. كما هو الحال بالتأكيد في بيوت بقية طلاب البعثة. كانت شنطة السفر التي اشتريناها تتكدس في كل يوم بما نضيفه من ملابس واغراض.. لا أول ولا آخر لها. غير متقيدين بتلك «القائمة» العجيبة التي تضمنتها رسالة المستشار. فدل «القاط»

قاطين . . ويدل « الستة » درزن . . وهكذا . وكان كل منا يخفي عن الآخر ما يشتره او يحصل عليه من اغراض . كل طالب يعتبر هذه الاشياء سرا من الاسرار الخاصة به ولا يجوز الافصاح عنها . اما النقود . . فهي اكثر من سر . ويعلم الله ان مجموع ما توفر لدي منها رغم المساعدات والعون من الاقارب والاصدقاء لم يزد على مبلغ مائة جنيه مصري . اما بقية الزملاء فقد سمعت ان « بعضهم » قد حضر معه منها مئات .

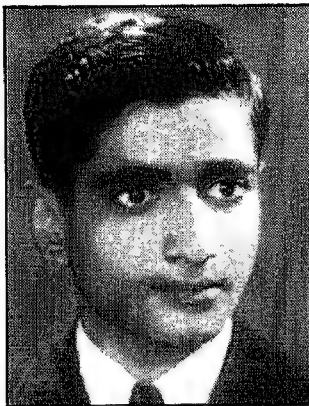
وهذا ليس بغريب فقد كانت حالة كل طالب تختلف عن الآخر . في هذا الصدد لا انسى ابدا . . المساعدة الكبيرة التي اسداها لي وللزميل علي راشد . . الاخوان الكرام . . صالح . . وحسن وحسين المسقطي . . فقد كانوا جميعا على الدوام يقدمون لنا النصيح والارشادات . شاكرين لهم كل عون ومساعدة بذلوها قبل سفرنا . . وطيلة المدة التي امضيناها في القاهرة خلال الدراسة . وكانت رسائلهم وملاحظاتهم ونحن هناك . . تصلنا متضمنة الارشادات والتوجيه وتذليل الصعوبات التي تصادفنا .

حين استعرض الأسماء المذكورة يبدو واضحا ان اختيارهم لم يأت وفق خطة معلومة . فالعدد هو 16 طالبا . . ثمانية من طلاب المنامة . . وثمانية من المحرق . . والحد ومن الصفوف الثلاثة بالمدرسة . لم تؤخذ رغبات الطلاب انفسهم واغلب الظن ان موافقة الوالد أو ولي الأمر او استعداده لدفع التكاليف المطلوبة كان هو الاساس في الاختيار . وهذا ما يمكن ان يعول عليه في هذا الصدد . قد تكون هناك بعض الامور . . او الاعتبارات التي خفيت علينا . . حتى الآن .

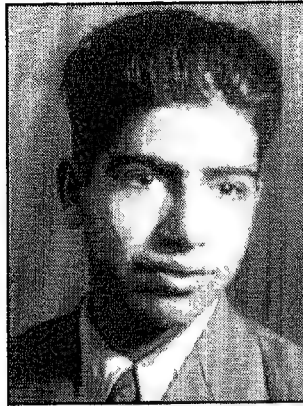
لكن الاحداث التي وقعت خلال بقاء البعثة في القاهرة ثم عودتها غير المرتقبة قد كشف عن بعض الأسباب .

اصبح موضوع السفر شغلنا الشاغل . كنا نحسب الايام بل الساعات التي تمر . ننتظر اليوم الموعود . ونمنى انفسنا بقضاء اسعد الاوقات في بلاد الكنانة . . مصر المحروسة . وبحر النيل . . وأم الدنيا . كنا نتمثل فيما بيننا بالقول المعروف اجمل الأيام . تلك التي لم تأت بعد . كل من نلتقى به من طلاب المدارس الاخرى . . واحد اصدقائنا في الطريق . . وابناء الجيران ومن نعرفهم . . او لا نعرفهم . . الجميع يتساءل عن شكل الحياة في القاهرة . كان البعض لا يتورع ان يطلق اشع العبارات وشتى النعوت والالوصاف . . كنا نعلم ان كثيرا من الناس متأثر بما يشاهده من افلام السينما . . ويعتقد ان هذه السلوكيات هي عادة الناس في حياتهم . لكن بعضهم - والشهادة لله - كان يتحرى الصدق والامانة في اقواله . . وأرائه .

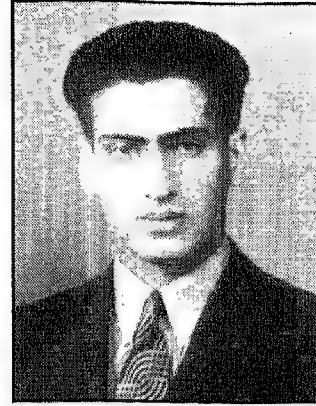
كنت احرص ما وسعني من جهد الحصول على بعض الصحف المصورة . . ونحاول



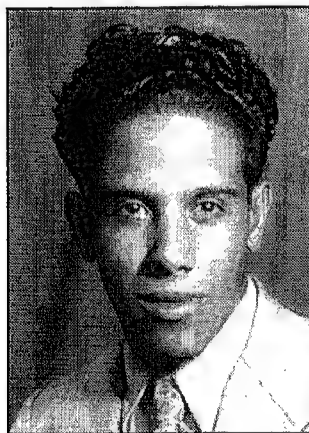
■ د. ابراهيم يعقوب



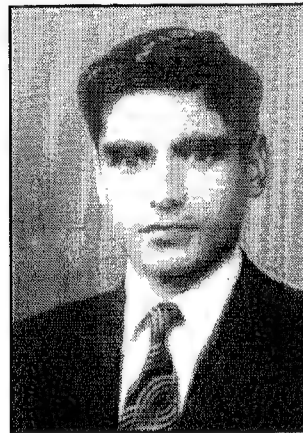
■ خليل ابراهيم المطوع



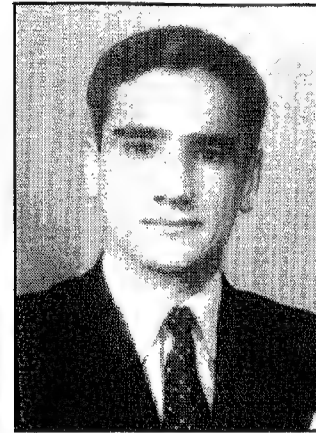
■ عبدالحميد محمد الشتر



■ جاسم عبدالله الفايز



■ محمد يوسف المعتز



■ عبدالله جاسم الشكر

من خلالها . . الرد على ما يوجه الينا من استفسارات . كنا نذكر لبعض الاصدقاء ان ما يجرى في مصر لا يمكن ان نطابقه بما يجرى في البحرين . لا انسى كذلك . . المساعدة الكريمة التي قدمها جدي الحاج ماجد المسقطي - رحمة الله عليه - خلال المدة التي كنا نقيم فيها في القاهرة . فقد كان يبعث ضمن رسائله في كل مرة بورقة من فئة خمسة جنيهات مصرية . . مساعدة منه لتحمل اعباء الحياة القاسية في «بلاد الغرب» التي يحلو له ان يرددها دائما . . هذه الجنيهات الخمسة كانت عظمة القيمة في تلك الايام .

كان الحاج ماجد . . من اشد المعارضين لسفري الى القاهرة اول الامر . . ولكن موقفه تغير بعد ذلك . . واليوم لا ادري ماذا سيكون موقفه لو امتد به العمر . . ليرى احفاده

وحفیداته وقد عادوا من بلاد الغربة . . اطباء ومهندسين وقانونيين ومحاسبين . . لا انسى حنوه وعطفة الدائمين . لقد كان — يرحمه الله — من اشد المدافعين في حملة الافتراءات الكاذبة التي انطلقت ضد طلاب البعثة . . بعد عودتهم الى البحرين . ذات يوم . . وقبل سفرنا بأيام حصلت على كشف مفصل باسماء كامل اعضاء بعثة الطلاب الذين اختيروا بصفة رسمية . . وكان هذا الكشف على الوجه التالي :

طلاب الصف الثالث

- | | |
|---------|-------------------------------|
| المنامة | 1- سلمان خليل ابراهيم كانو |
| المنامة | 2- محمد يوسف المحمود «المعتز» |
| المحرق | 3- عبدالرحمن قاسم الشيراوي |

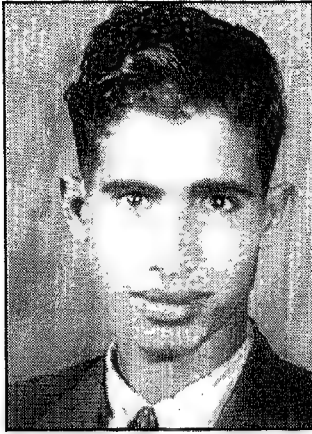
طلاب الصف الثاني

- | | |
|---------|------------------------------|
| المنامة | 4- خليل ابراهيم المطوع |
| المنامة | 5- حسن علي المدني |
| الحد | 6- عبدالرحيم علي |
| المنامة | 7- عبدالرحمن جاسم كانو |
| المنامة | 8- عبدالحميد محمد صالح الشتر |
| المنامة | 9- عبدالحسين جعفر «المنديل» |
| المنامة | 10- علي راشد المسقطي |
| المحرق | 11- عبدالله جاسم الشكر |

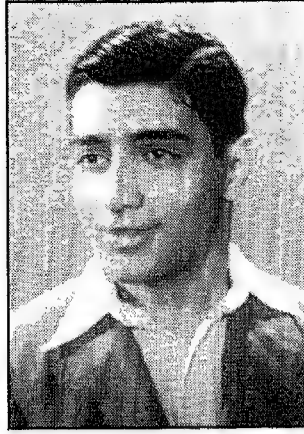
طلاب الصف الأول

- | | |
|--------|-----------------------------|
| المحرق | 12- ابراهيم يعقوب السعد |
| المحرق | 13- ابراهيم محمد يوسف بوحجي |
| المحرق | 14- جاسم عبدالله الفائز |
| المحرق | 15- خليفة احمد المقرن |
| المحرق | 16- حسن عبدالله المنصوري |

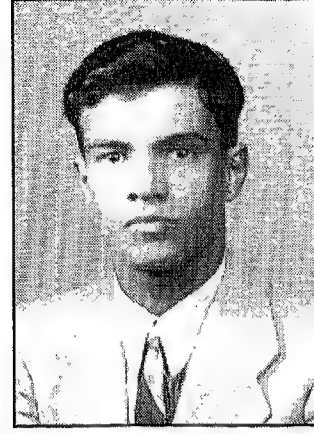
ومن خلال ما كان يدور بيننا من جدل . . حرصنا ان نبين لأولئك الرافضين . .



■ حسين جعفر مندبل



■ عبدالرحيم علي



■ ابراهيم محمد بوحجي

والمثائمين والحناقين . . وغيرهم ان مصر بلاد عربية . . متقدمة . . حباها الله بالنعيم والخيرات . . واجرى فيها نهر النيل الخالد . . فيها الاهرامات العظيمة التي بناها قدماء المصريين وهي احدى عجائب الدنيا السبع . . في القاهرة . . الجامع الازهر الشريف ودور العبادة . . والآثار القديمة . . والجامعات الحديثة . . ومنارات العلم مما لا يوجد في بلد غيرها، هواؤها عليل . . وظلها ظليل . .

مصر . . حيث العلوم . . والفنون . . والاداب . . والتاريخ العريق . . المسارح . . والمكتبات . . والمتاحف . . والحدائق . . كم نبغ فيها من الشعراء . . والكتاب . . ورجال الفكر . . والمؤرخين وفقهاء الدين . . ونجوم الرياضة . . والسينما . . والموسيقى . . الخ بعض الخبثاء كان يشير الى «الرسالة» التي بعث بها عمرو بن العاص . . الى الخليفة عمر بن الخطاب عندما كتب اليه يسأله فيها ان يصف له مصر . . عندما عينه واليا عليها .

بعض الشباب الواعى . . كان لا يخفى اعجابه بمظاهر الحياة الحديثة في مصر . . ويمني النفس بزيارة هذا البلد العظيم . . لولا الظروف . . والامكانيات التي تحول بينه وبين تحقيق هذه الامنية الغالية .

في احاديثنا مع الزملاء . . وأحيانا مع بعض الرجال الذين نلتقى بهم في المقاهي والاماكن الاخرى التي نتردد عليها، كانت الاحاديث تدور عن الاحوال عن مصر . . وحقيقة العلاقات بين مصر والبحرين . . حتى ذلك الوقت لم تكن العلاقة القائمة بين البلدين كما نعرفها هذه الايام . لم يكن احد يزور القاهرة . . الا نادرا . ولا يرد منها الى

البحرين شيء يعتد به من نجارة او سواها. كانوا يقولون.. لا شيء غير الكتب..
والمجلات.. واخيرا افلام السينما.. التى تفسد اخلاق الناشئة.. وتغير سلوكياتهم.
المشكلة الكبرى أننا كنا في سن لا يتيح لنا مقارعة الفكرة بالفكرة.. كان الخوض في
هذه القضايا.. والاحاديث يثير غضب الكثيرين.. بعضهم اقارب.. واصدقاء.
وبعضهم لا تربطنا به اي رابطة.. لكن هؤلاء جميعا كان لا يخفي اعجابه واستغرابه من
جرأتنا في التصدي لمثل هذه الاحاديث.. وتكذيب الدعايات.. التى روجتها القوى
الاجنبية.. المسيطرة في كل مكان. والتى كانت تنشر او تذيع.. ان مصر.. بلد
أجنبي.. وليس كما نؤمن ونعتقد.. بلد عربي شقيق.

نصحننا بعض الاصدقاء بعدم التهادي في اشارة مثل هذه الاحاديث. والالتفات الى
المهمة التى سنسافر من اجلها.. والحرص على الجد والاجتهاد في الدروس. فهذا
اجدى وانفع لما ينتظرنا من مستقبل.. ولبلدنا كذلك.. ووعدناهم بحسن الظن وان لا
نقوم بشيء ما يغضبهم او لا يرضون عنه.

تسارع الأيام ويقترب موعد السفر.. وفي غضون ذلك كنت والاخ علي راشد..
نتردد علي زيارة نادي العروبة. ونوثق علاقتنا اكثر واكثر مع بعض اعضائه.. ونزيد
معلوماتنا عما نسمعه منهم من حكم.. وافكار.. ومعلومات عامة.. كانت لنا في الواقع
خير معين ونبراس نهتدى به ونحن نشق طريقنا الطويل في هذه الحياة.

تحدد يوم الاربعاء.. 25 من ذى القعدة عام 1364 الهجرى.. يوافقه.. 31 من
اكتوبر عام 1945 الميلادي موعد للسفر. وطلب من افراد البعثة المقيمة اسماؤهم لدى
ادارة القسم الداخلي الحضور مع امتعتهم الشخصية.. وجواز السفر وغيرها.. بساعتين
قبل ظهر ذلك اليوم. ولم يسمح لاحد من غير الطلاب الحضور معهم الى ادارة القسم.
في صباح ذلك اليوم.. لم يكن في بيتنا سوى والدتي واختى الصغيرة غالية.. اما
والدى.. واخى صلاح واختى نعيمة.. فقد ذهبوا الى مدارسهم.. كالعادة.. لذلك لم
يكن بامكاني.. او امكانهم توديعي قبل السفر. كانت امي تحمل على ذراعيها اختى
الصغيرة.. غالية.. تذرف بعض الدمعات وهى تتردد بعض الدعوات بان يحفظنا الله
في هذه السفر.. وان يوفقنا في اداء المهمة.. وان يعيدنا سالمين غانمين الى ارض
الوطن. اننى ما حييت - لا انسى هذه اللحظات المؤثرة. انتابنى شعور جارف امتزج
فيه الحزن والفرح. وانا اغادر باب البيت.. وفي الطريق انضم الي الاخ علي راشد..

ولا اذكر كيف وصلنا الى القسم الداخلي.. ونحن نحمل امتعتنا الثقيلة.. لم تكن ثقيلة في الواقع لكن هذا ما كان يخيل الينا.. كان الامر يزداد صعوبة كلما خطونا خطوة. مفارقة الاهل.. والجيران.. والاصدقاء.. والارض. قلق.. وافكار متضاربة.. وهواجس.

كنا نسير في الطريق.. وانظار بعض الناس الذين نلتقى بهم.. تلاحقنا احيانا بالتحية.. وحيانا بالتعليق الذي يجاوز حدود الادب.. المتعارف عليه.

اكتمل حضور الطلاب الى القسم الداخلي. ووقف بعض اهلهم او اصدقائهم يودعونهم بالقبلات والدعوات الخالصة امام الباب الرئيسي. وفي داخل الصالة تجمعنا قرب الشنط والامتعة التي جهزناها معنا. وحضر بعض المدرسين الذين لا اذكرهم يحدثونا عن الطائرة التي ستنقلنا الى القاهرة.. وعن شكلها ومواصفاتها.. قال بعضهم انها ستكون طائرة عسكرية لنقل الجنود. وهى من الطائرات البحرية التابعة ل سلاح الاسطول البحري البريطاني.. كنا في اشد الدهشة والاستغراب ونحن نستمع الى هذه الاخبار التي لم يكن لدينا ادنى فكرة عنها. كان كل طالب يقول ان هذه اول مرة في حياته.. يسافر فيها.. او ان يغادر البحرين.. لكننا جميعا كنا في فرحة غامرة.. لشعورنا باننا مقدمين على بدء هذه المغامرة.

حضر الاستاذ ناير.. مدير القسم الداخلي واخبرنا بان الطائرة.. هى فعلا طائرة بحرية.. لا تهبط في المطارات.. بل تطير من مكان رسوها داخل البحر.. وتعود وتهبط في مكان مثله في بحر آخر. وقال الاستاذ ناير ان الطائرة تسمى Flying Boat من طراز «Sunderland» وطماننا.. وانه لا داعى للخوف مطلقا من ركوبها. كان بعض الطلاب قد أبدى مخاوفة واضطرابه.

غادرنا القسم.. في سيارتين او ثلاث.. اوصلتنا الى مبنى سكنى جديد.. يقع قريبا من موقع فندق «عمر الخيام» الكائن بمنطقة القضيبة» وبعد استراحة قصيرة.. قدم لنا العاملون هناك.. بعض الشاي والكيك وكان المكان يعج بالضباط الانجليز.. وعدد من الهنود.. الذين نشاهدهم لأول مرة.. وخلال هذه الاستراحة لاحظنا ان العمال بدأوا ينقلون امتعتنا وبعض الحقائب والاغراض الاخرى.. حتى لم يبق منها شئ في المكان الذى جلسنا فيه. سرنا في طريق من امام المبنى.. كان اشبه ما يكون بالجسر داخل البحر.. حيث مبنى المطار البحري.. وفعلا وجدنا هناك يافطة كتب عليها «مطار البحرين البحري».. كانت تقف على ارضية المطار بعض اللشاشات.. احدى

اللنشات كانت ترفع على صاريها علم البحرين الاحمر . هي التي نزلنا فيها ونقلتنا الى حيث تجثم الطائرة على مسافة قصيرة .

في هذه الاثناء حانت من احد العاملين في المطار . التفاتته . فناولني شطيرة «ساندوتش» كانت في يده تناولتها منه شاكرا . وشاركني فيها بعض الزملاء . كان منظر الطلاب متجمعين في هذا الجانب من المطار مثار استغراب بعض الضباط الانجليز . الذين راح بعضهم يمطروننا بأسئلتهم عن الجهة التي ستتوجه اليها في هذه الرحلة . وكنا نرد عليهم باننا لا نعرف . بقينا في اللنش ريثما حضر ضابط انجليزي . . واصدر اوامره بتحريكها الى جهة الطائرة التي بدت لنا ونحن نقرب منها ضخمة عملاقة . . كان بابها مفتوحا . . وفي لحظات بدأنا ندخل اليها . وكنت اول الداخلين . وعندما أغلق باب الطائرة لاحظنا اننا لم نكن الوحيديين داخلها . كان هناك عدد من الضباط الانجليز . . والهنود . . من طائفة «السيخ» الذين ظهر أنهم سبقونا في الدخول . دون ان نلتفت الى ذلك . عندما كنا واقفين ننظر على الرصيف . . لم نشاهد احدا منهم . اين كانوا وكيف دخلوا الطائرة . . لا نعلم .

داخل الطائرة اخذ كل طالب مقعده حيثما اتفق . . وكنت كغيري فضلت لان يكون المقعد قرب احد نوافذ الطائرة لاتاحة الفرصة لمشاهدة معالم الطريق وما يمكن ان تقع عليه العين خلال مراحل الرحلة . لكننا بعد فترة من اقلاع الطائرة تبادلنا فيما بيننا هذه المقاعد .

في هذه الرحلة كان عددنا ثمانية طلاب فقط . . فقد سبقنا قبل يومين بقية الطلاب في طائرة مدنية نقلتهم من مطار المحرق . لا اتذكر اسماء هؤلاء الطلاب . ولا الطريق التي سلوكها حتى وصلوا الى القاهرة . مداخل الطائرة في داخلها لم تكن مبهجة وجذابة كما تصورنا . . فقد طليت جدرانها وكل شيء فيها باللون الداكن . . ولكننا رغم ذلك فقد شعرنا باحاسيس جياشة ممزوجة بالرهبة والفرحة . تتجاذبنا الافكار . فهذه اول مرة نغادر فيها ارض الوطن . . الى وطن اخر لا نعرف عنه الا القليل .

اخيرا . . تحركت الطائرة . . وران علينا الصمت . وبدأت تشق طريقها وسط المياه الزرقاء . . مخلفة في جوانبها اكواما هائلة من الزبد الابيض . . ثم رويدا . . رويدا بدأت في التحليق . . ثم ارتفعت الى شاهق ولم نعد نتيين ما تحتنا . . كانت قلوبنا تدق . . ورؤوسنا تدور . . صمت رهيب . . ودقائق محسوبة . . وبدأ كل واحد منا يتمتم بها حفظه من آيات القرآن الكريم . . داعين الله العلي القدير ان يكتب لنا السلامة في

هذه الرحلة . . وان يحفظنا من كل سوء ومكروه . . حتى نصل الى القاهرة سالمين غانمين .

كانت الساعة قد جاوزت الثانية عشرة والنصف من ظهر ذلك اليوم . وابلغنا احد الركاب المرافقين ان الطائرة تطير الآن على ارتفاع يزيد على 12 ألف قدم . واننا الآن في وسط مياه الخليج .

مرت بنا بعض المناظر السريعة التي لم نتبينها تماما . منظر من ساحل جزيرة المحرق الغربي . . لكنه مر سريعا . ثم رأينا تحتنا بعض السفن والبواخر . . وبعض اللنشات التي تمخر مياه الخليج . . والدخان يتصاعد من مداخنها . . وهى متجهة الى الشمال . . كما ذكر لنا ضابط آخر . . انه في مكان ما من هذه المياه توجد مغاصات اللؤلؤ . . لكن كل منظر كان يتغير ولا نرى الا صورة البحر الواسع العريض .

كان الوقت يمضى . . وداخلنا شيء من الاطمئنان ونحن نرى بعض الركاب معنا يغطون في النوم . . بينما راح واحد منهم يقرأ في كتاب صغير غير ملتفت الى ما كان يدور من حوله . كما لاحظنا ايضا ان اثنين من الضباط الهنود كانا يدخنان بحرية تامة . وان ظلا عابسى الوجه طوال الرحلة . اما نحن فقد قام احد الطلاب بتوزيع ما احضره معه من «العلوج» كنوع من انواع التسلية . . وقتل الوقت .

مرت ما يقرب من ثلاث ساعات وطائرنا مستمرة في تحليقها ثم بعد قليل شعرنا بانها قد خففت من سرعتها . . دليلا على انها ستهبط في مكان ما بعد قليل . باننا لنا من بعيد بساتين النخيل الخضراء الممتدة لمسافات بعيدة . كانت تشبه الغابات . قال احد الركاب . . انها البصرة . حمدنا الله . وبدأت الطائرة في الهبوط . . قليلا قليلا حتى لامست سطح المياه . ثم حطت بثقلها وبعد دقائق توقفت محركاتها . . انه البحر من جديد . . غطت المياه الطائرة الى اعلى من النوافذ التي نطل منها . . لم نعد نرى شيئا . . هنا في هذا المكان تختلط مياه شط العرب بمياه الخليج . بدأ الزيد . . وموجات المياه تنحسر عن النوافذ . . وباتت المناظر امامنا واضحة . . . في هذه الدقائق داهمتنا المشاعر . . وبقينا صامتين . ننتظر ما سيحدث . . تحركت الطائرة ببطء حتى حاذت جسرا خشبيا رست على جانبيه بعض اللنشات . . وبعض القوارب الجميلة . . بيضاء اللون وتشبه في شكلها القوارب الاوروبية التي نراها في المجلات المصورة . . وجميعها ترفع العلم العراقي . . المتعدد الالوان . كما كان بينها بعض القوارب التي ترفع العلم البريطاني .

ودنى احد اللنشات من باب الطائرة . . بعد ان صعد اليها ضباط عراقيون . وطلبوا منا ان نغادر الطائرة ونستقل اللنش . الذى اوصلنا الى رصيف آخر . . ومن هنا انتقلنا الى مبنى ضخيم . . عرفنا فيما بعد انه «فندق شط العرب» . . كان الوقت يقترب من المساء . . وبانت انوار الكهرباء في بعض جوانب الفندق . . وعلى بعض المباني القريبة من هذا المكان . كان الجو ملبدا بالغيوم ساعة وصولنا . . وبدا ان بعض قطرات من المطر هطلت ونحن ندخل المبنى . هذه هي البصرة . . اذن . . اول ارض تطأها اقدامنا . كم كنا مندهشين وفرحين ونحن نهتئ انفسنا بسلامة الوصول . العجيب ان مسئولى الفندق لم يتركوا لنا فرصة الاستراحة عندما اجتزنا صالة الفندق الكبرى . . الاثيقة . . هذه الصالة الواسعة التى انتشرت في كل جانب منها المقاعد والطاولات الاثيقة . لقد طلبوا منا التوجه مباشرة الى الغرف التى خصصت لنا . واستبدال ثيابنا واخذ قسط من الراحة ثم العودة بعد ساعة ونصف للجلوس فى الصالة اذا رغبنا فى ذلك . كما ابلغونا بان وجبة العشاء ستكون معدة حوالى الساعة الثامنة .

شاركني فى الغرفة الزميل خليفة المقرن . وخلال تواجدنا فى الغرفة امضينا بعض الوقت فى استبدال الملابس التى كانت اكبر مهمة تواجهنا بعد وصولنا . لم يكن ارتداء البدلة الافرنجية بمثل هذه السرعة . . والدقة شيئا سهلا علينا . لكننا بعد ارتدائها اصبحنا فى حال غير الحال التى كنا عليه فى البحرين . . تجولنا فى ارجاء الصالة واقسام الفندق الاخرى . وكنا — جميعا — مذهولين وفرحين وعلق احد الزملاء اننا ومنذ هذه اللحظات . . اصبحنا «افندية» بحق وحقيق كما يقولها المصريون .

كنا مبهورين فى كل مكان توجهنا اليه . الصالة الفخمة . . والحديقة المجاورة . . وقد سلطت عليها الانوار الملونة من كل شكل ولون . وانتشرت فى ارجائها المقاعد الاثيقة من «الخيزران» . رائحة الزهور والرياحين تنبعث من كل ركن . . وزاوية . . ارضية الحديقة وهى مغطاة ببساط سندسى اخضر . كان كل هذا الذى نشاهده يأخذ بالالباب .

فى احد اركان الصالة لمحت محلا صغيرا . . كشكا أنيقا مزخرفا ببعض الملصقات المصورة . . والنباتات الخضراء المتسلقة . . فى هذا الكشك تباع بعض الكتب . . والهدايا الصغيرة . . والبطاقات التذكارية . . والصحف والمجلات العربية . . والاجنبية . هفت نفسى لشراء بعض الصحف . . وارسال بعض البطاقات اذا كانت ظروف المحل تسمح بأرسالها بطريق البريد الى البحرين . . لكن مسئول المحل اعتذر عن قبول ماكننا نحمله

من النقود بالعملة المصرية . . جنيهاً وقروش . . وحاولنا اقناعه باننا لا نحمل اي دنائير او فلوس عراقية ولكنه لم يستجب للأسف لتوسلاتنا . . وبذلك فوت علينا هذا البائع الارعن فرصة فريدة . في هذا الكشك ايضا القيت نظرة على بعض البطاقات المعلقة في احد الاركان . . وعليها مجموعة جميلة من طوابع العراق من فئات مختلفة . . وكان بودى لو حصلت على بعض منها . . ومن يومها - كما اظن الآن - نشأت عندى هواية جمع طوابع البريد . . وارسال البطاقات البريدية الى الاهل والاصدقاء من اي بلد جديد اصل اليه . كثير من المسافرين لا يعيرون اي اهتمام لمثل هذا الأمر . هذه البطاقات كما برهنت الايام فيما بعد . . وفرت كثيرا من الجهد في تدبيج الرسائل المطولة . . التى يتناولها اي مسافر حين يغادر بلده .

في صالة الفندق الرئيسية ايضا . . استوقفتنى نظرة فاحصة في ثلاث لوحات كبيرة الحجم في براويز مذهبة . . علقت في مكان بارز من صدر الصالة . . كانت اللوحة الأولى تحمل صورة الملك فيصل الأول . . والثانية . . صورة الملك فيصل الثاني . . وهو لا يزال في سن صغير اما الثالثة فهى للأمير عبدالاله . . الوصى على عرش العراق . سألت احد العاملين الواقفين امام مكتب الاستقبال عن سر اختفاء صورة الملك غازى . . وغياها عن بقية الصور المعلقة . . فاجابني ذلك الموظف . . بابتسامة عريضة . . ولها اكثر من معنى . . دون ان ينس بكلمة . . وتذكرت في هذه اللحظات قصة مصرع الملك غازى في حادث السيارة الذى راح ضحيته . . ايام كنا اطفالا في المدرسة الابتدائية عرفت فيما بعد ان ذلك الموظف الخبيث كان من طائفة «الاشوريين» المعروفين آنذاك بولائهم الشديد للأتجليز . وتذكرت اننا شهدنا افرادا منهم كانوا يعملون مع الجيش البريطاني . . اثناء سنى الحرب .

بعد تناول وجبة العشاء في قاعة الطعام الفاخرة . . المجاورة لصالة الفندق . اقترح بعض الزملاء القيام بجولة قصيرة خارج الفندق لبعض الوقت لمشاهدة معالم الحياة في المنطقة القريبة . وافقنا جميعا على هذا الاقتراح . . ورافقنا في هذه الجولة عاملان من عمال الفندق . . تطوعا من نفسيهما لهذه المهمة . . دون ان نطلب منهما نحن ذلك . وعلا هذا التطوع بانه رغبة منهما حتى لا نتعرض لاي مشكلة قد تصادفنا في هذه الجولة . وما كان منا الا ان نشكرهما على هذه المساعدة . سلكنا طريق الكورنيش الممتد امامنا حتى منطقة قريبة تشع بانوارها والحركة فيها ظاهرة . . وانتشرت فيها المقاهى الشعبية . قيل لنا ان هذه المنطقة يطلق عليها «العشار» وهى جزء من ميناء البصرة الذى لا يبعد

عن هذا المكان الا لبضعة امتار. في احد هذه المقاهي . . شاهدنا احد المهرجين يعرض العابه البهلوانية وسط جمع كبير من رواد المقهى . . والاطفال الذين تجمعوا حوله لمشاهدتها . من بين ما شاهدناه . . ان المهرج كان يخرج من فمه شعلة من النار . . الحقيقية . . كانت تثير حماس واعجاب المشاهدين . في هذه الجولة الاستطلاعية لم اعجب من شيء قدر عجبني من تعدد الازياء المتفشية بين الجالسين في المقهى والمقهى الآخر المجاور له . . ومن بعض مجموعات الشباب الذين كانوا يحومون حولنا . . ويمسسون بكلمات بينهم لا نفهمها . كان هذا التعدد الملفت للنظر يتمثل في غطاء الرأس . . بصورة خاصة . وذكر احد مرافقينا ان تعدد الازياء يزداد في بغداد . . العاصمة . وفي مناطق «الكراد» في شمال العراق .

عدنا من هذه الجولة اللطيفة . . ونحن نردد المثل الذي طالما سمعنا به في البحرين من سنين . . وهو «الي ما يشوف البصرة يموت حسرة» . تذكرنا هذا المثل . . لا اعجابا بما شاهدناه من البصرة . . لكن لخيبة الامل فيما شاهدناه . . ولو في هذا الحيز من المدينة المظلومة . . ولأن ما سمعناه من مرافقينا انه القسم الحديث من البصرة . . التي يطلق عليها في وسائل الاعلام الرسمية اسم «ثغر العراق الباسم» والذي هو في حقيقته لا يحمل من «الابتسام» شيئا .

كان بعض نزلاء الفندق من رجال ونساء واطفالهم من عراقيين واجانب لا يزالون يتناولون عشاءهم عندما عدنا من جولتنا . استغربنا كثيرا . . لان الساعة قد تجاوزت العاشرة . اقترح احد زملائنا ان نكمل السهرة وان لا نضيع الوقت في النوم . وكان الاقتراح . . مشاهدة احد الافلام الذي كان يعرض في دار للسينما قريبة من الفندق . كان فيلما اجنيا لا اذكر اسمه . ولكن ادارة الفندق لم تسمح لنا بالمغادرة مرة اخرى . . وطلبت منا ان نتوجه الى غرفنا . . للنوم مبكرا . . استعدادا لمواصلة رحلة الطائرة في الصباح الباكر . ولم يكن امامنا الا الانصياع لهذه التعليمات . احد المسؤولين ذكر لنا بوجوب الاستيقاظ . . والتواجد في صالة الفندق . . قبل الساعة ٧/٠٠ صباحا . في غرفتنا رحت والزميل خليفة نستعرض احداث هذا اليوم الحافل وكل ما مر علينا من احداث . . وما ينتظرنا في القاهرة عندما نصل اليها . . امتدت الاحاديث بيننا حتى ساعة متأخرة . وما احسب اننا نمنا ليلتنا . . ولكنها كانت غفوة قصيرة صحونا بعدها على اثر رنين جرس . . معلق على باب الغرفة . . ينبعث في دقائق متقطعة . . ولاول مرة الجأ الى ساعتى . وهى ساعة يد تلقيتها هدية من احد الاصدقاء قبل السفر

بيومين . . ماركة «Sandow» علق عليها خليفة حين رآها . . بانها ساعة رخيصة . . لكن هذه الساعة هي اول ساعة اقتنيها . . وافادتني كثيرا طوال المدة التي امضيتها في القاهرة . . وحتى عودتي الى البحرين . . وبقيت معي سنوات .

صبحونا في السادسة . . واعددنا انفسنا لمغادرة الغرفة حيث توافد بقية الزملاء . . وجلسنا في قاعة الطعام . . ننتظر الاوامر والتعليمات . . وجبة الافطار كانت الشاي وسندوتشات من الجبنة . . والبيض . . والزبدة والعسل . . والقهوة المرة . كان اسعد صباح نلتقى فيه .

رأينا الحمالين ينقلون الامتعة . . والاغراض الى حيث يرسو اللنش الذي نقلنا من الطائرة مساء امس . . تمر دقائق يخيل الينا فيها اننا في حلم . هل يمكن ان تكون تلك الساعات القليلة التي انتقلنا فيها من البحرين قد غيرتنا من حال الى حال . . هذا ما بدا واضحا ونحن ندخل مرة ثانية الى جوف الطائرة . . الرابضة في مكانها عندما غادرناها . . وجوه جديدة تسير معنا في الطريق . . كلهم من الضباط والعساكر الانجليز . تساءلنا اين يعيش هؤلاء الى اين هم ذاهبون . هل لان الحرب لا تزال قائمة . . لقد تعودنا على هذه الوجوه اينما توجهنا . اننا اليوم في العراق . . وليس في البحرين . . لكن هل هناك فرق بين العراق . . والبحرين .

سألنا بعض هؤلاء عن المحطة القادمة . . فقال ضابط بريطاني انها «الحبانية» . كنا سمعنا من قبل ان «الحبانية» قاعدة عسكرية تحتلها بريطانيا . . وتقع شمال بغداد . لكننا لم نعرف انها ايضا «بحيرة» يمكن ان تهبط طائرة مثل طائرنا فيها . . عندما غادرنا الفندق هذا الصباح . . لم نخرج من الباب الذي دخلنا منه مساء امس . فقد اشار بعض المرافقين الى باب جانبي صغير . وكانوا يتقدمونا فتبعناهم .

على رصيف الجسر حيث توجهنا . افتقدنا الزميل عبدالرحيم علي لبضع دقائق . وقد كان غيابه في هذه الدقائق مدعاة للقلق لكنه بعد قليل اطل علينا وهو يحمل في يده وردة حمراء كبيرة . يتهادى كالتاوس . وحين وجه اليه الزملاء بعض اللوم لم يلق بالا لهم . بل راح يتمايل ويضحك كأن الامر لا يعنيه وما اكثر «المقالب» والطرائف المضحكة التي اقدم عليها عبدالرحيم خلال وجودنا في القاهرة .

ندخل الطائرة . . وبعد دقائق تنطلق محركاتها . . وتبدأ في التحليق . . ليس جديدا ما نشاهده الآن . . سوى الاراضي الزراعية الخضراء . . وبعض مباني القرى الصغيرة . . المتناثرة التي تمر بها الطائرة . بعد دقائق شعرنا بان الطائرة تتعرض لمطبات هوائية . كنا

والحمد لله على قدر من رباطة الجأش . . لم نبدا اي حركة ولم يداخلنا الخوف . . وبدا ان الرحلة عادية . من بعيد تراءى لنا منظر غريب . . منظر نهر دجلة وهو ينساب ويتلوى كالحية شاقا طريقه الى الجنوب .

بعد أقل من ساعتين . . خففت الطائرة من حركتها وبدأ دويها في آذاننا يخف . . ثم تمر لحظات حرجة كانت فيها الطائرة تحوم وتدور . . حتى هبطت اخيرا في البحيرة التي بدت لنا لأول وهلة كأنها البحر في اتساعها . . وبعد ان توقفت الطائرة هبطنا منها في احد اللشعات الموجودة . . وانتقلنا الى مكان من التكنات المقامة هناك حيث تناولنا الشاي . . والمرطبات مع عدد من العاملين في هذه القاعدة . قال احد المسئولين ان التصوير في المكان محظور . مع ان احدا منا لم يكن يحمل معه كاميرا للتصوير . وكانت معاملة المسئولين لنا جافة . . وتدعو للضيقة . وحمدنا الله ان بقاءنا في هذا المكان لم يطل كثيرا . . اذ سرعان ما غادرناه عائددين الى الطائرة التي بدأت طيرانها من جديد . . في المرحلة الثالثة .

المرحلة الجديدة من السفر كانت التوجه الى فلسطين . . ارض الرسالات السماوية . . والبلد المنكوب بعصابات اليهود والصهيونية . الارض التي تهفو اليها نفوس العرب . والبلد الذي نسمع قضيته منذ ان وعينا في هذه الحياة . والتي شغلت العالم . . شرقيه وغربه . كانت الافكار والحكايات تتال في اذهاننا ونحن نعبر هذه الاجواء الغريبة الى هذا البلد الجديد . ومرت ساعة كاملة على طيراننا واخبرنا احد الركاب اننا نعبر اجواء اماره «شرقي الاردن» لم يكن لدينا ادنى فكرة عن هذه الدولة سوى انها تقع بين العراق وفلسطين ويتربع على عرشها . . الامير عبدالله بن الحسين . . شقيق الملك فيصل الاول في العراق . . وانها بلد فقيرة في مواردها واقتصادياتها .

ركننا الانظار من خلال نوافذ الطائرة . فلم نر من تحتها الا كتيبان الرمال . . والتلال . . والاراضي الجرداء . . ولا شيء غيرها .

ومرت ساعة والمناظر تحت الطائرة لا تتغير . . ولكنها بدأت تهتز بقوة . . واصبنا بنوبة من الهلع والخوف . واشتد الحال ببعض الزملاء . فراح واحد او اثنان يفرغ ما تجمع في بطنه في اكياس ورقية صغيرة وضعت بجانب مقاعد الطائرة .

في تلك الفترة . . لم تكن حصيلتنا من اللغة الانجليزية تسعفنا في الحديث بطلاقة مع من يتكلمونها . كنا نود معرفة المزيد عن الاحوال في فلسطين التي سنصل اليها . لكن كل من تحدثنا معهم . . كانوا يتهربون من الاجابة . غادر احد الركاب الجالسين معنا

مكانه ووقف معلنا ان الطائرة ستهبط بعد دقائق في «البحر الميت». كانت هذه المرحلة من اشد ما مر علينا في الرحلة. . . وحمدنا الله لوصولنا سالمين بعد ان توقفت محركات الطائرة. . . وبدت امامنا صفحة المياه الزرقاء. . . وحين هبطت الطائرة في البحر. . . لبثنا فترة طويلة ننتظر مغادرتها. . . وبدا ان بعض التأخير قد حدث دون ان نعرف الاسباب. . . فتح باب الطائرة. . . ودخل علينا بعض رجال الشرطة الفلسطينيين. . . ومعظمهم من العرب. . . واليهود وضابطين من الانجليز. . . ودارت بينهم وبين الضباط الموجودين داخل كابينة الطائرة احاديث لا نعرفها. طلبوا منا جوازات السفر قبل ان نغادر الطائرة. واخيرا سمحوا لنا بمغادرتها. وكان هناك عند الباب اكثر من لنش. . . ركبنا احدها. . . حيث اوصلنا الى رصيف كان هناك لاستقبال الركاب. هذه المرة اختلفت معاملتنا عن المرحلتين السابقتين. ابدينا بعض التخوف.

ركبنا احد الزوارق. . . وفي الطريق الى الاستراحة شاهدنا مجموعة من السباحات يلبسن المايوهات (لاول مرة) يزاوئن هذه المتعة على مقربة ليست بعيدة عن الاستراحة. بادرنا بالسؤال فأخبرنا ضابط. . . وسيم. . . فارح الطول بان هؤلاء من السائحات. فيهن اليهوديات وغير اليهوديات. فهذا المكان يرتاده كل يوم. . . وعلى امتداد السنة عدد من السواح الذين يقضون يومهم كما نرى. . . كان المشهد بالنسبة لنا يبدو غريبا. . . لكن الضابط الذي تقدم مجموعتنا. . . بدأ يستفسر عن احوالنا. . . وكان في حديثه يتكلم بلهجة سورية. . . او لبنانية. . . وما شككنا لحظة انه يهودي. . . كان الطريق الذي سلكناه. . . متعرجا تحف به الاشجار الظليلة. والورود. . . في تنسيق جميل يبهج النفس. ويشرح الخاطر. وقد اقيمت على مسافات متقاربة لوحات ارشادية اشتملت على بعض العبارات باللغات الانجليزية والعربية والعبرية.

اخبرنا احد العاملين في الاستراحة التي وصلناها ان هذه اللغات الثلاث هي المتداولة والمستعملة في الدوائر الحكومية. . . وغيرها في فلسطين.

في مطعم الاستراحة الجميل الاثيق استقبلنا العاملون من كبيرهم الى صغيرهم بالابتسامات. . . والترحيب. . . والحفاوة البالغة التي لم نتصورها. . . لم نصدق ما شاهدناه. سألهم احدها اذا كان من بينهم احد من اليهود. فردوا ان ضابط الشرطة وحده هو يهودي. . . من العراق. يتكلم العربية. . . ومحجوب من جميع العاملين. كانوا يسألوننا عن الاحوال في البحرين. . . والعراق. . . واحوال اليهود بصفة خاصة. . . وكنا بدورنا نسألهم عن احوال فلسطين واحوال اليهود فيها. قال واحد منهم انهم يرحبون

بزيارة اي عربي الى فلسطين . لكننا في الاخير خشينا ان نترسل في مثل هذه الاحاديث .

كانت وجبة الطعام التى قدمت لنا من اجود واحسن ما تناولناه حتى الآن . وإلى جانب الاصناف المتعددة من الطعام . رصت الموائد بانواع كثيرة من الفاكهة . . وكذلك اكواب العصير . فارس المائدة بيننا كان الزميل عبدالرحمن الشيراوى . الذى راح يلتهم كل ما كان امامه من اطباق دون خوف او حرج . والواقع اننا تمنينا ان لو طال بنا الجلوس في هذه الاستراحة . . وقارناها بما كان عليه الحال هذا الصباح عندما وصلنا الحبانية .

ما ان شارفت الساعة الثالثة حتى عدنا من جديد الى طائرتنا وفي طريقنا سألت عن الضابط المرافق . . ولكن لم يظهر له اثر . رافقنا ونحن عائدتين شاب عربي فلسطيني ذكر انه ذاهب الى القاهرة . . لمواصلة دراسته .

عاودت الطائرة تحليقها . . وعبرت اجواء فلسطين ثم استدارت في طيرانها على صحراء سيناء المصرية . وخلال هذه المرحلة نتعرض الى بعض المطبات والجيوب الهوائية . . وفي لحظة من اللحظات الفريدة شاهدنا قناة السويس . . وعلى جانبيها مبان وبيوت تمتد الى مسافات . . انها مدينة «الاسماعيلية» كما قيل لنا . وبعد دقائق معدودة اصبحنا فوق مدينة القاهرة . . مباشرة . . باننا لنا مبانيها الشاهقة . . وعماراتها . . وماذن المساجد والجوامع المنتشرة في كل بقعة . . كما شاهدنا شريطا مستقيما من نهر النيل يعلوه بعض الضباب . . وقطع من السحاب . . الذى يحجب الرؤية الواضحة . كنا نتبادل اماكتنا فوق المقاعد لكي لا تفوتنا هذه المشاهد . . كادت قلوبنا تتوقف ونحن نشعر ان هذه هى آخر المراحل . المناظر من تحتنا تتغير في كل لحظة . واخيرا تهبط الطائرة . ويحلق كل واحد في وجه الآخر . ويلفنا الصمت الرهيب . اخيرا انتهت الرحلة . وكما حدث في المرات السابقة غادرنا الطائرة على عجل . . ونحن نتوجه بالشكر والدعاء الى الخالق عز وجل ان منحنا الصبر والجلد حتى وصلنا هذه المدينة التى حلمنا سنوات وسنوات لنراها .

هبطت الطائرة وسط النيل . . في مطار «روض الفرج» احد احياء القاهرة الفقيرة . كان المكان الذى انتقلنا اليه بعد مغادرتنا الطائرة عبارة عن «جبرة» واسعة في جانبها المواجه للمدخل مكاتب للجحارك والجوازات . انتشرت حول المبنى اعداد من الباصات . . وعربات «الحنطور» التى تجرها البغال والخيول . وكان الناس يتزاحمون . .

ويجيئون ويروحون في اعداد كبيرة . وصياح الباعة في كل ركن . . والشياطين . . والحمالين من كل شكل .

كانت الساعة هي 5/30 من مساء يوم الاحد المصادف اول نوفمبر 1945 وهو الوقت الذى وصلنا فيه الى هذا المطار النهري .

داخل الجبرة . . تكدست صناديق . . من خشب وغيره ومن اكياس غريبة في اشكالها واحجامها . . وعلى مقربة احضرت الشنط والامتعة التى نقلها الحمالون من الطائرة . . كان يقف امام باب المكتب الذى وقفنا قريبا منه . . ضابط مصرى . . فارح الطول . . يرتدى الطربوش ويتمنطق بمسدس داخل محفظة من الجلد الاسود اللون . . لماعة . . كما يلتف حول وسطه حزام جلدى عريض يتحسسه بيديه كل دقيقة ويعيد تعديله بين فترة واخرى وبصورة مستمرة . . كأننا نخشى سقوطه . وكل من لاقيناه من الموظفين والعسكريين كان يرتدى الطربوش . . والطربوش امر لا بد منه في اللباس الرسمي بصورة خاصة . . ويجب ارتداؤه . . في كل وقت .

اعطونا اوراقا . . وطلبوا ان نملأها بالرد على ما ورد فيها من اسئلة ومعلومات . ولكن هذه كانت من الغرابة بحيث لم نعرف كيف نجيب عليها . معلومات يضيق بها المسافر . . ولم يكتفوا بذلك بل راحوا يمطروننا بالاسئلة الغريبة التى لا تخلو من سخافة . كانوا يسألون عما اذا كنا قد احضرنا محظورات . . غير مقدرين اننا طلاب . حضرنا الى مصر لتلقي العلم . . لا لمزاولة التجارة .

وفي خلال ذلك كان تفتيش الشنط يجرى بصورة فظة لا داعى لها على الاطلاق في مثل حالتنا . وخلال ما كانوا يراجعون جوازات السفر ويقلبون اوراقها خيل اليانا ان هؤلاء الموظفين الرسميين القابعين داخل غرف المكتب . . يطلعون على هذه الاوراق ربما لأول مرة . وهذا ما قاله احدهم بالفعل . بل انه ذكر انه يسمع باسم بلد «البحرين» لأول مرة . . مما اثار استغرابنا . . او استنكار بعضنا في الواقع . وقد ظهر صدق هذا القول . . مع بعض من التقينا بهم من الاخوة المصريين من مواطنين وغيرهم خلال اقامتنا في القاهرة . كانوا يقولون انهم لم يسمعوا بهذا الاسم من قبل . بل ان بعضهم لا يدري اين تقع . . ومن اي منطقة من الوطن العربي . وكثيرا ما وقعت لنا قصص غريبة في هذا الموضوع .

استغرقت اجراءات الجهازك والجوازات وقتا طويلا . . كدنا ان نفقد فيه اعصابنا . . واخير حضر شاب . . انيق الملبس والهندام عرف نفسه بانه مندوب ادارة «المعهد الثقافى

البريطاني» بالقاهرة واسمه «علي» وانه جاء خصيصا لتسهيل معاملة وصولنا الى المطار. وهو لا يدري ان مثل هذه المعاملة قد انتهت قبل وصوله.

غادرنا الجيزة . . واصطحبنا علي الى احد الباصات التي كانت متوقفة عند المدخل . وسار بنا الباص وسط شوارع القاهرة . . المضياء بالانوار والمكتظة بالناس . . الى احد المكاتب الانيقة الواقعة بميدان «الاسماعيلية» وهو مكتب «شركة الطيران البريطانية» حيث استرحنا بعض الوقت . . وتم تسجيل اسمائنا من قبل احد موظفى المكتب . كان هذا الميدان هو ميدان «التحرير» في عهد ثورة 1952 فيما بعد . وقد تحول اسمه الى هذا الاسم الجديد . . وكان يضم اول ما شهدناه . . ثكنات الجيش البريطاني التي كانت تسمى في ذلك الوقت «قشلاق النيل» في نفس الموقع الذى يقوم عليه الآن فندق «هيلتون النيل» ومبنى مقر «جامعة الدول العربية» . هذا الميدان الفسيح والذى اصبح من اهم معالم الحياة الحديثة في العاصمة المصرية .

بعد مضي بعض الوقت وصلت شنتطنا من جيزة الجمارك . . وتم توزيعنا في عدد من سيارات الاجرة . . التي غادرت مكتب شركة الطيران . . في طريقها الى مقر السكن المخصص لاقامتنا . . وهو يقع في الزمالك . . من ارقى احياء القاهرة في ذلك الوقت . . ومقر السكن هو «بيت البحرين» ويقع في 39 شارع اسماعيل باشا محمد قريبا من «الفيلة» التي ينزل بها رئيس الوزارة المصرية . . دولة اسماعيل صدقى باشا . . وبيوت كثير من الباشوات . . والمستولين ودور السفارات والمفوضيات الاجنبية . كانت هذه البيوت والفيلات محاطة بالحدائق الخضراء . . ومبنية على احدث طراز واجمله . واینما سرت او توجهت بين شوارع وطرق هذا الحي . . التي رصفت رصفا جيدا . . اطلت عليك اشجار الورد . . والازهار الجميلة من هذه الحدائق .

وقبل ان نبلغ بوابة البيت . . الذى عناه مستشار الحكومة في رسالته بأنه القسم الداخلى . . تجمع عدد من الطلاب الذين سبقونا في السفر . . والسكن فيه . . واستقبلونا استقبالا حارا . . مرحبين بمقدمنا والانضمام اليهم في السكن بهذا البيت . والتقينا من بينهم بالطلاب . . احمد علي الشوملي . . وعلي محمد الشيخ . . وعلي عبدالله سيار . . وعبدالرحمن علي الجودر وجميعهم من المحرق . . وقد كانوا ضمن بعثة الطلاب الاولى . . وعددهم تسعة قدموا الى مصر للدراسة قبل سنة تقريبا . . كما حضر الى البيت بعد وقت قصير من وصولنا الاستاذ كمال قاسم المهزع الذى سبق له ان درس في جامعة الازهر . . وجامعة «السوريون» في باريس .

في غرفة الجلوس . . او صالون البيت جلسنا للراحة . . وراح الطلاب الذين سبقونا

يوجهون الاسئلة عن الاحوال في البحرين وننقل لهم بدورنا المراحل التي قطعناها بالطائرة حتى وصولنا . . كما قام بعضهم باعطائنا نبذة مختصرة عن الاحوال في القاهرة . . وعن برنامج البيت والزيارات . . وما ينبغي ان نقوم به خلال الايام القادمة . ورغم ان الساعات كانت تمر علينا ونحن جالسين في اماكننا الا اننا لم نكن نحس ابدا بالتعب من بعد رحلتنا الطويلة . كما اننا لم نتناول اي طعام . . وقال بعض الطلاب انهم لم يكونوا يتصورون ان نصل القاهرة في مثل هذا الوقت لذلك فقد دارت بعض الاتصالات لتأمين احضار بعض فرش النوم (مراتب) وضعت في بعض غرف النوم بالدور الثاني من البيت . . ودون ان يكون معها الاسرة والمخدات . وقبل ان يذهب كل واحد الى فراشه . . دون تحديد احضر احد الخدم في البيت شرائح من سندوتشات الكبدية . . وتناولها بعضنا . قبل ان يذهب الطلاب الى غرف النوم . . ونبدأ ليلتنا الأولى في القاهرة . في الحقيقة لم يغمض لي جفن . . وامضيت الليلة في احاديث طويلة ومتصلة مع بعض زملاء . . حتى الدقائق الأولى من الفجر . . كنا على احر من الجمر في بدء جولاتنا لمشاهدة معالم القاهرة .

في صباح اليوم الأول . . استيقظنا متأخرين . . كانت الساعة قد جاوزت الثامنة . وبعد تناول وجبة افطار خفيفة . . نشطت الحركة في البيت . . وحضر رجلان من موظفي المعهد البريطاني ومعهم بعض العمال وطلب منا احد الرجلين مغادرة البيت هذا اليوم . . ريثما يقوم العمال باعادة تنظيم الغرف . . ونقل الاسرة والخزانات اليها . . حتى تكون جاهزة قبل حلول المساء . . وما كنا في الواقع في حاجة لذلك فقد كنا متشوقين للقيام بأول جولة في زيارة البلد .

قاد مجموعتنا . . الزميل احمد علي الشوملي باعتباره اكبر الطلاب سنا وقد غادرنا البيت مشياً عبر شارع حسن صبري (البرازيل حالياً) حتى وقفنا على رصيف اول محطة من محطات الترام (الترامواي) وركبنا احدى العربات فيه . . وسار بنا مع بقية الركاب من تحت كوبرى «ابو العلاء» قاطعاً شارع فؤاد حتى نزلنا في احدى المحطات الواقعة في ميدان «العتبة» .

تجولنا في هذا الميدان . . وفي الطرق المتفرعة منه مثل شارع عبدالعزيز وشارع محمد علي ، وشاهدنا فيهما جموع الناس واصحاب المهن والحرف على اختلافها . وكنا نتساءل طول الوقت . . أحقاً هذه هي القاهرة التي طالما حلمنا بزيارتها . . اقترح علينا الزميل الشوملي ان نتناول بعض سندوتشات الفول والطعمية خلال هذه الجولة طالما ان موعد وجبة الغداء قد حل . . ويتعذر علينا العودة الى البيت في هذا الوقت . . ولرغبتنا في



■ على سطح بيت البحرين بالقاهرة سنة 1946 م .



■ في بيت البحرين بالقاهرة ، مع الاستاذ كمال المهزع سنة 1946 م .

تذوق بعض الاطعمة الشعبية . كان الزميل الشوملي يقوم بتسديد كل مصروفاتنا . . وكان كرمًا منه انه لم يطالبنا بتسديد تلك المبالغ . . هذه المبالغ التى يمكن اعتبارها مبلغا كبيرا جدا . . وان يدفعها طالب واحد . . فى يوم واحد . . فى مثل تلك الايام .

فى الايام التالية . . بدأنا نقوم بجولات لوحدها . . اى دون ان يكون معنا احد من طلاب البعثة الاوائل . وكانت هذه الجولات تقودنا الى مناطق جديدة من مناطق القاهرة . . وبدأت هذه الجولات بزيارة اهرامات الجيزة . . وابو الهول . . وحدائق الحيوان بالجيزة . . ثم بعض الحدائق الصغيرة مثل حديقة «الاورمان» وحديقة «الاسماك» بالزمالك . . القرية من بيتنا . كما كنا نقوم فى بعض الاماسي الى المساجد والجوامع المشهورة . . مثل سيدنا الحسين والجامع الازهر وجامع السيدة زينب . . وجامع ابن طولون . . وغيرها . وكان اكثر ما يستهويني هو التجول فى شارع محمد علي . . وقد كان من اوائل الاماكن التى شاهدناها . . فى هذا الشارع كنت تجد انماط من الحياة المصرية الاصيله قل ان تجد لها مثيلا هذه الايام . وكان اكثر ما يلفت النظر الحوانيت التى تبيع الآلات الموسيقية . . ومحلات تبيع الحلوات . . والعطارة . . والاواني المنزلية . . والصناعات اليدوية على مختلف اشكالها . . ودكاكين لبيع الاقمشة . . والاصواف . . والطرايش . . هذا فضلا عن المطاعم . . والمقاهى الشعبية . . وكانت خاصة بالدلالين . . والمحامين . . والاطباء . . والخطاطين . . والمكتبات ومخازن الادوية . . والصيدليات . . ودور العبادة . . والمنازل التى يتواجد فيها اصحاب المهن الفنية . . من راقصات (الغوازي) والفرق الموسيقية . . وكثير من الاشياء التى لا تقع تحت حصر .

لقد بقيت الذكريات الجميلة عن شارع محمد علي مترسخة فى ذهني . . حتى اليوم . . وكنت احرص كلما زرت القاهرة ان امر واطوف لبعض الوقت فى هذا الشارع . . استرجع بعض الذكريات التى لا تنسى . . ولكم تغير الزمن . . وجار على كثير من الاشياء ولكن بقيت الروح الاصيله التى يحملها هذا الشارع . . والتى لا يمكن ان ننمحي او نزول من الذاكرة .

فى ثاني يوم لوجودنا فى القاهرة . . صادف حلول ذكرى وعد «بلفور» فى ٢ نوفمبر . . وقرب كوبرى «أبو العلاء» المؤدى الى حى الزمالك . . صادف ايضا مرور مظاهرة كان المشاركون فيها يهتفون بسقوط الاستعمار البريطاني . . ويرددون هتافات وشعارات عربية . . قومية عربية . . ومنذ ذلك اليوم كانت المظاهرات لا تكاد تنتهى فى القاهرة . . كان المصريون خلال هذه الفترة يقاومون الاحتلال البريطاني الذى يرزحون تحت

وطأته . . . ويطالبون بجلاء القوات البريطانية التي كانت متمركزة في مدن القناة . . . بل في وسط القاهرة . . . في تلك الأيام لم نكن نقدر ان تكون العلاقة القائمة بين مصر وبريطانيا . . . على مثل هذه الحدة والعداء . في تلك الأيام كنا نسمع . . . ونقرأ في الجرائد اليومية قيام طلبة الجامعة بالمظاهرات وفي نفس الوقت كانت المفاوضات تدور بين الحكومة المصرية التي يرأسها اسماعيل صدقي باشا . . . والحكومة البريطانية التي يمثلها المستر بيغن وزير الخارجية . كانت هذه المفاوضات تطالب بالغاء معاهدة سنة 1936 المعقودة بين البلدين .

اتذكر انه في يوم من الايام . . . كنا مارين قرب المتحف المصري استوقفنا احد الجنود البريطانيين الذين يركبون الدراجات النارية . . . وسألنا بعض الاسئلة ونحن في طريقنا عائدين الى البيت من المدرسة . . . فقلنا له اننا لسنا من المصريين . . . ويظهر ان هذا الجندي لم يقتنع بهذه المعلومة . . . فقال لنا بصريح العبارة . اذا كنتم غير مصريين كما تدعون . . . فدعوني اطلع على جوازات سفركم فقلنا له اننا لا نحمل معنا جوازات السفر . . . قال اذن عليكم في المرة القادمة ان تحملوها معكم . . . والا تعرضتم للمخاطر .

مرت بضعة أيام على البيت . . . لم يكن فيه احد مسئولاً عن شئونه سوى رجال المعهد البريطاني . . . الذين يحضر بعضهم لانجاز بعض المهام . . . ولا يبقون طويلاً . . . وفي نفس الوقت كان يجري تأثيث الغرف فيه . . . وتجهيز غرف ومكتب المدير . . . وقد عين لهذا الغرض استاذ مصرى . . . على درجة كبيرة من المقدرة والكفاءة وحسن الخلق هو الاستاذ حسن حبشي . . . وقد باشر عمله في البيت منذ اول يوم واستطاع ان يكسب تقدير واحترام جميع الطلاب . وكنا نجتمع به في مكتبه بعض الاوقات . . . ونسمع منه ما ينوى عمله لمنفعة الطلبة . . . والمشروعات التي ينوي القيام بها في المستقبل .

وقد سرت بين الطلاب اشاعة في الايام الاولى باحتمال تعيين مربية انجليزية لمعاونة السيد المدير في اعماله ولكن تبين - بمرور الايام - زيف هذه الاشاعة . . . التي انطلقت من المعهد البريطاني . . . ومرت الايام دون ان تتحقق . كما انتشرت اشاعة اخرى . . . ذكرت بان مستشار حكومة البحرين (بيلجريف) ربما يزور بيت البحرين . . . وهو في طريقه من البحرين الى لندن في احدى اجازاته . . . خلال ايام قريبة . ومرت الايام ايضا . . . ولم تتحقق الاشاعة .

لكني اتذكر ان الاستاذ احمد العمران الذي كان يقوم حتى ذلك الوقت باعمال مدير المعارف . . . قد مر بالقاهرة وهو في طريقه الى لندن لحضور احدى الدورات التدريبية

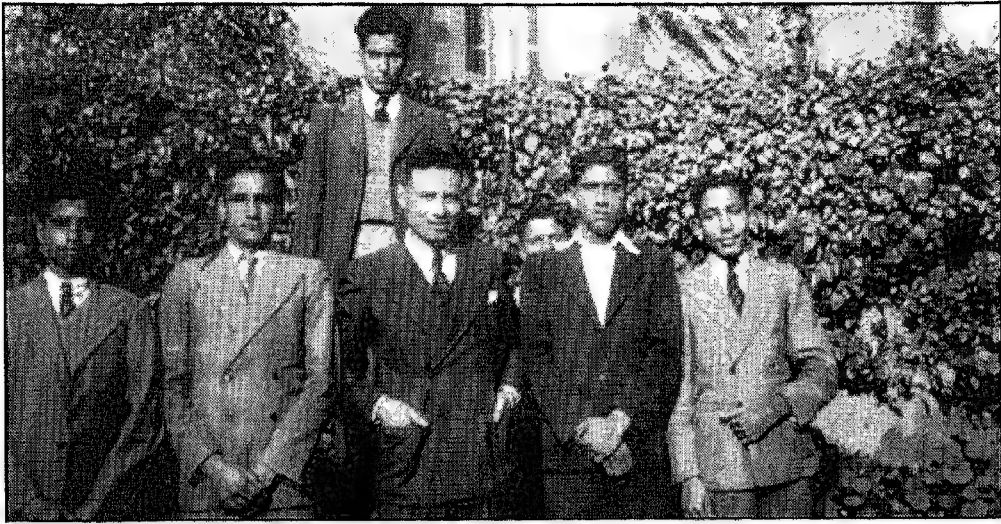
هناك . واقام معنا فى البيت ليوم او يومين فى الغرفة العلوية الموجودة فى السطوح . .
والتي لم ينزل بها احد من الطلاب . . وكثيرة هى الاشاعات والاقاويل التى كانت تروج
بيننا دون ان يكتب لها النجاح .

لابد لي وانا اتكلم عن البيت . . ان اذكر نبذة موجزة عنه . فهو يقع كما اسلفت فى
حى الزمالك . . اجهل وارقي احياء القاهرة فى تلك الحقبة المزدهرة من حياتها . . وهو
عبارة عن فيلا صغيرة مبنية على الطراز الكلاسيكي الذى كان سائدا تلك الايام فى
الحى . . ويجاور البيت . . عدد من الفيلات . . وعدد من دور السفارات الاجنبية . . منها
دار السفارة الروسية . . والسفارة الصينية . . وتقع خلف البيت من الجهة الغربية عمارة
سكنية من ثلاثة او اربعة ادوار . . مؤلفة من شقق يقيم فيها افراد العائلات معظمهم
من الفرنسيين والانجليز .

ومن المدخل فى الدور الأول يقع الى اليسار مكتب المدير . . ويحتوى على طاولة مكتب
كبيرة . . ومقاعد جلدية للجلوس . . وبعض الخزانات كما يوجد فى المكتب . . تيلفون
البيت . اما الى اليمين من المدخل فتوجد غرفة الجلوس . . او صالون الاستقبال . . وفى
احدى زواياه توجد بعض الطاولات الصغيرة . . وجهاز راديو . . وفى صدر الغرفة علفت
صورة داخل برواز مذهب لحضرة صاحب العظمة الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة . .
حاكم البحرين . . وفى احدى زوايا الصورة تظهر مرافق البيت . . وصالة الطعام . .
والمطاعم ودورات المياه . . اما فى الدور الثانى فقد خصص لغرف النوم . . وكانت ثلاثا او
اربعا متفاوتة الشكل والحجم . . كانت الغرفة الشمالية اكبرها . . وتطل مباشرة على
الحديقة التى تتداخل اشجارها مع حدائق بيوت الجيران المجاورة .

اما فى السطوح فكانت توجد غرفتان صغيرتان . . اقام فى احدهما الاستاذ احمد
العمران . . كما اسلفت . وكنا فى اغلب الايام . . او يوم الجمعة بالذات . . نقضى اوقاتنا
جميلة فى السطوح طلبا لدفع الشمس . . او مذاكرة الدروس . . ومشاهدة معالم الحياة
المحيطة بالبيت . . والتقاط الصور .

فى القسم الشمالى من حديقة البيت . . شجرة من اشجار المانجو الكبيرة . . ورغم ان
ساق الشجرة يقع فى ارض حديقتنا الا ان اغصانها المحملة بشمار هذه الفاكهة اللذيذة . .
كانت معظمها تمتد داخل حديقة جارتنا العجوز . المسز جويلز . . وهى يهودية من
مالطة . . وتزعم انها من اصل فارسي . كانت هذه العجوز تحول بيننا وبين الاستفادة من
هذه الثمار . . كلما حاول احد منا ذلك . فقد كانت ظهر كل يوم تحضر الى حديقتهما
سلما خاصا تصعد عليه وفى يدها عصا طويلة تسقط بها حبات الثمار الناضجة من



■ مع مدير بيت البحرين بالقاهرة الاستاذ حسن حبش سنة 1946 م .

الشجرة . . بكل يسر وسهولة . . وتضع ما تحصل عليه منها في سلة لديها . . وقد تتعطف احيانا فتعطى احدا بعضا منها اذا صادف وجودها . . قبل ان تدلف داخله الى بيتها . وقد بقيت على هذه الطريقة فترة من الزمن . . او طيلة موسم المانجو . . حتى اختفت اخر حبة من الثمار في الشجرة . . مستغلة هذا الوضع لصالحها . . ودون ان يردعها احد .

والى الاسفل من الدور الاول . . كانت تقع احد الغرف التى يطلق عليها «البدر» او «السرداب» كما نعرفها . . كنا نستعملها كمكان لمذاكرة الدروس . . او تخزين بعض قطع الاثاث المستهلكة .

وفي واجهة هذه الغرفة يقع الجزء الاكبر من حديقة البيت الشمالية . في مساء احد الايام ابلغنا الاستاذ كمال برغبته في السفر والعودة الى باريس لمواصلة دراسته في القانون . وقد غادرنا الى هناك . . ولم التق به الا في احدى زياراتي الى دولة الكويت خلال الستينات . . وكان يعمل حينئذ في وزارة الارشاد . وقد علمت فيما بعد انه آثر البقاء هناك . . ولم يرجع الى البحرين

مرت فترة من الوقت كانت احوال البيت فيها تسير على غير انتظام . . وذلك بسبب سفر الاستاذ كمال الذى كان يتولى شئون البيت بصورة مؤقتة . . وتولى المسؤولية من قبل المدير الجديد . . الاستاذ حسن حبشى . . وكان الطلاب طول الوقت يسألون السيد المدير بصورة يومية تقريبا عن موضوع الالتحاق بالمدرسة . . وكان يرد علينا بانه والمسئول

الفصل . هذا الى جانب تفاوت الاعمار . . التى لم تؤخذ في الاعتبار . فقد كان من الطلاب من تعدى العشرين . . ومنهم من لا يزال يدرج في الرابعة عشرة على افضل تقدير .

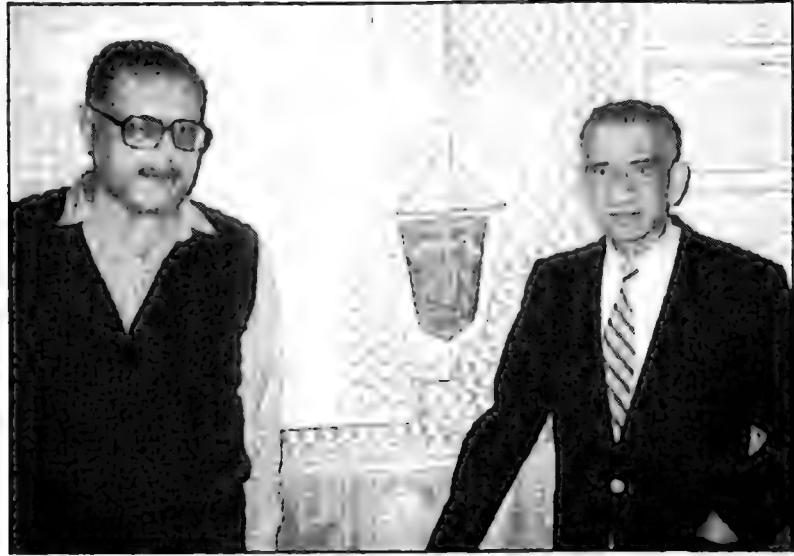
كل هذه الحقائق وغيرها . . لم تؤخذ في حساب المسئولين من مسئولي المعهد البريطاني . . الذين كانوا وحدهم من يحق له ان يتخذ قرارا يتعلق بشئون طلاب بعثة البحرين .

كان يرأس الهيئة الادارية والتعليمية بالمدرسة . . ناظرها الاستاذ حسن الزيات . . وكان يتمتع بشخصية طاغية . . وهو لا يغادر مكتبه الا نادرا . ولا اذكر ان احدا منا تكلم معه طيلة ما كنا في المدرسة . كان المدرسون والطلاب لا يجروون على مناداته باسمه خوفا وهلعا . . بل كانوا يرددون اسم «اليه الناظر» اما المدرسون فاننى اذكر منهم . . الاستاذ مختار المغربي مدرس اللغة الانجليزية . . وهو يبدو دائما انيق المظهر . . بخلاف بقية المدرسين والاستاذ صفوت . . والاستاذ علوان افندي . . ويطلق عليه بعض الطلاب الخبثاء اسم «سيدنا موسى» وكان يقوم بتدريس مادة الرسم . . والاشغال اليدوية . . التى كان لها فصل خاص يجاور غرفة مكتب ناظر المدرسة . . ننتقل اليه عندما يحين موعد حصة هذه المادة . . التى كانت بمعدل مرة كل اسبوع .

ورغم تدنى مستوى المدرسة وامكاناتها المتواضعة بين بقية المدارس من مثيلاتها فانها كانت تقدم لطلابها الذين يزدون على الالف . . وجبة غداء يومية متواضعة فقد كانت مدرسة محمد علي تتبع نظام الدوامين . . وكانت الوجبة لا تخلو دائما من كأس «البن الزبادي» الذى كنا نقبل عليه أيا أقبال . . كانت وجبة الغداء تقدم داخل احدى الصالات الفسيحة المقامة على امتداد ساحة المدرسة الخارجية ويدخل اليها التلاميذ وفق نظام خاص . . وخلال فترة الاستراحة التى تعقب تناول الوجبة كنا نذهب الى غرفة صغيرة تقع في الممر الضيق الذى يفصل مبنى المدرسة عن بعض المباني السكنية المطلة عليها . . في هذه الغرفة . . وفي جوانبها نتناول الشاي الاحمر الذى يعده بعض العاملين من «اولاد البلد» لقاء ملايم زهيدة . . وكانت جلسات الشاي هذه فرصة طيبة للتعرف على طلبة المدرسة من متسبي الفصول الاخرى والاستماع الى قصصهم . . واحوالهم .

وعلى كثرة زيارتي الى القاهرة التى تواصلت خلال الاربعين سنة الماضية . . او تزيد . . كنت دائما اتوق لزيارة مدرسة محمد علي كلما صادف وقادتي رجلاي الى ميدان السيدة زينب حيث تقع المدرسة وذلك لاستعادة ما يجيش في صدري من ذكريات جميلة عن ايام الدراسة التى امضيها في رحاب هذه المدرسة . . حتى قبض الله لي زيارتها

■ مع مدير
مدرسة محمد
عني الاميرية /
السيدة زينب
بالقاهرة سنة
1992 م



■ فناء مدرسة محمد علي الاميرية خلال زيارة مؤلف الكتاب لها سنة 1992م.

مرتين متتاليتين خلال شهر ديسمبر 1990 ويناير 1992 والتجول داخلها بعد طول المدة وتقادم السنين وكنت سعيدا اذ اتحت لي الفرصة بالاجتماع والتعارف باحد المدرسين العاملين فيها وقت تلك الزيارة . . هو الاستاذ احمد محمد محمد الشيشيني (مدرس رياضيات) الذي قدمني الى السيد ناظر المدرسة . . وبعض المدرسين . . وجلست الى بعضهم في غرفة الناظر . . وبعض الفصول احدهم عن احوال المدرسة في تلك الحقبة البعيدة . . والايام التي مرت علينا فيها . فكانوا لا يكادون يصدقون ما

كنت ارويهم لهم . . لقد تغير كل شيء في المدرسة . . ولكنها ازدادت سوءا على سوء من ناحية المبنى . لقد تحولت المدرسة وقت زيارتي لها الى مدرسة اعدادية ولم انس قبل ان اغادرها . . ان التقط بعض الصور التذكارية مع بعض تلاميذها . . وبعض المدرسين . وهى لا تزال حتى اليوم في موقعها القديم . . وهو رقم ٥٠ شارع عبدالمجيد اللبان المتفرع من ميدان السيدة زينب .

كان من اكثر ما ترسخ في ذهني من ذكرى ايام الدراسة تلك المشاوير اليومية التى نقطعها في غدونا ورواحنا من البيت الى المدرسة . . او بالعكس . وبصورة خاصة ما انطبع من معالم تلك الطريق والشوارع . . والحواري والازقة احيانا . . التى نمر عليها صباحا ومساء . . رغم اننا نستخدم احيانا وسائل المواصلات مثل الباص والترامواي في بعض مراحل الطريق بطول المسافة التى تفصل بين بيت البحرين في الزمالك . . ومدرسة محمد علي في حى السيدة . كنا نقطع الطريق بعبور كوبري ابو العلا . . فكورنيش النيل . حتى مبنى المتحف المصري . . الامانة . . فميدان التحرير . . فباب اللوق . . فشوارع خيرت حتى نصل الى ميدان السيدة زينب وحيانا كنا نسلك شوارع وطرقا غير هذه . . في بعض الايام كنت اقطع هذه المسافة لوحدي . . وحيانا اخرى برفقة زميل او زميلين او اكثر . . كان يحلو لي اكتشاف كثير من الامور ونحن نشاهد الناس . . سواء في غدوهم ورواحهم . . او وهم يزاولون مهنتهم واعمالهم في محلاتهم . . مشاهد ومظاهر عديدة لا تتغير كل يوم . . ولكنها تلفت النظر . . ولا تقع تحت حصر . كنت اتوقف طويلا وانا في طريقي مارا من باب اللوق والطرق المتفرعة منه . . وحيانا في شارع خيرت . . قريبا من مدرسة «السنية» للبنات . . وحيانا اخرى من شارع «المبتديان» حيث تقع دار «الهلل» وبعض دور المكتبات . وفي مكان ما من باب اللوق . . اتذكر باعة الفواكه والخضراوات وهم يفتشون الارض بما يملكونه من بضاعة . . ينادون عليها باعلى اصواتهم . . الى جانبهم اقفاص الحمام والدجاج والبط . . والطيور او الارانب . . واكوام من ارغفة الخبز البلدي . . وانواع الكعك . . وكانت هناك في نفس المنطقة مدرسة اجنبية للبنات . . كثيرا ما شاهدنا اعدادا من الشباب . . والفضوليين يتجمعون على الارصفة القريبة للبصبة ومضايقة الطالبات . وقد لاحظت انهم يحاولون في التستر على مواقفهم المخجلة هذه بالوقوف عند العربات التى تباع الفول والترمس والفول والطعمية التى يصادف توقفها او مرورها امام بوابة المدرسة المذكورة . ولو اردت ان اعدد المظاهر التى كانت تصادفنا ونحن في الطريق لاحتاج الأمر لي كثير من الاطناب والتطويل .

„ تمضى الأيام وتنقضى الأسابيع وحياتنا في بيت البحرين تأخذ طابعا اعتياديا.. ويسود البيت جو من المحبة والالفة والانسجام بين جميع الطلاب.. وينصرف الجميع الى تأدية واجبات المدرسة.. ويعيش ساعات وايام قل أن يوجد بها الزمان.. وفجأة تطفو على السطح بعض القضايا والمشاكل التي لا بد لي من ان أذكر شيئا منها وأنا بصدد نقل صورة عن حياتنا داخل بيت البحرين.

في أحد الايام تقدم أحد زملاء.. ممن يتمتع بوضع مميز بين طلاب البعثة لاعتبارات خاصة بورقة تحمل في ثناياها احتجاج طلاب البعثة ممن يسكنون البيت على نظام الوجبات وسوء الاغذية المقدمة لهم ،،

والواقع انه تولدت لدى بعضنا بوادر شكوى وبعض التذمر حول الموضوع الا ان الامر لم يكن يستدعى اكثر من ابلاغ السيد مدير البيت بالعمل على تحسين الاحوال . الا انه بفعل ممارسات الضغوط التي قام بها الطالب المذكور . وقع جميع الطلاب على تلك الورقة/ العريضة التي عرضت عليهم . ورفعت الى ادارة المعهد البريطاني باعتباره الجهة الرسمية المسؤولة عن رعاية شئون طلاب بعثة البحرين . . كانت هذه الورقة تتضمن بعض المطالب التي ليست لها علاقة مباشرة بسوء الاطعمة . . الا ان الجميع لم يتبين هذه الحقيقة في حينها . كما ان تلك الورقة/ العريضة لم تقدم أو تعرض على الاستاذ حسن حبشى مدير البيت كما يفترض . بعد تقديم العريضة بأيام قليلة زارنا في البيت السيد «هايوود» مدير ادارة المعهد الثقافي البريطاني واجتمع بالسيد مدير ادارة البيت في مكتبه . ودار الحديث بين الاثنين طويلا ، وكان الطلاب قد تجمهروا امام غرفة مدير البيت ينتظرون نتائج هذا الاجتماع . . خرج علينا السيد

هايوود وهو يلوح في يديه ببعض الاوراق . . وخلافا لما عهد فيه من سعة البال ودمائة الخلق . . خرج يردد ويزيد ويصرخ في وجوهنا ويهددنا بعبارات غاضبة . . ثم في لين أحيانا . . وأتذكر ما كان يقوله لنا بالحرف الواحد:

You are Coming here to learn (ADAB) my boys, not for (IZRABAT) or (MUZAHARAT).

قال هذه العبارات بغضب وحنق . . اسلمت بعضنا للضحك . . وهو مما زاده نعمة وحنقا . . وبعد قليل غادر البيت وهو يتمتم ببض الكلمات وبعد قليل من مغادرة السيد هايوود . . انضم اليها الاستاذ حسن حبشي بل وشاركنا ضحكاتها . . توقفنا بضع دقائق عن تناول وجبة الغذاء . . الا اننا أقبلنا عليها . . ورحنا نلتهم كل المواعين الموضوعة على الطاولة . . بعد ان وعدنا السيد المدير . . بانه سيعمل باخلاص على تحسين الاحوال . . وقد لاحظنا بعد أيام ان انواع واصناف الطعام بدأت تتحسن . . وأصبحت تقدم في صورة أفضل .

لقد تركت هذه الحادثة ولا شك أثرها في نفس السيد هايوود . . بل ونفوس رجال المعهد . . فراحوا من ذلك اليوم يرصدون حركاتنا وسكناتنا . . ويضخمون من كل صغيرة تصل الى اسماعهم . . وذلك من وراء الستار . . ونحن لا ندرى .

وحادثة اخرى كادت تعصف بكيان البيت . . وتفرق شمل طلاب البعثة . . وهى - وأن كانت تبدو عابرة - الا انها في الواقع اعمق غورا من سابقتها . . وكان يمكن ان تؤدي الى نتائج غير محمودة . . وملخص هذه الحادثة . . انه ذات يوم وقع خلاف بسيط - في ظاهره - بين طالب وطالب . . ولما كان مثل هذا الاختلاف موجودا بين هذين الطالبين فقد راح كل منهما يوجه اتهاماته ضد الطرف الاخر متها اياه بشتى النعوت والافصاف حتى كاد الامر ان يصل بهما الى حد التهديد بالايدي . . ومما زاد الامر حدة وتصعيدا . . ان بعض الطلاب راح يؤيد ذلك الطالب ضد الطالب الاخر .

اتهامات كثيرة كان يتبادلها الطرفان . . وكانت تدور في اروقة البيت . . وتزداد حيناً . . وتخف حيناً اخر . . وبقي الفريقان على هذا الحال . . وبقي بينهما فريق ثالث . . اخذ على نفسه ان يكون بعيدا عن الفريقين الاخرين . . وان يكون على الحياد في هذه القضية التي كادت ان تتطور الى الاسوأ لولا حكمة وتدارك بعض الزملاء ومحاولتهم المخلصة بوأدها في مهدها . . أنتهت القضية والحمد لله ولكن ذيوها وصلت بلا شك الى مسامع رجال المعهد البريطاني ويعلم الله ماذا بيتوا لها . . وما أعدوا من خطط في سلسلة المآخذ التي تم اعدادها لطلبة البحرين فيما بعد .

في تلك المرحلة من اعمارنا . . ونحن لا زلنا طلابا نعيش خارج الوطن . . لم نكن نعى تماما ما يطلق عليه هذه الايام بالولاءات او الائتماء . . او السير في ركاب الحزبيين او العقائدين . كنا لا نزال صغارا . ثقافتنا محدودة . ومداركنا قاصرة . . ولكننا نتأثر كثيرا بما يدور حولنا . كنا مثلاً نبدي كراهيتنا للاستعمار البريطاني لما كان يفرضه من سيطرة على كثير من أرجاء وطننا العربي . . وكنا نشهد هذه السيطرة واضحة وضوح الشمس في مصر . . البلد العربي الذي كان بالنسبة لنا البلد القدوة والمثل . كنا مثلاً، او معظمنا على الاقل نميل الى مناصرة حزب الوفد . . كنا معجبين برجالاته امثال مصطفى النحاس . . وفؤاد سراج الدين . وعبد السلام فهمي جمعة . . وحمدى سيف النصر . . ومحمد صلاح الدين . . وعلي زكي العرابي . . ومكرم عبيد وغيرهم .

كانت تستهويننا بعض المواقف . . ونتابع باهتمام بالغ ما ينشر في الصحف المصرية من مقالات وتعليقات . . وتدور بيننا المناقشات والجدل احيانا . . وان كنا غير قادرين على سد اغوار القضايا الوطنية التي كان يمر بها الوطن العربي آنذاك .

عندما وصلنا الى مصر . . كانت الحرب العالمية الثانية ما تزال رحاها تدور في كثير من اصقاع العالم . . وفي اوائل 1946 بدت بعض الظواهر على قرب انتهاء المعارك . بعد ان نزل الحلفاء في «نور ماندي» على الساحل الفرنسي . . وانتهت معركة «ستالينغراد» لصالح الاتحاد السوفيتي .

والقى الامريكان بقتابلهم الذرية على المدينتين اليابانيتين هيروشيما ونجازاكي . . وفي وطننا العربي . . تشكلت جامعة الدول العربية وغيرها من الاحداث التي تسارعت في تلك الحقبة .

وكننت والزميلين عبد الحميد الشتر . . وعبد الرحيم علي . . نتابع هذه الاخبار ونقضى الساعات الطويلة في الاستماع اليها من جهاز الراديو الموجود في غرفة الجلوس . . بينما كان بقية طلاب البعثة لا يرغبون في الاقتراب منه . . هذا في الوقت الذي كانت تجري فيه المفاوضات بين مصر وبريطانيا لانهاء معاهدة سنة 1936 المعروفة بمفاوضات صدقي . . بيفن .

بعد أسابيع من أنتهاء قضية الطالبين . . راح جميع طلاب البعثة يذكرون دروسهم ويؤدون واجباتهم الى جانب الاستمتاع بالحياة الجديدة التي يلقونها في مصر . . ولكن الانباء تسارعت الينا ان المسؤولين في البحرين . . وعلى رأسهم مستشار الحكومة قد تلقوا

انباء تلك القضية بانزعاج شديد . . وانها عززت الشكوك والاقاويل التى بدأت بعض الاوساط فى البحرين تتناقلها عن البعثة . . وافرادها . . وهى لا تزال بعد فى ايامها الاولى، اما نحن فلم نلتفت الى ما كان يقال . . وهدأت الامور بعد ذلك .

وبعد هاتين الحادثتين اللتين القتتا بظلالهما القاتمة الكثيرة على مسيرة الطلبة . . تعود الامور الى طبيعتها المعتادة فى بيت البحرين . . ويحدثنا السيد مدير ادارة البيت الاستاذ حبشى عن برنامج طموح يعده لنا لزيارات الى بعض معالم القاهرة . . وادبائها . . ومفكرها والاجتماع بهم فى مقار اعمالهم أو دعوتهم لزيارة البيت . . والحقيقة ان الفترة المنصرمة الاولى التى اعقبت وصولنا من البحرين . . قد حفلت بسلسلة من الزيارات والمشاهدات التى احاول ان لا يفوتنى تسجيلها . . والاشارة اليها .

ان اكثر ما كان يجذب انتباهنا هو مشاهدة الافلام السينائية التى تعرض لعدة ايام وفى اكثر من دار من دور العرض المنتشرة فى كل مكان يتوجه اليه فى مدينة القاهرة . . لم يكن الفيلم فى حد ذاته هو ما كان يجذب انتباهنا فقط . . بل ان دار العرض كانت هى الاخرى مثار الاهتمام . . مثل هذه الدور نشاهدها لأول مرة . . وهو شىء جديد بالنسبة لنا . . وأتذكر ان اول الافلام المصرية التى شاهدتها كان



■ مع الاخ علي المسقطي في شارع فؤاد الاول بالقاهرة سنة 1945م.

فيلم «جمال ودلال» بطولة فريد الاطرش.. وسامية جمال وكان يعرض في دار سينما ستوديو مصر بشارع عماد الدين.. كان صباح يوم الجمعة من كل اسبوع هو اليوم المفضل لزيارة دور السينما.. وهو يوم العطلة الاسبوعية الذى نجد أنفسنا فيه طليقين من كل قيد.. حتى ان بعضنا كان يشاهد اكثر من فيلم واحد.. في اكثر من دار للعرض اذا سنحت له الظروف بذلك.. وفي الأيام الاولى.. وحتى مغادرتنا القاهرة اقتصرت زيارتنا على دور السينما القريبة.. والمعروفة في وسط القاهرة مثل سينما «مترو» بشارع سليمان.. وسينما «أوبرا» بميدان الاوبرا.. وسينما «الباريزيانا» بشارع عبدالعزيز المتفرع من ميدان العتبة.. وهى من دور العرض الشعبية.. وكانت متخصصة تقريبا في عرض افلام رعاة البقر الامريكية.. والمسلسلات الاجنبية الطويلة التى يستمر عرضها طول اليوم.. ودون انقطاع كما كنا نقوم بزيارة دار سينما «ريفولى» بشارع فؤاد.

اما المسارح والكازينوهات والملاهى الليلية الاخرى.. فقد كان نصيبنا من زيارتها محدودا.. وان كانت اكثر اغراء واشد جذبا من دور السينما.. وذلك لسببين.. اولاهما ان السيد مدير البيت كان يحذرنا من ارتيادها.. الا بعلم وأذن مسبق منه.. وكان يقول لنا ان مثل هذه الاماكن هى للرجال الكبار.. والسبب الثانى ان أسعار تذكار الدخول لمثل هذه الاماكن لا تتحملها جيوبنا في تلك الأيام.. ومع هذا فقد اسعدنا الحظ بمشاهدة رواية كانت تعرض على مسرح دار الاوبرا الملكية.. وقد صحبنا فيها السيد مدير البيت.. اسم الرواية كما أتذكرها «العباسة» أخت الرشيد» وكان من بين الممثلين.. الاستاذ سراج منير.. كما شاهدنا بعد هذه الرواية بأيام رواية باسم «مشغول بغيري» كانت تعرض على خشبة مسرح الازبكية.. القريب من دار الاوبرا.

كنا نكثر التردد على زيارة منطقة الاهرامات وأبو الهول.. وحدائق الحيوانات بالجيزة، لقد كان الوصول الى هذه الاماكن بالباص يستغرق بعض الوقت.. وقد كانت هذه الاماكن من أول ما التقطنا فيها الصور التذكارية.. وأنى لأتذكر كم هو عدد الصور التى كنت أبعث بها الى الاهل والاصدقاء في البحرين بين حين وآخر.. ولما أرسلت مجموعة منها كانوا يطالبوننى بأرسال مجموعات اخرى.

حديقة الحيوان في تلك الايام كانت واحدة من أشهر واكبر الحدائق في العالم.. فقد كانت تضم اصنافا عديدة.. ونادرة من الحيوانات والطيور والزواحف.. التى لا يوجد مثيل لها في كثير من حدائق العالم الاخرى.

وكانت الحديقة منسقة ومخططة في معظم اقسامها . . وممراتها الا انها فقدت كثيرا من مكائنها في السنوات الاخيرة . . لم تكن هذه الحديقة مقتصرة فقط على الحيوانات . . بل كانت تملك فصائل فريدة من الاشجار والنباتات الغريبة . . منقولة من جميع أنحاء العالم . كان اكثر ما يستهويننا عندما نزر حدائق الحيوان هو مشاهدة اقفاص الحيوانات . . وعلى الأخص القردة . . والجلوس لفترات تطول او تقصر في مقهى «حديقة الشاي» التي تقع وسط بركة مائية في جانب جميل خلاب من جوانب حدائق الحيوانات . . وقد قلنا في بادىء الامر ان الحديقة مقتصرة على تقديم الشاي . . كما يدل على ذلك اسمها . . الا انه تبين لنا أنها تقدم كذلك مختلف اصناف المشروبات الباردة والساخنة . . وبعض وجبات الطعام الخفيفة . . والمهم في كل ذلك ان الاسعار لم تكن باهظة . . وتسهل على كل جيب . . في ايام اخرى . . يطيب لنا زيارة احدى الحدائق وقضاء بعض الوقت بالتجول فيها . . كانت هذه الحديقة تعرف بحديقة الاندلس وتقع بالقرب من ميدان «الدقي» وتمثال الزعيم سعد زغلول المقام هناك .

في هذه الحديقة التي ترتفع عن مستوى الطريق ببضع عتبات وكنا نجلس على المصاطب الحجرية الموجودة في بعض جوانبها . . وتطل مباشرة على النيل حيث تحلو الجلسات ومراقبة المراكب النهرية التي ترفع اشراعتها البيضاء وتمخر مياه النهر الخالد . . بعض هذه المراكب تنقل المسافرين والركاب ومعظمهم من الفلاحين وابناء الصعيد الى قراهم واماكن عملهم على طول مجرى النهر . . وعلى الجانبين كانت تصطف عدة مراكب يطلق عليها «ذهبيات» هي عبارة عن بيوت انيقة بالخشب وموصلة بالكهرباء وسائر الخدمات . كانت الدهشة والانبهار تملكننا ونحن نتخيل الحياة المرفهة التي يعيشها اصحاب هذه «الذهبيات» المحظوظون بعيدا عن صخب المدينة وضوضائها .

خلال إحدى عطل الاسبوع المعتادة . . نظمت لنا ادارة البيت زيارة استطلاعية الى ضاحية «حلوان» التي تقع على مسافة قريبة جنوب القاهرة . والطريق بينهما بالقطار يستغرق نحو نصف ساعة . . كان برنامج الزيارة حافلا . . فعند وصولنا محطة القطار . . توجهنا مباشرة لزيارة «الحديقة اليابانية» التي تشتهر بها حلوان والحقيقة ان هذه الحديقة لا تختلف عن غيرها سوى بوجود سلسلة من التماثيل الطينية المنصوبة في احد ممرات الحديقة للاله «بوذا» والمكان يصلح لالتقاط الصور التذكارية . . وقد تناولنا وجبة الغداء في هذه الزيارة في مكان قريب من موقع «مرصد حلوان» واشتملت الوجبة بالاضافة للسندويشات المشكلة . . على بعض الفاكهة مثل العنب . . والتين . .

والشمام . . التى اشترينا منها اقفاصا عديدة ونحن فى طريقنا بالقطار . وامضينا فى هذا المكان عصر اليوم بطوله حتى حل المساء وعدنا الى القاهرة .

كما تشتهر حلوان ايضا بمياهها المعدنية . . التى يقصدها كثير من الناس . . وخصوصا فى فصل الصيف للاستمتاع بها فى المسابح او الحمامات الشعبية المقامة هناك . . الا انه لم يقدر لنا زيارتها او الاطلاع عليها . . طيلة اقامتنا فى القاهرة . . ولكننى زرتها بعد سنوات طويلة فى زيارات خاصة . . كانت آخرها خلال سنة 1962 . . ولكنها لم تكن بالصورة التى كنت اتخيلها من قبل . . كما زرت حلوان ايضا فى عام 1990 .



اما المساجد والجوامع الاسلامية فلم يكن أحد من طلاب البعثة يحرص على زيارتها كحرصى . . ويشاركنى فى ذلك العزيزان الزميلان عبدالرحيم على . . وعبد الحميد الشتر . . وقد زرنا منها عددا كبيرا . . اذكر منها على الاخص . .

الجامع الازهر . . جامع سيدنا الحسين . . جامع أبى طولون . . جامع السيدة زينب . . جامع السيدة نفيسة . . جامع الرفاعى . . جامع عمرو بن العاص فى مصر القديمة . . وكذلك بعض الكنائس القبطية القديمة الموجودة بكثرة فى هذه

■ امام البرج الياباني فى مدينة حلوان - 2 محرم سنة 1365هـ .



■ قرب الهرم الاكبر بالجيزة 26 يناير 1946م .

المنطقة . . وجامع صلاح الدين وجامع السلطان حسن . . وغيرها . . والغريب العجيب اننا على كثرة ما زرناه من هذه المساجد المعروفة . . لا أتذكر اننى - على الاقل - قد قمت بزيارة قلعة محمد علي . . التى هى أشهر من نار على علم . . لكل زائر الى القاهرة . . وحتى زيارتى الاخيرة الى القاهرة . . لم أقم بزيارة القلعة الا مرة واحدة وقد كان ذلك فى عام 1990.

وفى الأيام الاولى . . زرنا مناطق عديدة من مناطق القاهرة وكنا نحرص فى هذه الزيارات ان تكون لمناطق قديمة . . وشعبية الطابع منها الموسيقى . . وخان الخليلي . . بولاق . . وشبرا . . والعباسية والجيزة وامبابة . . وغيرها . . الى جانب هذه الزيارات . . قمنا بزيارات يجدر بى ان اذكرها على سبيل المثال ومنها:

1) دار الكتب . . ميدان محمد علي . . المتفرع من العتبة وكانت زيارة سريعة لم تتح لى ولغبرى من الزملاء . . الاطلاع على نقائس الكتب والمخطوطات التى تحويها هذه الدار . . وكان المفروض ان نقوم بالزيارة مرات . . ومرات.

(2) متحف السكك الحديدية.. ميدان محطة مصر «رمسيس» وإحيانا ميدان باب الحديد.. وهذا المتحف كانت زيارته زيارة عابرة.. وقصيرة جدا.

(3) متحف الشمع.. من أجمل ما زرناه من معالم القاهرة. وقد علمت ان المكان قد نقل الى مكان غير معروف.. ولم يعد المتحف موجودا في السنوات الاخيرة.

(4) متحف الاسماك.. وهو مبنى صغير يقع في احدى الحدائق القريبة.. في شارع فؤاد.. الزمالك القريبة من بيتنا بالزمالك.

(5) حدائق الجمعية الزراعية المصرية.. بمنطقة الدقى وفيها قاعة فسيحة لمعرض زراعى يحوى بعض النباتات وعلى الاخص.. القطن.. وتنتشر في ارجاء هذه الحدائق.. الورود والازهار.

(6) ستوديو سينما مصر.. في طريق الاهرامات بمنطقة الجيزة.. وقد صحبنا في هذه الزيارة الاستاذ حسن مدير ادارة البيت وبرفقته عدد من أصدقائه من المصريين.. لا أتذكر أحدا منهم.. أمضينا في هذه الزيارة بضع ساعات أطلعنا خلالها على المراحل التى تمر بها صناعة الافلام.. من تصوير.. وتمثيل. كما شاهدنا عددا من الديكورات المقامة في جوانب متعددة من هذا الموقع.

(7) متحف التاريخ المصري.. ويطلق عليه عامة الناس الانتكخانه.. بميدان الاسماعيلية.. الذى تحول بعد ثورة يوليو 1952 الى ميدان التحرير.

يبقى هذا المكان واحدا من اعظم ما يمكن ان يشاهده اى زائر الى مصر.. فهو يحوى أشهر الآثار التاريخية التى خلفها قدماء المصريين من الفراعنة وغيرهم.. من تماثيل. نقوش.. وموميات.. وصور.. ومنحوتات.. بكل ما يخطر على البال.. لقد تكررت زيارتنا لهذا المتحف.. ومع ذلك.. لم نشاهد من موجوداته الا القليل.

(8) في احدى الاجازات.. ذهبنا في الصباح لزيارة منطقة «القناطر الخيرية» التى كنا نقرأ عنها في كتب المقررات بالمدارس.. وكانت الفكرة التى نحملها عنها مختلفة قبل الزيارة.. لقد كانت عبارة عن سدود حجرية بناها الوالى «محمد علي باشا» ابان تأسيس الدولة المصرية الحديثة.

انها احدى الاماكن التى يمكن للزائر ان يقضى فيها وقتا سعيدا.. في العربات التى تجرها الحمير او ركوب القوارب التى تطوف في القنوات او نهر النيل.. في

هذه الحديقة تسمع الاهزوجة المصرية المشهورة التى يرددها الاطفال وهم يطوفون فى الحديقة فرادى وجماعات.. والتى تقول:

تعال يا شاطر.. نروح القناطر..

كما يلاحظ الزائر لهذه الحدائق وجود بعض الاكشاك الخشبية التى تباع الاكلات الشعبية الرخيصة.. ويقبل عليها الزوار اياما اقبال لرخص اسعارها.

9) وفى عيد «شم النسيم» وهو من المناسبات الموسمية المعروفة فى مصر.. يحتفل بها المصريون على اختلاف طبقاتهم من قديم الزمان.. وهى تصادف دائما فصل الربيع الذى يحلو فيه الطقس. وتخليدا لتقليد قديم يعرف بوفاء النيل.. واتذكر اننا فى تلك المناسبة ذهبنا الى حديقة «الاورمان» التى تقع قريبا من جامعة فؤاد «القاهرة الان» وأمضينا ساعات طويلة فى التجوال بأرجاء هذه الحديقة.. واختلطنا بالشلل والجماعات التى كانت تفرش الارض وهم يؤدون اغانيهم الشعبية المحببة.. ويتناولون الاكلات التقليدية.. المؤلفة من «الفسيح» والبصل الاخضر.. وغيرها بينما الاطفال الصغار يتراكمون فى كل مكان وهم يرتدون على رؤوسهم «الطراير» المصنوعة من الورق الملون.

وكتذكرك لهذه الزيارة اشترى بعضنا هذه «الطراير» وأحضرناها معنا عند عودتنا الى البيت.. ولكنها ضاعت فى ما ضاع من أشياء كثيرة غيرها.

10) من الزيارات التى بقيت ذكرياتها الجميلة.. زيارة قام بها للبيت فريق من طلاب مدرسة «شبرا» الثانوية.. ردا على زيارة قمنا بها الى مدرستهم قبل مدة.. لأجل التعارف وكانت سهرة فريدة تقام لأول مرة فى بيت البحرين ويحضرها الى جانب طلاب المدرسة بعض مدرسيهم.

وفى خلال هذه السهرة التى امتدت بعض الوقت انطلق الطلاب المدعوون يقدمون بعض المسابقات.. ويؤدون بعض الاغاني التى أتذكر من بينها اغنية «يا بو العيون السود» وقد ظل الجميع يرددها فترة طويلة.

وكان الامل معقودا ان تتم زيارات متبادلة مع بعض المدارس الاخرى على غرار هذه الزيارة.. ولكن للأسف انقضى العام الدراسى ولم يتم شىء منها. رغم انه لم يوجد ما يحول دون ذلك.. حسب معلوماتنا على الاقل.



■ سمو الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة خلال زيارته الى بيت البحرين بالقاهرة 1946م .

صباح يوم جمعة . . لم تشرق الشمس فيه كما تشرق كل يوم . . ولم يكن الطقس فيه كما تعودنا ان يكون . . زارنا في البيت . . سمو الشيخ محمد بن عيسى بن علي آل خليفة . . عم صاحب العظمة حاكم البحرين . . لقد ابلغنا بخبر هذه الزيارة قبل أيام . . ولذلك كنا مستعدين لها اكمل الاستعداد . . كنا نعرف ان الشيخ محمد من رجالات الاسرة الحاكمة في البحرين الذين يحلو لهم السفر والتجوال في مختلف بلدان العالم . . وبالاخص مصر التي لا يكاد يفارقها طول العام . . والى جانب هذا فأنا الشيخ معروف بأنه على جانب كبير من الادب والفكر . . وانه ينظم الشعر الفصيح منه . وباللهجة العامية . . او النبط . .

في ذلك اليوم حضر برفقة الشيخ بعض مرافقيه من أهل البحرين . . الذين تعرفنا اليهم . . ومنهم السيد سلمان المعاودة من رجال اللؤلؤ في المحرق . . والسائق الخاص السيد علي ابراهيم كما قام الاستاذ حسن . . مدير بيت البحرين . . بدعوة عدد من المدعوين . . منهم الاستاذ عبدالعزيز حسين . . مدير ادارة بيت الكويت . . الذي يقع

على مقربة من بيتنا . . وفي نفس الشارع والذي تولى منصب وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء في الكويت بعد استقلالها . . والاستاذ محمود رياض . . شقيق الاستاذ حسن . . والدكتور عثمان لييب . . الذي تربطه علاقة وثيقة بالاخوين .

حضر هذا النفر من المدعوين . . وجلس الشيخ محمد وسطهم في غرفة الجلوس . . وأخذ يتكلم عن قيمة العلم . . وفوائده وأسفاره . . واتصالاته مع الادباء . . والشعراء . . وراح يعدد اسماءهم . . ويروى بعض النوادر عنهم . . وكنا نستمع لهذه الاحاديث . . ولم يكن أحد منا . . أو حتى من المدعوين بقادر ان يجارى الشيخ في قوة احاديثه وغازاتها .

وقد تناول جميع الحاضرين وجبة غذاء دسمة احتوت على أصناف من اللحم والاطباق المنوعة . . لم يشهد لها البيت مثيلا في اي يوم . . بعد تلك الزيارة . . وقبل ان يغادر الشيخ ومرافقوه تجمعنا في حديقة البيت . . والتقطت لنا بهذه المناسبة صورة تذكارية ضمن جميع طلاب البعثة . . فيما عدا طالبين اثنين حالت ظروفهما في تلك الدقائق . . ولم يظهرنا معنا في الصورة .

ويجدر ان أذكر هنا . . ان هذه الصورة . . بعد عودتنا الى البحرين خير تذكاري لبعثة البحرين الدراسية . . وأخذت مكانها في ارشيف وزارة الاعلام . . في مركز التراث الذي انشأته البحرين . . اواخر الثمانينات .

كان الشيخ محمد ينزل في جناح خاص به في فندق «وندسور» الذي يقع خلف محلات «شيكوريل» بشارع فؤاد . . وكان بعض طلبة البحرين يزورونه في الفندق كلما سنحت لهم الظروف . . واتذكر انه في احدي هذه الزيارات الخاطفة . . كان الشيخ محمد يلوم بعض الطلبة . . بل ويعنفهم لعدم تأديتهم فروض الصلاة . . في اوقاتها . . وللحقيقة يجب القول ان بعض الطلبة لم يكن يولى هذا الموضوع الاهتمام المطلوب ، ولم يكن أحد منا يرغب ان يفرض اراءه على الآخرين لكننا - والحق يقال - بقينا نتذكر نصائح الشيخ محمد . . دائما .

ولقد دأبت على زيارة الشيخ محمد . . بعد عودتنا الى البحرين لسنوات طويلة في مجلس سموه بمدينة المحرق ، مع بعض الزملاء من طلاب البعثة السابقين . . والاستماع الى اشعاره واحاديثه عن العرب واجادهم في ايامهم الغابرة ، كنت معجبا بشخصية الشيخ محمد . . وبثقافته العالية . . حتى بعد وفاته وانتقاله الى الرفيق الاعلى .

رحلة الى.. الأقصر:

لسوف تظل احداث هذه الرحلة الفريدة الى الاقصر . جنوبى مصر . محفورة فى اعماقى . . فقد كانت هى الاولى . . والاخيرة التى نغادر فيها مدينة القاهرة الى خارجها طول مدة بقائنا للدراسة والتى قاربت العام تقريبا . وكنا منذ وطأت اقدامنا القاهرة نطالب الاستاذ حسن مدير ادارة بيت البحرين . . وغيره من رجال المعهد الثقافى البريطانى بضرورة ترتيب رحلات لنا للاطلاع على معالم الديار المصرية . . مثل الاسكندرية او غيرها . وكانوا يعدوننا بتحقيق ذلك فى الوقت المناسب . . وكانت رحلة الاقصر هذه . . واحدة من تلك الرحلات التى كنا نرجو ان تتحقق وذلك كدنا ان نظير من الفرح عندما أخبرنا الاستاذ حسن بان الرحلة الى الاقصر ستكون قريبة . . وأنها ستمتد الى عدة ايام . . ويجب ان نستعد لها بالملابس والاغراض المناسبة . . وعندما استفسرنا عن أجور الاشتراك فى الرحلة . . وعن عدد المشتركين فيها من غير طلاب البحرين وعن البرنامج الموضوع لأيام الرحلة . . الى غير ذلك من الاستفسارات . . رد علينا السيد المدير بأنه لا يعرف عن ذلك شيئا . . وان موضوع هذه الملاحظات متروك لادارة المدرسة ومدرسيها الذين سيشرفون على الرحلة .

وحل موعد سفر افراد الرحلة فى ثانى يوم من أيام الاجازة الربيعية «نصف السنة» كما كنا نطلق عليها فى البحرين والتى تستمر فى العادة أسبوعين متواصلين .

حزمتنا أمتعتنا القليلة . . وغادرنا البيت فى الزمالك صباح يوم السبت . . «نسيت التاريخ للأسف» الى محطة القطار بميدان باب الحديد «رمسيس» حيث حضر قبلنا بقليل بعض طلاب مدرستنا المشتركين فى هذه الرحلة . . وأتذكر منهم الطلاب فوزى . . والموصلى . . والباسل . . والثلاثة من قادة الكشافة بالمدرسة . . واصغرهم فوزى . . ابن ناظر المدرسة . . وكان بعض المدرسين . . وعلى رأسهم الاستاذ صفوت قد قاموا بحجز احدى عربات القطار المتجه الى الصعيد . . للطلاب المشتركين فى الرحلة . . لم يكن عددنا كبيرا . . وجلسنا فى احد اركان المحطة ننتظر تعليمات الاستاذ صفوت بركوب

القطار.

وعندما صرنا داخل عربة القطار . راح كل واحد يحاول ان يستأثر بالمكان الافضل حسب اعتقاده . . وابلغنا احد المدرسين المشرفين بأن الرحلة ربما تستغرق اكثر من ٤٥ ساعة حتى يصل القطار المحطة الاخيرة في مدينة الاقصر التى نقصدها .

وبعد ان بدأ القطار حركته . . هجم علينا جماعة من أهالي الصعيد . . رجالا ونساء محملين بأغراضهم وحوائجهم . . واحتلوا أماكن لهم في العربة التى نزلنا فيها . . وزاحمونا في المقاعد التى اخترناها . . ولم تنفع معهم توسلاتنا او توسلات المدرسين المرافقين لنا في هذه الرحلة . . في ان يتركوا لنا تلك المقاعد . . مرت ساعتان او اكثر والقطار يمر بمحطات عديدة لكنه لا يتوقف فيها . . ونتساءل عن السبب . . ولا احد يبيننا . . لكن بعد ساعة اخرى . . مررنا في طريقنا بعدة مناطق . . وبلدات استطعت ان التقط اسماءها بعد ان يتوقف القطار فيها .

ومن هذه . . بنى سويف . . وبنى مزار . . سيالوط . . المنيا . . منفلوط التى ذكرتنا بموطن الكاتب المصرى المعروف مصطفى لطفى المنفلوطى . . صاحب «العبرات والنظرات» وقصة «ماجدولين» وغيرها . . ثم أسيوط . . وأبو تيج . . وعبرنا أحد الجسور بعد ان تحول سد القطار من البر الغربى الى البر الشرقى مارا . . بنجع حمادى . . وقنا . . حتى محطة الاقصر .

كان الظلام قد أرخى سدوله عندما اجتزنا منطقة المنيا . . وبتنا لا نرى المناظر بوضوح سوى ما يترأى لنا بين الحين الحين من انوار الكهرباء وفى بعض المناطق او تلك المحطات التى يتوقف فيها القطار .

ويبدو أن بعض الطلاب قد أخذوا التعب من حركة القطار الرتيبة فاستسلم للنوم مفترشا الفراغات بين المقاعد . وتحولت العربة الى ما يشبه عنبر النوم . لم يكن الطلاب وحدهم من ناموا . . بل شاركهم ايضا بعض الفلاحين الذين كانوا معنا في نفس العربة . . والنوم سلطان كما يقولون .

وفى إحدى المحطات . . توقف القطار وقتا اطول مما توقفه في أي محطة أخرى . فكانت فرصة لبعضنا ان يشتري بعض الطعام من الباعة الذين ملأوا المحطة بندايتهم وصراخهم .

بعد ان شعرنا بالجوع . . أشرينا بعض الكعك والخبز والجنه البيضاء . . والسमित

المحلى بالسمن والسكر . . او المعسل كما يسمونه . . كما اشترى البعض سندويشات بالبيض . . مع أكواب الشاي . . والنعناع . . وغيرها .

ومما يجدر بي ان أذكره في هذه الرحلة . . هو أنني بدأت عادة التدخين - الملعونة - فقد أغرائنى أحد الطلاب الخبثاء . . ولعله الموصلى بالتدخين حين اكتشفت انه «يدخن» بعيدا عن أنظار بعض الطلبة . . واكتشفت أنه يخبئه في جيبه . . وفي الشنطة الكبيرة بعض علب السجائر من ماركة NAVY CUT الزرقاء . . التى يطلق عليها «بحارى» وهى صناعة مصرية . . ومن يومها بدأت التدخين وان كنت على استحياء أول الامر . . الى أن بدأت تصبح عادة مألوفة . . الغريب فى الامر أن السيد مدير ادارة البيت . . شاهدنا ندخن اكثر من مرة وكذلك بقية المدرسين لكنهم لم يعترضوا . . مما شجعنا فى الاستمرار فيها . وهكذا تكون البدايات دائما .

مرت ساعات طويلة والقطار يغد سيره . . وكف الجميع عن توجيه الاسئلة والاستفسارات عن اسماء المحطات التى يتوقف فيها القطار بعد أن هدهم التعب وراح بعضهم يغط فى النوم العميق . . حتى وصلنا محطة الاقصر . . المقصودة فى الساعات الاولى من فجر اليوم التالى .

بعد ان توقف القطار تماما لاحظنا ان عددا كبيرا من المسافرين غيرنا قد بدأ يغادر القطار . . انزلنا أغراضنا والادوات التى احضرها العمال . . فى مكان على رصيف المحطة . . الذى يمتد مسافة طويلة داخل محطة القطار . . وبعد قليل حضر الاستاذ صفوت والذى اتضح انه المشرف العام على الرحلة . وطلب منا ان نحمل ما نقدر عليه من امتعة وادوات والسير بضعة اقدام الى الشاطىء . . حيث تقف المراكب وبعض الزوارق على شاطىء النيل فى الناحية الاخرى . . وعبرنا الى ناحية البر المقابل حيث سرنا مسافة قصيرة . . وحططنا رحالنا قريبا من احد الكثبان الرملية . . وكانت المنطقة صحراء جرداء . . لا اثر فيها لحياة . . وبعد استراحة قصيرة تعاون جميع الحاضرين من طلاب ومدرسين وبعض العمال الذين حضروا للمساعدة . . فى نصب الخيام . . كل خيمة فى زاوية . . وفى وسطها تم نصب صارية للعلم . . واستغرق هذا العمل بعض الوقت وتم فرش كل خيمة ووزع الطلاب على الخيام بتوجيه من الاستاذ صفوت .

وقام الطلاب بالتجوال فى المنطقة لتجميع اعواد الشجر المتوفرة فى المكان . . واحضارها الى المخيم حيث بدأ طبخ البيت . . محبى الدين . . الذى حضر معنا . . فى

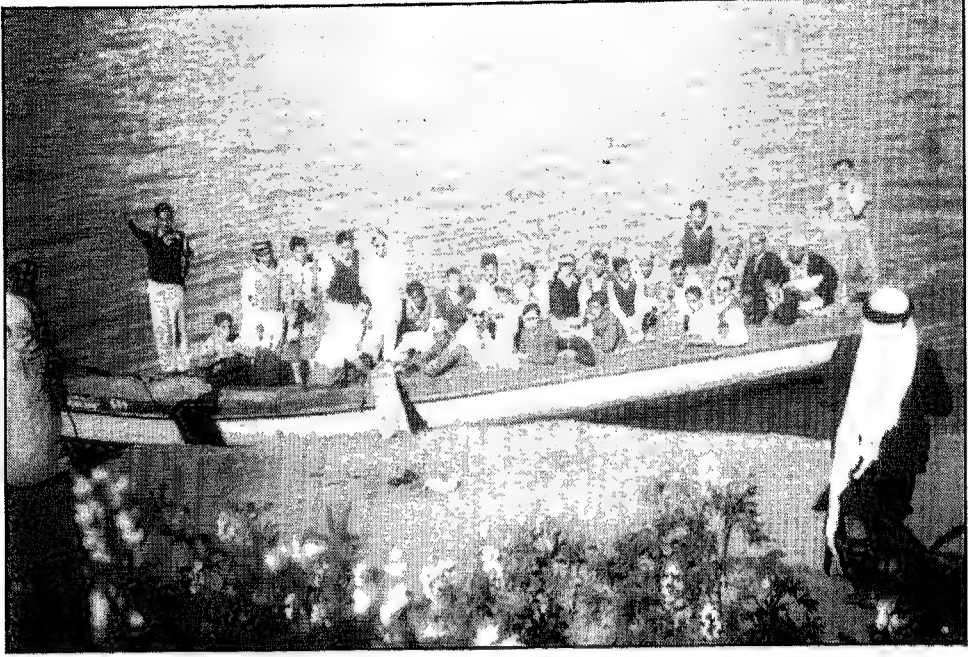
مباشرة اعداد وجبة الغذاء بمساعدة بعض العمال . . وطلب الاستاذ صفوت ان نقوم بعملية يومية لاحضار قطع الاخشاب كلها وجدنا شيئا منها . . وتجميعها قريبا من أرض المخيم . . وقد بقينا في حركة دائبة حتى الظهيرة . . وكانت وجبة الطعام التى تناولناها فى اول أيام الرحلة لذيذة جدا . . بعد الغذاء . . أمرنا الاستاذ صفوت بأخذ قسط من الراحة استعدادا لسهرة الليلة .

فى هذه البقعة النائية من صعيد مصر . . حيث عاش الفراعنة وأنشأوا حضارة عظيمة بقيت حتى اليوم شاهدة عليهم . . وعلى تلك الحقبة التاريخية التى وصلت إلينا بعد الاف من السنين . . بزغ القمر قويا . . مرسلا ضوءه الساطع على هذه الاصقاع - تحلق الطلاب . . قريبا من صارية العلم وسط أرض المخيم . . وراحت كل مجموعة منا تؤدى رقصة . . او اغنية وعلى مقربة من المكان الذى جلسنا فيه . . أشعل الطباخ محبى الدين شعلة من النار . . اضاءت المكان . . وكان بعضنا يساعده باضافة بعض الاخشاب . . والاعواد كلها خبا الضوء .

وقد تناولنا فى ليلتنا الاولى وجبة عشاء . . كانت اقرب ما تكون الى وجبة «المجبوس» الذى اعتدنا عليه فى البحرين . . وقبل ان يتصفى الليل . . طلب الاستاذ صفوت . . والاستاذ حسن حبشى منا . . مغادرة الحلقة والدخول الى الخيام . . والاستعداد للنوم . . وهكذا بدأ . . وأنتهى اليوم الاول للرحلة .

فى اليوم التالى صبحا الجميع مبكرين الا بضعة افراد من المدرسين او الطلاب اصرروا على الاستغراق فى النوم الى اطول مدة ممكنة . . وتكرم الاستاذ صفوت فسمح لهم . . الا انه ابلغنا بأنه لن يتسامح فى ذلك يوم غد . . والايام القادمة . . وذهب كل واحد منا الى ناحية من نواحي المخيم . . وأدينا تحية العلم . . ثم بعد ذلك بقليل تناولنا وجبة الافطار التى كانت عبارة عن اطباق لذيذة من الفول المدمس بالزيت والبيض المسلوق . . ثم الشاي . . وبعض البرتقال الذى أحضره احد الفلاحين . . حسب اتفاق معه كما يظهر . . على ظهر حمارين أحضرهما معه فى ذلك الصباح . . من ناحية البر الغربى . . على شاطئ النيل .

وكان أول «تعليم» أصدره الاستاذ صفوت . . هو التوجه الى البر الغربى . . لاحضار بعض اعواد الاخشاب والعصى . . بكل ما يمكن ان يساعد فى اعمال الطبخ . . واشعال نار المخيم . . قبل ان يبدأ برنامج اليوم . . وقد انصاع الجميع الى هذه التعليمات . .



■ رحلة طلاب مدرسة محمد علي الى الاقصر سنة 1946م .

وأنهت هذه المهمة قبل ان تحل الساعة العاشرة صباحا.

بدأ برنامج اليوم الثانى بزيارة «معبد الكرنك» اكبر الاثار وأشهرها . . تجولنا بين أعمدة المعبد الرخامية التى تعلوها تيجان زهرة «اللوتس» المقدسة عن قدماء المصريين . . وزرنا «البركة» . . وزرنا «طريق الكباش» وهو عبارة عن صفين من الاعمدة تؤدى الى إحدى المقابر . . المندثرة . . وأمام مسلة حاتشبوت الملكة الفرعونية . . وقفنا نتأمل بخشوع هذه الاثار العظيمة التى خلفها اولئك القدماء . . مما يجعل أبناء هذا الوقت عاجزين ان يأتوا بشيء مما أتى به اجدادهم . . وبقينا نتجول بين هذه الاطلال . . والاثار . . والمقابر حتى حلول المساء . . وكانت وجبة الغذاء بضعة سندويشات متنوعة أحضرناها معنا خلال هذه الزيارة . . وعدنا بعد نهاية الزيارة الى المخيم . . واستمر برنامج هذه الليلة كسابقه . . ولكنه تميز بالنوم المبكر . . ودون اشغال نار المخيم المعتاد . . وكنا نشعر ببرودة الطقس .

اما فى اليوم الثالث فقد اشتمل البرنامج على زيارة «وادي الملوك» وهو مقابر جماعية منحوتة فى الصخر وفى عدة مواقع . . والمكان نقطة جذب قوية لجموع السواح الاجانب

الذين يقصدون هذا الموقع طيلة أيام السنة تقريبا . وبصورة خاصة في فصل الشتاء . . وكان اكثر ما لفت انظارنا في جولة اليوم . . اننا شاهدنا أفواج السواح الذين جاءوا في مجموعات كبيرة لمشاهدة الاثار . وهم اما من الفرنسيين . . او الالمان . . او الانجليز . . وهم يمتطون الحمير . . وقد قام بعضنا باستئجار عدد منها من الاولاد الصغار والاولاد المتشرين في هذا المكان .

لقد كان ركوب الحمير في هذه الجولة اكبر متعة . . جعل بعضنا يتسابق عليها . . وتمنينا لو أنها - اى الحمير - بقيت معنا طول اليوم . توقفنا تحت سفح احد التلال . . وتناولنا وجبة غذاء سريعة . . ثم بعدها واصلنا الجولة . . لمشاهدة مقابر الملوك العظام . . «توت عنخ آمون» و «سنوسرت» الاول . . وكان أحد الاولاد - كبير السن - يشرح لنا بطريقته الخاصة تفاصيل تاريخ هؤلاء الملوك . . والاعمال التى قاموا بها خلال فترات حكمهم . . وشرح الطريقة التى تتم لنقل التوابيت الذهبية من هذه القبور . . الى خزانات المتحف المصري بمدينة القاهرة . . حيث يتم حفظها . . وعرضها هناك . . خشية ان تبقى في اماكنها الاصلية التى اكتشفت فيها . . وتعرض للسرقة او التلف .

في اليوم الرابع لهذه الزيارة . . بكرنا في مغادرة أرض المخيم . . لمواصلة زيارتنا المكررة حسب برنامج الجولات . . فزرننا منطقة «هابو» التى تقع على مسافة بعيدة داخل الصحراء . . وتضم تمثالين كبيرين يتصببان جنبا الى جنب لآله «آمون» وصاحبه «الراهب» وهذا الموقع من اكبر مواقع الاثار في مدينة الاقصر وقد زرت هذه البقاع بعد اكثر من ٤٥ سنة . . وبالتحديد سنة 1992 فشاهدت افتتاح العديد من المقابر التى لم تكتشف بعد في زيارتنا خلال 1946 . . كما لاحظت ان الطرق المؤدية الى معالم المنطقة قد شقت في اكثر من اتجاه وصوب . . وبدلا من قطعان الحمير التى كانت منتشرة في تلك الأيام الخالية . . استعويض عنها الان بارتال السيارات الحديثة . . والباصات السياحية . . كما ان أفواج السواح من مختلف بلدان العالم . . قد ازداد زيادة كبيرة وأصبحت اعدادهم تتعدى عشرات الالوف كل عام .

دخلنا اليوم الخامس في الرحلة . . وقد طلب الاستاذ صفوت والمدرسون تخصيصه لتنظيف أرض المخيم ونقل ما تجمع من أوساخ وقمامة الى مكان بعيد . . ودفنها هناك . . وبعد وجبة الغذاء . . قام أحد المشرفين من المدرسين بالقاء شرح مفصل عن الاثار التى تمت زيارتها خلال الايام التى انقضت . . وقام الطلاب الذين احضروا كاميرات

التصوير معهم بالتقاط الصور التذكارية . . وكان يوما «مفتوحا» للتعارف وتوثيق العلاقات بين الطلاب .

وصلت الليلة الأخيرة . . التى أمضيها باشعال نار المخيم وسط أرض المخيم . . واقامة حفل سمر شائق اشتمل على كثير من فقرات التسلية والمتعة . . واشرف على تنظيم هذه الليلة . . الاستاذ «أمين افندى» أحد المدرسين . . الذين لم يكونوا يحضرون الى صفنا بالمدرسة واطفئت نار المخيم عند حلول الساعة 12,00 بعد منتصف الليلة . . وأوى كل طالب الى خيمته .

وفى صباح اليوم الاخير . . وعلى أصوات رعاة الماشية الذين كانت تصل الى أسماعنا . . وهم يسوقونها الى الشاطيء ونقلها الى الشاطيء الثانى . . كان أول ما باشرناه من نشاط . . هو تحية العلم . . وانزاله من أعلى الصارية . . واعطاء الاشارة بتفكيك الخيام . . وتجميع ادوات الرحلة والامتعة التى تخص الطلاب . . حضر بعض العمال لمساعدتنا فى هذه العملية . . وبعد ساعتين تقريبا . . اختفى المخيم الذى ضم شملنا خلال الايام الماضية . . التى كانت من احلى وأجمل الأيام . . وسرنا فى طابور طويل متجهين الى الشاطيء حيث ركبنا احدى الزوارق الراسية هناك . . كما فعلنا تماما عندما وصلنا . . ومن الزوارق . . نزلنا على ضفة الشاطيء الثانى . . ومنها الى محطة القطار . . مرة اخرى .

لم تكن رحلة العودة الى القاهرة . . تشبه الرحلة التى قدمنا فيها الى الاقصر . . مع ان الطريق واحدة . . ولم تتغير وذلك لان معظم الطلاب . . قد نالهم التعب . . ففضلوا ان يستسلموا للنوم داخل عربة القطار بعد ساعات قليلة من السفر فى الوقت الذى فضلت فيه شخصا ضرورة مشاهدة ما نمر عليه فى الطريق من مناطق وكثيرا من المزارع والحقول . . وبعض المباني وغيرها . . وذلك بفضل لون الشمس التى كانت ساطعة طول الوقت بعكس ما كان عليه الحال وقت سفرنا الى الاقصر . . والتى هى بطبيعة الحال ميزة مهمة لم تتوفر لنا فى تلك الرحلة .

المهم اننا وصلنا الى بيتنا بالزمالك . . قبل ان يحل المساء بقليل .

مؤخرا . . قرأت فى أحد الدوريات اليومية التى تصدر فى لندن . . كلمة قصيرة عن «هوية» توت غنخ آمون . . بعد 71 عاما من اكتشاف موميائه من قبل علماء الآثار المصرية او علم «المصريات» كما يطلق عليها . . جاء فى الكلمة :



■ رحلة الى مدينة الاقصر سنة 1946م.

«يبدو ان طبيعة الجدل بين علماء المصريات، جعلهم لا يتفقون على شىء حتى عن توت غنخ آمون. . الاثر الوحيد الذى عثر عليه كاملا. اذ عاد علماء المصريات بعد 71 عاما من اكتشاف مقبرة ومومياء «توت» ليختلفوا ويشيروا تساؤلا. . هل توت غنخ آمون هو نفسه «توت غنخ آتون» فعلا. . ام لا. . وهل المومياء التى عثر عليها تخصه ام انها لملك آخر. . وهل المقبرة التى وجد بها هى مقبرته التى وجد بها هى مقبرته ام لا. . وهل مات مقتولا. . وكيف قتل».

هذه التساءلات تؤكد انه لا توجد ثوابت متفق عليها بين خبراء الآثار. . ولكن الطريف فى الامر ان هذه التساؤلات صادرة هذه المرة عن «هيئة الآثار المصرية» وليست عن باحث هاو. . او شخص يبحث عن الاثارة العلمية فى اوساط معاهد ومراكز الآثار العديدة فى العالم.

رئيس هيئة الآثار المصرية. . الدكتور عبد الحليم نور الدين. . يقول: جميع هذه التساؤلات محور بحوث ومناقشات المؤتمر العلمى الذى تشهده مدينة «الاقصر» حاليا. . ويقول خبير الآثار المصرية الدكتور عبدالرزاق محمود. . ان الغموض الذى يحيط بحياة «توت غنخ آمون» يثير العديد من هذه التساءلات والتى لم تجد اجابة حتى الان.

فقد تولى الحكم وعمره 9 سنوات. . ومات فجأة وعمره 19 عاما. . ولا يعرف أحد هل مات مقتولا ام مسموما. . والمقبرة التى عثر عليها هى أصغر مقبرة ملكية. . ولا يمكن ان تكون قد أعدت ليدفن بها ملك. . مما يعنى احتمالات ان تكون هذه المقبرة كانت تعد لأحد الامراء. . ودفن بها. . توت غنخ آمون بعد موته المفاجيء. . كما ان اثاره التى عثر عليها بالمقبرة عليها نقش لاسم «توت غنخ آتون» وعلى البعض الاخر نقش اسم «توت غنخ آمون».

كما توجد مقابر لم تكتمل بعد فى «وادي الملوك» الشرقى بالاقصر. . يتوقع علماء الآثار ان تكون احداها خاصة به.

----- انتهاء الاجازة.. والعودة الى المدرسة

بعد ايام. . عدنا الى المدرسة. . وانتظمت برامج الدراسة من جديد. . عاقدين العزم على بذل كل ما نستطيع من جهد فى سبيل الحصول على نتائج طيبة. . ومثمرة. . ترضينا فى الدرجة الاولى. . وترضى الاهل فى الوطن العزيز. . كما ترضى المسئولين فى

المعهد البريطاني . . وكان أرضاء هؤلاء ايضا شيئا لا بد منه .

في هذه الفترة . . اى بعد عودتنا من الأقصر بأيام . . تميزت بكثرة الرسائل التى كنت أبعث بها الى البحرين . . الى الوالد . . الاهل والاصدقاء . . وكان لا يمر أسبوع الا وأبعث بثلاث او أربع رسائل اليهم . . كما بدأ الزملاء في انتهاج هذه الطريقة وفي هذه الرسائل المسهبة في طولها . . كنا نشرح مشاهداتنا والزيارات التى نقوم بها . . وادق الشئون والاخبار عن حياتنا وكانت الرسائل التى تردنا من البحرين قليلة . . اذا قيست بعدد الرسائل التى نبعث بها اليهم . . كانت بعض الرسائل التى تصلنا من البحرين تستغرق في طريقها حتى تصلنا ما يقرب من أسبوعين .

في هذه الفترة ايضا . . قويت عادة التدخين لدي . . وكنت أقوم بشراء علبة السيجار كلما نفذت منى . . من دكان «أبو علي» القائم في شارع حسن صبري . . قريبا من مكتب البريد . . وذلك رغم تواضع مصروف الجيب الذى احصل عليه . . سواء من راتب المجلس البريطاني وهو مبلغ خمسة جنيهات . . او ما يصلنى من مساعدة من البحرين . . والى جانب شراء السيجائر كنا أحيانا اذا ما توفرت لدينا السيولة . . نشترى من هذا الدكان بعض الفاكهة . . او الفول السودانى . . المقل والمقشر .

في احدى زياراتى الى القاهرة . . خلال عقد التسعينات قصدت لزيارة هذا الدكان بمنطقة الزمالك . . فوجدته في نفس موقعه ويبيع الفاكهة . . وان تغير مالكة . . اكثر من مرة . . وأشرت منه بعض العنب . . وفاء لآيامنا القديمة في هذا المكان العزيز .

لا أود ان انتقل الى فصل جديد . . قبل ان أذكر هنا بعض الخواطر والحكايات الصغيرة التى دأبت على تدوينها منذ تلك الايام البعيدة . . في وريقات . . بقيت احتفظ بها . . وهى خواطر وذكريات كانت تمثل بالنسبة لي . . وحى الخاطر في تلك الفترة ولعل ذلك ما يميزها عن بقية هذه الفصول .

1- في ظهر يوم جمعة خلال الايام الاولى لوصولنا القاهرة عن لى والاخ عبدالحميد الشتر . . ان نؤدى صلاة الجمعة . . وقد اخترنا جامع السلطان «أبو العلا» الواقع في طريقنا بشارع فؤاد . . والقريب من الكوبرى . . لقد كانت هذه الرغبة تجربة قاسية مررت بها . . ولم اكررها فيما بعد .

دخلنا الجامع لأول مرة . . وفاتنى قبل ذلك ان استوضح من زميل بعض المعلومات . . او المناسك التى يتوجب القيام بها . . داخل الجامع . . جلسنا في الصف

الثانى الذى لا يبعد كثيرا عن موقع منبر خطيب الجامع المنتصب أمامنا وسط الجامع تقريبا . لاحظت ان بعض الداخلين . . وليس جميعهم يقومون بتأدية الصلاة فى اى صف من الصفوف التى انتظموا فيها .

وبعد ان ينتهوا منها يظلون جالسين فى اماكنهم . . فى هدوء وخشوع بارزين . . وقد سبقنى الاخ عبد الحميد فى القيام بهذا الغرض وبقيت انتظره حتى فرغ من ذلك وجلس فى مكانه الى جانبيه .

قمت بدورى بتأدية نفس الفرض . . ولكن ما حدث بالفعل هو اننى اديتها بطريقة مغايرة لما يفترض ان تكون . . لقد كنت اظن ان الفريضة هى نفسها صلاة الظهر . . والتى يشترط فيها ان تكون اربع ركعات متتالية . . كما نعهد لها فى كل وقت ، ولكن بدا اننى ارتكبت خطأ فاحشا بتأديتى لهذه الصلاة .

فقد راح بعض المصلين القريبين منا . . او الذين جلسوا فى الصف الثانى خلفنا . . وبعض المصلين الاخرين الجالسين فى جوانب الجامع . . وغيرهم يرمقونى بنظرات كلها استغراب او استنكار كما لاحظت . . لدرجة اننى لم اعرف تماما كيف انهيت صلاتى وجلست فى مكانى . . وانا فى أشد حالات الخجل . . والخوف . . والعرق يتصبب من جبينى . . وحين دنوت من الزميل عبد الحميد همس فى اذنى بان الخطأ الذى ارتكبته هو أننى اديت الصلاة بأربع ركعات . . بدل ركعتين فقط كما تقضى بذلك المناسك الشرعية . . وذلك تحية وتكريما للجامع وهى سنة متبعة فى جميع المذاهب الاسلامية . . سواء كان ذلك فى يوم الجمعة . . او فى اى وقت يدخل فيه المسلم الى أحد المساجد لتأدية الصلاة المعتادة . . ولأننى كنت اجهل هذه الحقيقة . . وكان ظنى ان أؤدى الصلاة كما أعهد لها . . وخفى على ان صلاة يوم الجمعة تسقط تلقائيا بتأديتها جماعة مع الامام . . ولكن هذا ما حدث بالفعل . . وظل ضميرى يؤنبنى على هذه الغلطة . . طويلا .

فى إحدى الامسيات الجميلة . . حضرنا حفلة شاي اقامها السيد أف . جى . ويكلن مدير معارف البحرين السابق . . وأحد المسؤولين الكبار فى المعهد الثقافى البريطانى فى القاهرة . . وذلك على شرف طلاب البحرين الذين يدرسون فى القاهرة . . كانت الحفلة فى بيت السيد ويلكن بضاحية المعادى . . جنوب القاهرة . . المشهورة بحداثتها . . وعلى طريقة (البيت المفتوح) أو كما يسميها الغربيون OPEN HOUSE وهى الطريقة التى لا

يستقر فيها المدعوون في مكان واحد من البيت . . في قاعة او غرفة مثلاً، انتشر المدعوون في صالون البيت . . وفي الحديقة الملحقة وكان السيد ويكلن وزوجته لا يستقران . . ويتنقلان بين الموائد التي جلس اليها بعضهم . . بينما فضل الآخرون الوقوف . . والانتقال من ركن الى آخر . . وراح السيد ويكلن يحدثنا عن عمله السابق . . وعن تركه البحرين . . وخلافه مع مستشار الحكومة . . تشارلس بيلجريف وعن حياة سلفه السيد ويلكي WILCKIE كما روى لنا تفاصيل حادث وفاة طفله «تيموتى» وعن المقترحات التي قدمها الى حكومة البحرين حول النهضة بمستوى التعليم فى البحرين ومعارضته لاساليب الادارة الحكومية التي كان يتبعها المستشار.

من هذه الاحاديث التي كان يرويها السيد ويكلن . . وما كان لنا ان نسمعها لولا هذه الحفلة . . اتصح لنا مقدار ما يكنه هذا الانسان من عطف وتقدير للبحرين . . وأهلها . . وهو يندر وجوده - عادة - من هؤلاء القوم الذين فطروا على حب السيطرة والهيمنة على الشعوب التي نكبت بهم على مر العصور . . والواقع اننا ما كنا نصدق ما سمعناه . . ولكنه اثبت لنا صدقه فى كل ما قاله .



■ علي المسقطي، عبدالحليم علي ومؤلف الكتاب . ■ في شارع فؤاد الاول بالقاهرة سنة 1946 م .

اما قصة وفاة ولده . . فقد كنا لا نزال نتذكرها جيدا . . ونحن في المدرسة الثانوية بالبحرين . . ولكن قصة خلافه مع المستشار فقد خفيت علينا . . تماما . . كما خفيت علينا قضايا اخرى . . الغريب اننا في هذه الحفلة انتقلنا الى جو البحرين . . فقد انطلق الطلاب على سجيتهم وراح بعضهم باداء لعبة «المعجال» ولعبة «السفرة» في ارجاء حديقة البيت الواسعة . . التي انتشرت فيها بعض الكراسي . . كان من بين المدعوين في الحفلة . . الاستاذ فؤاد منيب . . شقيق الممثلة السينمائية . . ماري منيب . . والموظف بادارة المعهد البريطاني . . لم يحضر الاخر عبدالرحيم علي معنا هذه الحفلة لانه تأخر في الصعود الى الباص الذي نقلنا من الزمالك الى المعادي وكانت هذه واحدة من عشرات القصص والمقالب التي تكون مثار تعليقات الطلاب عن الزميل عبدالرحيم .

2- هذه هي قصة قديمة . . يرجع في تاريخها الى الايام الاولى من وصولنا القاهرة . . انقلها ضمن الخواطر التي انطبعت في ذهني ولما تمثله خير تمثيل لما كنا عليه من الغفلة والغشامة في تلك الايام .

كان «الترامواي» الذي يقطع شوارع القاهرة في تلك الفترة من الثلاثينيات والاربعينات وما بعدها . . والذي أسعدنا الحظ بمعاشته مدة ما كنا نعيش هناك . . كان هذا بالنسبة لنا حدث جديد نشهده لأول مرة . . كنا نسمع من الناس الذين يصادف ان نلتقي بهم ان هذا الترامواي العجيب يعتبر وسيلة من وسائل النقل العام والمواصلات في كثير من بلدان العالم . . في اوروبا غالبا . . وليس مصر فقط . . الا انه في الواقع يمثل وسائل النقل في القرن التاسع عشر وليس القرن الذي نعيشه حقيقة . . وهو القرن العشرين . . وكنا نسمع ايضا ان الحكومة المصرية تفكر في استبداله بوسيلة اكثر حداثة هو قطار «المetro» السريع . . الذي يمتد من وسط القاهرة حتى ضاحية «مصر الجديدة» او «هيلو بولس» كما تسمى احيانا . . لكن «الترامواي» ومهما كان يقال عنه يظل بالنسبة لنا شيئا جديدا .

لقد كنت وغيري من طلاب البعثة في الايام الاولى نقف في ارصافة الشوارع التي نمر بها . . في رواحنا وغدونا من البيت نقف كالمشددوهين ونحن نشاهد عربات الترامواي تخترق شوارع القاهرة . . وهي غاصة بركابها الذين لا يكتفون بالجلوس داخل عرباتها . . بل يتسلقون اطرافها وحيانا سقوفها . . او كما كانوا يقولون . . يتشعبطون .

3- في كثير من المرات . . عندما اغادر بيت البحرين . . وامر ببعض الشوارع . .

اقف مبهورا وانا اراقب حركة سير هذه التراموايات واحداث نفسى بركوها . . لرغبتي فى ركوبها . . واكتشاف المجهول الذى اتوقعه فى كل محطة يتوقف فيها . . وحتى اخر محطة . . اد اننا فى تلك الايام لم نكن لتتصور ان تكون مدينة القاهرة بهذا الاتساع وكنا نسمع عن مناطق واحياء هى من ضواحي القاهرة . . واطرافها يستغرق الوصول اليها ساعات طويلة . . ولما لم يكن بمقدورنا استعمال سيارات الاجرة . . او اجرة الباصات . . فان استعمال وسيلة مواصلات رخيصة . . ومضمونة مثل عربات الترامواى تبقى هى الوسيلة الافضل . . والاسرع .

4- ظهر أحد الايام . . وبعد أن تناولت وجبة الغداء . . غادرت البيت متجها الى الناحية الاخرى التى يقع فيها شارع أسماعيل محمد حتى وصلت الى كوبرى الزمالك . . القريب من منطقة «امبابه» على شاطئ النيل . . والتى تختلف فى كل شىء عن منطقة الزمالك التى نسكنها . . وقفت عند وصولى هناك قرب احدى محطات الترامواى . . وبعد تردد لم يدم طويلا ركبت عربة الترام وكان فى ظنى انه سيتجه شمالا . . غير أنه خيب أملى . . وعاد يتجه ناحية اخرى . . حتى وجدت نفسى مع بقية الركاب الذين غصت بهم العربات فى شارع فؤاد . . متجهين الى ميدان العتبة . . وهى المنطقة التى سبق وزرناها اكثر من مرة . . كنت آمل ان يتجه الترام فى سيره منطقة امبابه باعتبارها منطقة جديدة لم نرها بعد .

كانت العربة التى صعدت اليها من عربات الدرجة الثانية ومزدحمة بالركاب عن آخرها . . وكان الركاب من رجال ونساء ينزلون ويصعدون فى كل محطة نمر بها فى الطريق . . وفى احدى هذه المحطات . . بدلت مكانى . . وانتقلت الى جانب الشباك فى احد الصفوف الامامية من عربة الترام . . وجلس بجانبى راكب . . من ابناء السودان .

جاء الكمسارى يطلب الاجرة . . وكنت اعرف انه لا بد لى ولغيرى من دفع الاجرة . . التى قد تختلف من راكب لآخر حسب مسافة الطريق، ولكنى لغشى تجاهلت فى الالتفات لما كان يردده من كلمة . . ورق . . ورق . . يا بهوات . . ظنا منى انه يطلب ورقا . . قد يكون بحاجة له ليدون شيئا . . علما بأننى فى نفس اللحظة كنت أقبض فى يدى على حفنة من قطع الفلوس أو «الفكة» لتسليمه ما يطلب منها، بل اننى رححت احاول ايجاد العذر لهذا التجاهل بالتفتيش فى جيوبى بحركة مفتعلة للعثور على اى «ورقة» لتسليمها لهذا الكمسارى المسكين وأخيرا حين اقترب منى . . وبدأ يوجه كلامه لى مباشرة اجبته بأننى - للأسف - لا أملك ورقا لاعطيه إياه . . وفى ذات الوقت

أدريت وجهي مما حملة على الاسترسال في الضحك . . وامالة طربوشه على رأسه وكان يقول في عبارات سريعة . . افندية آيه دول يا عالم . . عجيبة والله . . انقول ايه بأه . .

اخيرا تدخل بيننا أحد الركاب . . وطلب منى اعطاء الكمسارى بعض ما أحمله من فكة حين رآها في يدي . . وتكلم وقال هو صحيح ان ما معاكش ورق . . آمال آيه دول اللي في ايديك بأه ما دول برضه ورق . . وآلا الورق شكل تانى . . قولوا معاى الحمد لله . . بعد هذه الحادثة حرصت ان أحمل معى الفكة المطلوبة كلما صعدت الترام . . واعطاء الكمسارى أجرته قبل اى راكب آخر .

كنت مارا مساء أحد الايام في شارع عماد الدين . . ومن مكان قريب من سينما «الكوزمو» لفت انتباهي منظر بائع الفول والحمص البلدى «السنبلى» الذى اوقف عربته الصغيرة قريبا من مدخل دار السينما المذكورة . . كانت رائحة الحمص تفوح من العربة . . وموقد النار في العربة يتصاعد منه الدخان الذى يزكم الانوف في الشارع .

5- لم اتمالك نفسى امام «الاغراء» المتمثل في عربة البائع . فسلمته ورقة نقد بمبلغ ٥ قروش . . فناولنى كيسا مكورا تناولته من يده وانا احسس حرارته التى لا تزال تنبعث منه بجانب رائحته النفاذة . . وغادرت المكان . . وانا ألتهم ما في الكيس حبة حبة حتى أتيت على ما فيه . وفي يوم آخر قصدت احد الدكاكين التى تبيع هذه الاصناف من «الحبوب» بميدان السيدة وسلمته نفس المبلغ اى ٥ قروش . . ولكنه اعطانى كيسا ممتلئا بالفول والحمص . . وبعض «الحب» . وتذكرت ذلك البائع اللعين الذى ضحك علي في شارع عماد الدين حين باعنى تلك الكمية التى لا تقاس بدكان البائع بالميدان . . وكنت اتمنى ان التقى هذا البائع كلما مررت بشارع عماد الدين . . ولم يخب ظنى فقد التقيت به . . وأنبته بشدة على فعلته معى . . ولكنه رد علي بكل برود . . انت غلطان يا ابنى . . روح . . الله يفتح عليك وعلينا . . ومررت ايام اكتشفت فيها ان بالامكان شراء نفس الكمية التى غشنى فيها ذلك البائع الشاطر . . بعدة مليات فقط .

6- الى الغرب من بيتنا . . تقع عمارة سكنية مؤلفة من عدة ادوار . . تقيم فيها عائلات . . جميعهم من الاسر الاجنبية الذين يعملون في الشركات والبنوك والمتاجر الكبرى بالقاهرة .

كانت نافذة احدى الشقق في هذه العمارة تطل مباشرة على البيت وترتفع الى مستوى نافذة غرفة السطوح . . ولما كانت المسافة بين الغرفتين في العمارة والبيت قريبة . . فقد

كان من السهل جدا مشاهدة ما يجرى فيها بالنسبة للمقيم فى اى منهما .

كانت غرفة السطوح الصغيرة فى البيت كما نسميها شبه مهمة تقريبا . اذ لا يقيم فيها احد من الطلاب . . ولذلك فان نافذتها الوحيدة المطلة على شقة العمارة المقابلة تبقى مغلقة بالمتاريس فى معظم الأيام . ولا تفتح الا حين يحضر احد الخدم لفتحها للتهوية . . بعكس نافذة غرفة الشقة المقابلة . . فإنها تظل مفتوحة معظم اليوم حيث تحضر خادمة لنشر غسيل الاسرة على حبال ممدودة فى ردهة الشقة .

كنا نلاحظ هذه الحركة اليومية . . ولكن دون ان تثير اى اهتمام من قبل اى طالب من سكان البيت .

بعد مدة . . اكتشف بعض الطلاب ان الزميل (. . .) لا يتواجد فى غرفة الجلوس . . او بقية مرافق البيت . . وحتى فى غرفة النوم فى كثير من الايام . . وقد التقيت يوما بالزميل المذكور وسألته عن سر غيابه وانقطاعه فذكر لى انه حصل على اذن خاص من السيد مدير ادارة البيت بالاقامة لوحده بغرفة السطوح . . لوعكة صحية ألمت به - كما ادعى - ولرغبته فى مذاكرة الدرس بعيدا عن إزعاج الزملاء .

ولم يكن فى ما ادعاه الزميل اى غرابة . . فقد كان بعضنا فعلا يذاكر الدروس فى السطوح . . ويقضون اوقاتهم هناك . . لكن دون ان يفكر أحد منهم فى دخول اى من الغرفتين الصغيرتين الموجودتين هناك .

ومرت بضعة ايام تبين ان القصة التى رواها الزميل . . تخفى هدفا او سرا لم يتكلم عنه . . ولم تمر بضعة ايام اخرى حتى تكشف هذا السر . . وهو يتلخص ان الزميل (. . .) شاهد من خلال تواجدته فى الغرفة ان غرفة الشقة المقابلة تسكنها فتاة أجنبية . . لعلها فرنسية او ايطالية . . فى مقتبل العمر . . ذات جمال فتان . . وهى طالبة بلا شك فى احدى المدارس الاجنبية . . وذلك من شكل « المايول » الذى ترتديه . . وقد شاهدها مرة وهى تدلف الى الغرفة . . وتخلع عنها ذلك المايول . . وتستبدله بشباب تحضرها من الخزانة التى تجاور سريرها فى الغرفة . . ثم تروح بعد ان يتم ذلك تتمدد فى السرير . . وتقوم بحركات تحرق اعصاب الحليم (حسب تعبيره) .

استمر الزميل فى مراقبة الفتاة . . وهى بالطبع مطمئنة كل الاطمئنان الى ان أحدا لا يمكن ان يراها فى مثل هذا الوضع داخل غرفتها . . واستمر هذا الحال بضعة ايام . . كان صاحبنا لا يفارق الغرفة حتى عرف بالقصة زميل آخر . . كان ينضم اليه فى



■ في بيت البحرين بالقاهرة سنة 1946 م .

مواجى وحراسين « 147 »

الغرفة . . ولكن الزميل الآخر كان سيء الحظ . . فلم يشاهد مما كان يرويه الزميل شيئا . . وقد انتشر خبر سر الغرفة بين الطلاب . وكان يفترض ان تنتهى القصة عند هذا الحد . . الا ان الزميل داخلته الشكوك انه «صاحب حق» وان الفتاة الغافلة ربما تبادله «العواطف» و«الحب» ولذلك راح يفكر فى ايجاد وسيلة ما تقربه اليها . . وليثبت لبقية زملاء انه فعلا يعيش حالة حب حقيقية . . لا يعرفونها . وقد هداه تفكيره فى أمسية أحدى الليالى بان يرسل عبر المسافة الفاصلة بين الغرفتين . . بقطعة خشب صغيرة كتب عليها بخط جميل عبارة I LOVE YOU . . وقد افزع سقوط الخشبة فى غرفة الفتاة أسرتها مما حدا بوالدتها الى الخروج الى بلكونة الغرفة وتوجيه عبارات اللوم والاستنكار . . وعندما علم الاستاذ حبشى بالقصة تحدث الى السيدة والدة الفتاة واعتذر عن تصرفات الزميل ووعدها بعدم تكرار هذا العمل . . ومن يومها لم يسمح لأحد من الطلاب . . بارتياح غرفة السطوح .

بعد ان أسدل الستار على هذه القصة . . وقعت قصة أخرى . . لكنها لحسن الحظ انتهت بسرعة . وملخصها ان أحد طلاب البعثة حاول مغالبة احدى الفتيات التى دأبت ان تسلك فى طريقها الى بيتها . . شارع اسماعيل محمد . . مساء كل يوم . . وتبين ان الفتاة هى كريمة الوزير المفوض لاحدى الدول العربية الشقيقة فى مصر . . وقد قامت هذه الفتاة ببلاغ والدها الذى أبلغ بدوره السيد مدير ادارة البيت .

وقد جمعنا السيد المدير مساء اليوم نفسه وطلب منا التقيد بالاخلاق والسلوك الحسن . . حفاظا على السمعة الطيبة التى يتمتع بها طلاب البعثة . . وتجنب التورط فى مثل هذه المشكلات . ويجب على ان اذكر فى هذا الصدد . . انه فيما عدا هذين الحادثين لم يحدث ان قام أحد من طلاب البعثة . . بما يشين او يخدش الحياء طيلة المدة التى أمضيها فى القاهرة .

_____ علاقاتنا.. مع المعهد البريطانى

كانت علاقات طلاب بعثة البحرين . . قائمة ووثيقة مع المعهد الثقافى البريطانى بالقاهرة منذ اللحظة الاولى التى وطأت اقدامنا أرض مصر . . فقد كان هذا المعهد هو الجهة الرسمية الوحيدة المسئولة عن شئون الطلبة ورعاية مصالحهم .

كما كان مسئولاً أيضاً عن رعاية شئون ومصالح طلاب الكويت.. الذين سبقونا بالقدوم الى القاهرة.

وقد كان معلوماً لدى الجميع ان البحرين وشقيقتها دولة الكويت كانتا في تلك الفترة لا تربطهما اية بعثة دبلوماسية او قنصلية مع مصر.. وكانت بريطانيا تتولى رعاية مصالح كثير من الدول العربية.. وغيرها في كثير من دول العالم.. ومن الايام الاولى لوصولنا.. كنا نذهب الى ادارة المعهد.. التي تقع في شارع متفرع من شارع فؤاد.. يعرف بـ «سكة المغربى» لتسلم الراتب الشهري.. الذى يقوم المعهد بدفعه الى جميع الطلبة.

كان هذا الراتب هو مبلغ خمسة جنيهات مصرية لا تزيد.. وهذا المبلغ وان بدا زهيدا.. الا انه كان مبلغاً لا يستهان به في تلك الايام.

كان يتولى ادارة المعهد السيد هايوود.. الذى سبق وزارنا في البيت.. وقت ثارت أزمة الطعام من قبل بعض الطلاب. كما زار السيد هايوود البحرين قبل سفرنا.. واننى لا أستبعد ان السيد هايوود هو الذى أوصى حكومة البحرين على إرسال الطلاب لاستكمال دراستهم في القاهرة.. وقد اكد هذه الحقيقة السيد ويكلن.. مدير المعارف السابق حين دعانا لحفلة خاصة في بيته بالمعادي.

وخلال الاجازة الصيفية كان المعهد يقوم بتنظيم دروس خاصة في اللغة الانجليزية.. التحقنا بها.. كما التحق بها ايضا عدد من طلاب بعثة الكويت.. واننى اتذكر ان من بين المدرسين الذين كانوا يقدمون هذا الدروس.. مدرسا عجوزاً من مالطة.. اسمه المستر «ماكاليڤ» كان هذا المدرس يجيد الحديث باللغة العربية.. بالطريقة او الاسلوب الذى نشهده في الافلام السينمائية.. وقد دأب هذا الرجل على تملقنا بشئ الوسائل كلما حضرنا لزيارة المعهد.. كان عندما يرى أحداً منا يبادر الى دعوته للجلوس في مكتبه.. وطلب الشاي.. وخلال مثل هذه الجلسات القصيرة يحاول ان يتعرف الى احوال الطلاب.. والحياة داخل بيت البحرين.. ومن الامور التى لفتت نظرى.. هو قول المستر «ماكاليڤ» بأن الاموال التى تصرفها حكومة البحرين على طلابها في القاهرة.. ليست في محلها.. ولا أدرى حتى اليوم ماذا كان يعنى بهذا القول..

قبل ان نعود الى البحرين.. علمنا بأن السيد «ماكاليڤ» كان هو الموظف المسئول عن اعداد التقارير الخاصة بطلاب البعثة.. وتقديماً الى المسئولين بالمعهد.. وهذا

يعنى انه الموظف الاول المطلع على شئون الطلبة . . والى جانب هذا المدرس . . يوجد مدرس آخر . . انجليزى الجنسية اسمه «جولى» وكان متعصبا . . ومتجهم الوجه . . ومتعاليا . . وقد لاحظنا انه كان يميل الى الطلبة الكويتيين اكثر من طلبة البحرين .

بعد قيام ثورة يوليو 1952 الظافرة فى مصر . . وفى السنوات الاولى لتأميم قناة السويس . . قرأنا فى الصحف ان المعهد الثقافى البريطانى فى القاهرة . . كان «وكرا» للجاسوسية من قبل السفارة البريطانية فى مصر . . وان أجهزة كثيرة اكتشفت فى المبنى . . وقد هدم المبنى عن آخره فى اوائل الستينات . . ولاحظت خلال زيارتى الى القاهرة . . ومشاهداتى للمكان . . ان صالة لعرض اللوحات الفنية . . ومتاجر للملبوسات والازياء الحديثة قد اقيمت مكان مبنى المعهد . . لم يكن أحد منا ليتصور ان تتكشف الايام عما كان يدور فى اروقة المعهد من دسائس ومؤامرات يحكيها المسئولون فيه . . ولم يكن من المستغرب ان تصل تقارير المعهد عن الطلاب او غيرهم الى المسئولين وهى تحمل الاقتراءات والاكاذيب .

فى سياق الحديث عن المعهد البريطانى . . وعن الانجليز يطيب لى ان أذكر شيئا عما كنا نشهده من احداث او نسمع به من اخبار . . عن الوضع السائد فى مصر فى تلك الأيام .

كانت مصر كغيرها من اقطار العروبة فى تلك الفترة ترزح تحت نير الاستعمار . . وكان النفوذ والسيطرة البريطانية ظاهرة على كثير من نواحي الحياة . . ونحن وإن كنا لا تزال صغارا عندما حللنا بالقاهرة . . كنا نحاول ان نقارن ما نشاهده فى مصر . . بما نعهده فى البحرين . . وكنا نعجب كثيرا لهذا التغلغل الاجنبى فيما حولنا .

لم يكن ليثيرنى شىء اكثر من ان أشاهد الجنود البريطانيين من انجليز . . وغيرهم . . وهم ينطلقون فى شوارع القاهرة ومناطقها على دراجاتهم النارية السريعة . . ويمرون احيانا على العربات العسكرية التى يستعملها افراد الجيش المصرى . . او رجال الشرطة . . كان هؤلاء . . وأولئك يلتقون أحيانا وجها لوجه . . ولكن المصريين يكظمون غيظهم اذا ما حدث ذلك بينها .

كان مبلغ علمنا فى ذلك الوقت ان الجيش البريطانى يربط فى منطقة مدن القناة . . السويس وبورسعيد . . وربما الاسكندرية . . ولكن ان يكون افراد منه يتواجدون فى وسط القاهرة فان مثل ذلك لا يصدق . . فى ميدان «الاسماعيلية» الذى تحول الى ميدان

«التحرير» بعد ثورة ١٩٥٢ . كانت هناك ثكنة عسكرية قديمة . . ربما ترجع في تاريخها الى ما قبل عهد الخديو اسماعيل ، يطلق عليها «قشلاق النيل» مكان فندق «هيلتون النيل» حاليا .

وفي حى الزمالك . . حيث يقع بيت البحرين بشارع اسماعيل باشا محمد تقع إحدى الفلل السكنية . . التى تسكنها عائلة ضابط بريطانى على الرتبة بلا شك . . يقف على مدخلها جندى بريطانى شاكى السلاح يحرسها على مدار الساعة .

كما توجد بيوت كثيرة فى الزمالك . . يحرسها جنود بريطانيون . . مثل هذه الفيلا التى تجاورنا .

كنت أتابع ما ينشر فى جريدة «الاهرام» او غيرها من الجرائد اليومية المصرية . . من تحركات ونشاط السفير البريطانى «لورد كيلرن» الذى كانت شخصيته طاغية فى المجتمع المصرى فى تلك الفترة . . وفى حى الزمالك . . كان يسكن عدد كبير من رجال السياسة . . من مصريين واجانب . . وعدد من السفراء اذكر منهم محمود جم . . سفير ايران . . ومحمد صادق المجددى سفير افغانستان . . وقد كان بيته قريبا من بيت البحرين ، وتعرفت الى أحد اولاده واسمه «عثمان» ولكن العلاقات معه لم تستمر طويلا . . لسفره عائدا الى كابول . . لاسباب عائلية .

خلال المفاوضات التى كانت دائرة فى ذلك الوقت بين الحكومتين المصرية . . والبريطانية . . لتعديل نصوص معاهدة سنة ١٩٣٦ المعقودة بين البلدين . . كان يدير تلك المفاوضات من جانب مصر . . دولة اسماعيل صدقى باشا . . رئيس الوزراء . . جار البيت . . لقد كنا نسمع ما يتناقله الناس فى القاهرة . . من طلاب وغيرهم . . عن ان هذا الباشا . . مكروه من سائر طبقات الشعب المصرى . . ولا يكون له اى ود او تقدير . . نظرا لما عهد عنه من سطوة . . وتجبر .

وكنا فى غدونا ورواحنا من البيت الى المدرسة . . نشاهد عساكر الجيش البريطانى تجوب الشوارع . . وتتصدى للمظاهرات التى يقوم بها الطلاب والعمال . . المصريون . . وكانت الصحف المصرية تنشر صباح كل يوم أخبار هذه المظاهرات والمصادمات التى تقع بين القائمين بها مع جنود الجيش البريطانى . . أو أحيانا الشرطة المصرية الوطنية . . ولكنها كانت تصب جام غضبها على حكومة صدقى باشا . . وتتهمها بالتهاون فى حفظ وصيانة كرامة المصريين . . ولكن هذه الصحف نفسها . . ولا سيما الصحف المصورة . .

مثل «المصور» .. ومجلة «الاثنين» كانت تغدق على الملك فاروق .. وافراد العائلة الملكية .. شتى الالتاب .. والرتب الرفيعة والاصناف .. وتشر أخبارهم .. وتنقلاتهم بصورة ملفتة للنظر ولدرجة ان غير المتبع للشئون المصرية الداخلية في تلك الفترة التاريخية الغربية يحسب ان هؤلاء الافراد .. من أسرة محمد علي .. أمراء وأميرات ونبلاء ونبيلات .. فوق مستوى البشر العاديين .. وان النقد لا يمكن ان يطاهم .. وكنا .. ونحن أبعد ما نكون عن معرفة ما يدور في مصر مما يتصل بهذا الجانب .. او حتى غيره .. نعجب أشد العجب ونحن نقرأ في الصحف الصادرة .. ما يكتبه رجال الصحافة من مقالات مدح وتزلف .. لذات الملك .. وبقية الأمراء .. بل وللباشوات من رجال السلطة .. والحكام .. وذوى النفوذ في مصر. لقد كانت أياما .. غريبة .. وعجيبة .

_____ مناسبات عامة.. وذكريات

خلال فترة اقامتنا في القاهرة .. والتي لم تكن طويلة على أية حال . أسعدنا الحظ بمشاهدة او حضور بعض المناسبات العامة التي صادف وقوعها او وقتها في تلك الفترة .. والواقع انها مناسبات كانت تقع في كل وقت .. ولم تكن مميزة او خاصة .. سوى اننا نشهدها للمرة الاولى .. وهى احداث هامة ولا شك .. وقل ان تتكرر بتلك الصورة التي شهدناها في هذه السنوات .

من أهم المشاهدات التي اذكرها .. الاحتفال بمناسبة عيد الجلوس الملكى .. الذى يصادف شهر فبراير .. من كل عام .. اذكر انه في الايام الاولى من هذا الشهر .. ازدانت شوارع القاهرة .. والمحلات التجارية .. والمباني العامة .. والحدائق والقصور وعلى الاخص الشوارع الكبرى .. والميادين بحلة قشبية من الزينات .. والالوان .. والانوار الكهربائية .. وفي ليلة الاحتفال خرجت جموع الناس .. وطلبة المدارس .. وطالباتها .. ومجموعات من فرق الجيش وألويته .. من مختلف الرتب .. واطلقت الانوار والالعاب النارية . في هذا الاحتفال الذى نشهده لأول مرة ذهبت برفقة بعض الزملاء من طلاب البعثة .. وأخذنا لنا مكانا في شارع عبدالعزيز . المتفرع من ميدان العتبة .. وبقينا في هذا المكان ساعات طويلة .. شهدنا فيها مرور مواكب الكشافة من بنين وبنات .. ومجموعات من عمال المصانع .. ومختلف المهن .. وبعض من ممثلى

الهيئات والجمعيات . . او المؤسسات التجارية والحكومية وهم يمرون في مجموعات . . مجموعة في اثر مجموعة . . وهم يحملون الياقات المعبرة عن هذه المناسبة . . وبينما تمر بين فترة واخرى مجموعة من افراد الفرقة الموسيقية . . يعزفون الالحان والمارشات العسكرية . . كان جميع الواقفين معنا على أرصفة الشوارع يرددون ان الموكب الملكى . . سيمر بعد قليل . . وقد مرت فترة طويلة . . ولم نشهد ذلك . . وقيل لنا ان الموكب قد اتجه الى طريق آخر غير الطريق الذى كنا نقف فيه .

إننى أتذكر ان اهم ما شاهدناه في مناسبة هذا العيد . . موكب «الشعلة» فقد كان يضم افرادا من رجال الجيش يرتدون الملابس الفرعونية المزركشة . . ويسرون على اقدامهم يحفون بالعربة الملكية التى يجرونها في الطريق . . وهو منظر فريد . . قل ان يتكرر هذه الايام .

في نفس الشهر شهدت القاهرة مناسبة عظيمة اخرى لا تقل في اهميتها عن أهمية الاحتفال بعيد الجلوس . . ان لم تزد عليها بكثير . . هذه المناسبة . . هى الزيارة الملكية التاريخية التى قام بها صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية لمصر بدعوة كريمة من صاحب الجلالة الملك فاروق الاول . . ملك مصر .

وكان الملك السعودى قادما من لقاء جمعه مع الرئيس الأمريكى روزفلت ورئيس الوزراء البريطانى ونستون تشرشل في قناة السويس بعد اعلان انتهاء الحرب العالمية . . وكان هذا اللقاء بين الزعماء الثلاثة لقاء تاريخيا .

في ذلك اليوم . . وكان الوقت مساء . . وقبل ان تغرب الشمس . . خرجت القاهرة عن بكرة أبيها . . تلاميذ المدارس . . وطلاب الجامعة وعشرات الآلاف من فئات الشعب المصرى . . وآلاف من افراد الشرطة اصطفوا في الاماكن والشوارع التى تقرر ان يمر بها الموكب الرسمى الذى يضم الملكين المصري . . والسعودى .

وأخذت مكانى مع بعض زملاء . . والمئات من المشاهدين قريبا من مدخل فندق «الكونتنتال» المقابل لدار الاوبرا الملكية . . وقد حاول كثيرون زحزحتنا من مكاننا هذا . . ولكننا تمسكنا به ولم نغادره . . مر الموكب . . وشاهدنا الملكين فاروق وآل سعود داخل العربة الملكية التى كانت تتقدمها كوكبة من الخيول المطهمة . . ومن خلفها أرتال من السيارات الملكية الفخمة التى يستقلها افراد من الامراء السعوديين وافراد من الحاشية . . وكبار رجال الحكومة . . والمسؤولين وغيرهم .



■ الزيارة الملكية التاريخية التي قام بها صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية لمصر بدعوة كريمة من صاحب الجلالة الملك فاروق الاول.. ملك مصر.

صفقنا طويلا . . والموكب الملكي يقترب من المكان الذي وقفنا فيه . كانت الطريق التي سلكها الموكب قد فرشت بالرميل الاحمر . . او الاصفر حتى مدخل قصر «عابدين» الذي حل به الملك الضيف خلال زيارته .

لا اعرف كم استمرت هذه الزيارة ، ولكن جميع الصحف المصرية دأبت على الحديث عنها . . ونقل التحقيقات الخاصة بالمملكة العربية السعودية ونواحي الحياة فيها وذلك لعدة ايام .

واتذكر انه بعد ايام من هذه الزيارة . . طلب مدرس اللغة العربية في مدرستنا من تلاميذ الصف ان نكتب موضوعا أنشائيا عن الزيارة . . بعد ان أعطانا صورة من العناصر الرئيسية التي يقوم على أساسها الموضوع المطلوب .

كانت هذه المهمة بمثابة «الواجب» وقد حصلت على تقدير جيد هو 15/13 . . ونصحني المدرس المذكور بتدوين بعض العناصر على الصورة التي شرحها للتلاميذ . . حين اعداد موضوعات جديدة . ولازلت احتفظ بالموضوع في كراسة الصف الخاصة

بالمدرسة .

ومن المناسبات التى حضرناها . . جنازة المغفور لها السيدة صفية زغلول . . أرملة الزعيم المصري الوطنى سعد زغلول . . او «أم المصريين» كما كانوا يطلقون عليها . . لقد كانت جنازة مشهودة سار فيها المئات من المشيعين . . من كبار رجالات الدولة . . والاحزاب ، كان معى . . ونحن نشاهد موكب الجنازة . . الطالب عثمان صادق المجددى . . نجل السفير الافغانى بالقاهرة . . والطريف أننا فور مرور الموكب . . ذهبنا لمشاهدة افلام سينمائية قصيرة كانت تعرض فى احدى دور السينما القريبة .

كما شهدنا جنازة المرحوم أحمد محمد حسنين باشا «رئيس الديوان الملكى» كان هذا الباشا من كبار رجال السياسة فى مصر . . وطالما كان اسمه يتردد فى الصحف وهو يحمل لقباً طويلاً لا يتمتع به الا القلة النادرة من الباشوات وهو لقب «صاحب المقام الرفيع» كانت الجنازة خارجة لتوها من أحد الجوامع القريبة من ميدان ابراهيم باشا «الاوبرا» ومن الشخصيات التى شاهدناها تسير فى هذه الجنازة شيخ الجامع الازهر . . والسفير البريطانى «لورد كيلرن» وامراء . . ونبلأء من اسرة محمد على . . ووزراء وضباط . . ويتقدم الجميع أحد الباشوات الذى يمثل جلالة الملك فاروق وفرقة موسيقى . . وحاملى باقات الورد . . وسار خلف هؤلاء جموع غفيرة من الناس . . من مختلف الطبقات والفئات .

كان مشهد مثل هذه الجنازات . . شيئاً غير مألوف لنا . . وفى أحاديثنا عندما نتواجد فى البيت . . ونروح نتحدث فيما بيننا عن مثل هذه المشاهد . . يتناوبنا الشعور بأن ما يجرى فى البحرين . . أو ربما غيرها . . وبين ما يجرى فى مصر . . بصورة خاصة يختلف فى كثير من التفاصيل . . بل والشكليات وذلك لان مصر كبلد اسلامى . . او شرقى . . استطاع ان يحافظ على العديد من التقاليد والعادات التى تكاد تنعدم فى كثير من بلدان الوطن العربى . . وهذا ايضا ما يجعل مصر تحتل مكانة مرموقة بين سائر دول العالم فى الحضارة والنهضة .

لقد كنا نسمع عن كثير من الاحتفالات والمناسبات التى تقام فى القاهرة . . او غيرها من الاقاليم والمدن . . والقرى . . ولكنه كان من المتعذر حضورها او مشاهدتها فى مكان اقامتها بالذات وذلك لاعتبارات كثيرة . . او ظروف عامة .

ومن المناسبات التى ستظل ماثلة فى بالى . . هى الاحتفال بعودة الحجاج المصريين

التاريخ المدون. وفعلا وفقت الى اكتشاف ثلاث مدن. احداها حول قلعة البحرين. والثانية منطقة معبد باربار والثالثة في منطقة المطة.

وبقدر ما اطرب البعثة الدانماركية العثور على هذه المدن الثلاث، وبقدر ما فتح امامهم من توفر امكانيات التنقيب على هذه الجزيرة الغالية، بقدر ما هون امامهم من سحر لغز مقبرة ما قبل التاريخ، وجعلهم يفتنون في تحقيق حلم طالما راود العلماء وهو الكشف عن المكان الحقيقي لديلمون التي تردت في سجلات التاريخ: وهنا فرض نفسه سؤال: هل هي بحریننا الحالية؟

وفي ذلك يحدثنا البروفسور Glod فيقول:

«على الرغم من ان العلماء قد اهتموا بالبحرين لوجود هذه المقبرة كلغز تاريخي كبير، الا ان الذي دفع علماء الآثار والتاريخ والجغرافيا والاداب وفقه اللغة لترديد اسم البحرين كان شيئا آخر ايضا. وهو ترجيح كونها دلمون الاسم الذي تردد في اول سطور قصة التاريخ، حيث اقترن بقصة الطوفان في اقدم صفة لها. وحيث اتخذ «نوح» السامريين والبابليين سكنا، المكان الذي قصده «جلجامش» على ارض الرافدين القديمة بحثا عن الحياة الابدية كما تقول اساطير الاولين.

ولقد استحوذت مشكلة البحث عن المكان الذي كان «دلمون». على اهتمام العلماء منذ 81 - 1880 ولقد رجح اخيرا احتمال ان تكون جزر البحرين.

وفي رأي Cornwell ان الاسم بمثابة ايضا الساحل المقابل من شبه الجزيرة العربية وساحل الاحساء» وان اساس ما توصل اليه من اكتشافات هناك عام 41 - 1940 «انتهى كلام البروفسور Glod.

ومن الدلائل التي تحسسها العلماء لترجيح كون بحریننا الحالية هي ديلمون القديمة، البحث عن مخلفات تثبت علاقتها بالتجارة بين حضارتى وادي السند ووادي الرافدين وقد تحقق الكثير من الدلائل في هذا الصدد.

من تلك الدلائل النقش المسماري الوحيد الذي عثر عليه فوق هذه الجزيرة، والذي عثر عليه Durand في جدار احد المساجد ونصه بالخط المسماري البابلي ما يلي:

«قصر ريمون خادم انزاك من «قبيلة عقارم» وهذا في رأي Glob يؤكد علاقة البحرين بارض الرافدين القديمة، حيث كان يعبد «انزاك» باسم «نابو».

من المناسبات العزيزة التي لا تنسى.. حضور الحفل الذي اقيم مساء احد الايام في شهر مارس 1946 بمدرجات كلية الآداب بجامعة فؤاد «القاهرة» لمناقشة الرسالة التي تقدم بها الاستاذ حسن حبشى مدير ادارة بيت البحرين لنيل درجة «الماجستير» وكذلك الحفل الثانى الذي اقيم مساء يوم 16 يونيه 1946 فى نفس القاعة. حضر هذا الاحتفال عدد من طلاب الجامعة من مختلف الكليات وعدد من الاساتذة وبعض زملاء المدير.. كما حضر بعض الكتاب والادباء ممن تربطهم علاقات وثيقة معه. وقد ترأس اجتماع اللجنة الدكتور محمد شفيق غربال بك. وكيل وزارة المعارف المصرية فى ذلك الوقت.. يعاونه استاذان من رجال الجامعة.. وكانوا جميعا يرتدون لباس الجامعة الرسمي «الروب الجامعى».

وقف الاستاذ حسن فى زاوية من القاعة.. يشرح موضوع الرسالة.. ويرد بطلاقة ورباطة جأش على كل ما يوجه اليه من استئلة واستفسارات عن عبارات ووقائع وردت فى الموضوع وكان موضوع الرسالة «نور الدين.. والحرب الصليبية». استمرت المناقشة اكثر من ساعتين.. وبعد المداولة والتشاور بين اعضاء اللجنة..لقى الرئيس كلمة دقيقة.. اعلن فيها فوز الاستاذ حبشى بالشهادة.. بمرتبة «شرف جدا» وقام عدد من الحاضرين داخل القاعة بتهنئة الاستاذ حبشى.. وصفق له عدد كبير بينما لم يكتف البعض بذلك بل راحوا يقبلونه فى حرارة وصدق.. متمنين له نيل الشهادة الكبرى وهى الدكتوراه، وكذلك قمنا نحن قبل ان نعود الى البيت ونحن فى أحسن حال.. وأنعم بال.. وقد كانت هذه اول مرة.. نهظى فيها بزيارة رحاب الجامعة.. او مرفق من مرافقها.

يقتضىنى الانصاف.. ان أذكر هنا بعض الملاحظات التى تكونت لى عن الاستاذ حسن حبشى. لقد كان شخصية محبوبة فى البيت من قبل جميع طلبة البعثة.. وكنا جميعنا نكن له الاحترام والتقدير.. منذ اليوم الاول الذى حل فيه بيننا مديرا لبيت البحرين.. ولا أتذكر ان احدا من الطلاب او غيرهم شكوا منه.. او نقل عنه.. كان الاستاذ حبشى فى الاوقات التى تحلو له يتحدث كثيرا عن الفترة التى امضاها فى العراق فى التدريس بدار المعلمين فى بغداد.. وكانت تتردد فى هذه الاحاديث التى نروح ننصت لها بكل تقدير واهتمام.. كلمات عراقية اصيلة.. مثل أغاتى.. الويش.. اكو.. وماكو.

كان الاستاذ حبشى يبدى ملاحظاته اللاذعة احيانا حين يسمع أحدنا يتحدث

بلهجة البحرين .

لقد كانت هذه القضية وامثالها احدى «الغمامات» الثقيلة التى ظلت تحلق فى سماء البيت وتعكر صفو الحياة فيه بعض الاحيان . . حين يصر بعض طلبة البعثة على استعمال تعبير دون آخر . كان الاستاذ حسن يجيد الحديث اللغة الانجليزية اجادة تامة كما كان ينطق باللغة الفرنسية بطلاقة تامة . . وهو الى جانب هاتين اللغتين يتحدث اللغة الاسبانية وبعض الكلمات والتعبيرات باللغة اللاتينية القديمة . . كل هذا . . الى جانب ما يتابعه من فكر ورأي فيما ينشر فى الصحف والمجلات المصرية المتخصصة آنذاك .

كان الاستاذ حسن شديد الحرص عندما يصادف ويحدث لاحدنا ان يدخل الى غرفته . كان يجرح ان لا يقرب احد من جهاز التلفون الموجود على طاولة المكتب القائمة فى إحدى زوايا الغرفة الجميلة .

ولا اذكر ان أحدا من طلاب البعثة استعمل جهاز التلفون الا نادرا . . انا شخصيا لم أجد فى نفسى حاجة لاستعماله . . مطلقا . هذا ولم يكن الاستاذ شديدا فى معاملته لأي فرد من افراد البعثة . . بل على العكس من ذلك . . فقد كان الجميع على صلات طيبة معه . . يعامل الجميع دون تفریق . . وكان بمثابة الوالد الحنون للجميع ، ولكنه كان يظهر الجد والحزم حين يحدث خلاف او إشكال فى البيت ، وينتهى الامر بقبول الطلاب لتوجيهاته . . دون مناقشة . ولقد سار الاستاذ على اتباع هذا الاسلوب . . حتى آخر يوم بقى فيه معنا . . قبل ان تتفرق السبل بنا بعد ذلك . . ولقد وعدنا الاستاذ حسن بزيارة الى البحرين اذا ما سنحت له ظروف عمله بذلك . لكن مرت سنوات وسنوات طويلة - حتى الآن - ولم تتحقق هذه الامنية لنا او لأستاذنا .

ان هذا يذكرنى دوما . . بما أسمعته خلال بضع السنوات الاخيرة منذ منتصف الثمانينات . . بحديث يذاع من اذاعة «نداء الاسلام» من مكة المكرمة . . وهى الاذاعة السعودية المعروفة . . بصورة منتظمة فى بعض الليالي . . والحديث بعنوان : قصة إسلام صحابى . . ويذكرنى صوت مقدم هذا البرنامج وهو كما يذاع . . الدكتور حسن حبشى . . بصوت استاذنا مدير بيت البحرين بالقاهرة أواخر الاربعينات . وخلال احدى الزيارات التى قمت بها الى الرياض . . اتصلت ببعض الاقسام فى اذاعة الرياض للاستفسار عن شخصية الدكتور حسن حبشى واحتمال ان يكون هو استاذنا بعظمه

ولحمه - كما يقولون - الا اننى لم أقف بعد على الحقيقة . . وقد ذكرنى احد الذين اتصلت بهم فى الاذاعة . . ان الاستاذ هو مصرى . . كان يعمل منذ زمن فى احدى الجامعات السعودية وكان يعمل فى تقديم بعض «الاحاديث» للاذاعة . . بطريق تسجيل الاشرطة «الكاسيت» ولكن لا أحد يعرف عنوان الدكتور حبشى فى القاهرة .

وهكذا تبقى قصة الاستاذ حبشى . . احدى الحلقات التى لا تزال تشدنى اليها . . وتذكرنى بتلك الايام الخوالى بالقاهرة رغم مرور هذه السنوات الطويلة .

خواطر.. وتأملات

فى فترة من فترات اقامتنا بالقاهرة . . وبخاصة قبل نهاية السنة الدراسية . . استحوذت على اهتمامى بصورة غريبة رغبة الاطلاع والنظر فى كل ما كان يكتب فى الصحف والدوريات المصرية الصادرة فى تلك الايام . . من مصورة وغير مصورة عن الحياة التى يعيشها افراد الاسرة المالكة فى مصر . هذه الحياة التى كانت تبدو لي ولناس كثيرين أشبه ما تكون بقصص الخيال . . والغرائب . لقد كانت تلك الصحف تنشر تعليقاتها وحكاياتها . . فى صورة تحقيقات مصورة احيانا . . مركزة على الحياة الخاصة التى يحياها اولئك النفر من البشر . . من أمراء وأميرات . . ونبلاء ونبيلات من سلالة محمد علي باشا الكبير . . والى مصر .

كنت مهتما ان احصل بأى طريقة على اعداد متفرقة من مجلة «الاثنين» و«الدنيا» الاسبوعية المصورة . . او مجلة «المصور» التى يرأس تحريرها الكاتب الصحفى الذائع الصيت آنذاك فكرى اباطة باشا . . او احصل على اعداد نادرة من مجلة «اللطائف» المصورة التى كانت تصدر فى مصر منذ حقبة طويلة فى الثلاثينات قبل ان تنقطع فى اوائل الاربعينات . كان يصادف ان احصل على بضعة اعداد منها بمبالغ زهيدة من اكشاك بيع الصحف والكتب القديمة المنتشرة على اسوار حديقة «الازبكية» بميدان الاوبرا والقريبة من ميدان «العتبة» الخضراء .

منذ تلك الفترة . . والى ما بعد قيام ثورة 23 يوليو 1952 كان اهتمامى يزداد بتتبع

هذه الاخبار والتعليقات . . ويذكرنى ذلك بشراء مجلد ضخيم يضم اعداد مجلة «المصور» الصادرة سنة 1929 التى تحمل فى صفحاتها كماً هائلاً من المعلومات والصور . النادرة والتحقيقات التى كانت تجرى بطريقة تلك الايام . عن اخبار الدنيا فى كل حقل . . وفى كل مجال . . وما زخرت به تلك الحقبة الزمنية الماضية من عجائب . . وغرائب . . وحتى بعد عودتنا الى البحرين بعد ذلك ومرور سنوات طويلة عليها . . بقى اهتمامى قويا راسخا بمطالعة تلك الصحف والمجلات . . وحين يخطر لى احيانا ان أتساءل عن السر الذى يكمن وراء ذلك . . رغم تغير حال الدنيا . . وتغير حال كل شىء فيها . . فلئننى لا أجد اى تفسير واضح له . . لكنى اليوم ارجع ذلك الى اننى قد انتمى الى جيل استقرت فى قناعاته الشخصية المكانة الموجودة التى كنا نعيشها او نشهدها عن قرب فى منطقتنا وما يتصل بها من قضايا قد تتلاقى أو تتعارض مع وجهات النظر التى لا تتلاءم مع التيار السائد فى هذه المنطقة من الوطن العربى . . فى الوقت الراهن .

كان اكثر ما يثير اهتمامى هو تلك الصور الجميلة التى تنقلها المجلات عن حياة الملكين السعيدين . . فاروق الاول . . وفريدة . . والعالم المحيط بهما سواء فى حياتهما الخاصة . . او من خلال الجولات والزيارات التى يقومان بها داخل مصر او خارجها من حين لآخر .

وكانت التعليقات المنشورة توحى بأن هذا الرباط الذى يربط بين الملكين رباط قوى . . ولا يخطر لاحد ان يتخيل فى ذلك الوقت ان تنفصم عراه . ولكنى من خلال قراءتى لما كان يصدر عن الملك من تجاوزات وخروج عن كل الاعراف . . والعداات . . توقعت ان تلك السعادة التى ما فتئت صحافة تلك السنين ان تحسنها وتجميلها لا بد ان تزول .

حتى جاء يوم تحدثت فيها كل الاوساط عن الخلافات الناشئة بينهما وان هذه الخلافات ستؤدى الى الانفصال . . وبالفعل وكما شهدت فقد تحققت هذه التوقعات وتم طلاق الملك . . والملكة .

فاروق . . ملك مصر والسودان . . وفريدة . . سليلة الحسب والنسب . . او محبوبة الشعب . . صافيناز ذو الفقار كما عرفها الناس بهذا الاسم دوما .

من اهتماماتى . . الغوص فى كل ما كان يكتب او ينشر عن حياة الامير محمد علي . . ولي عهد المملكة المصرية . . وكما كنت اعجب لكون هذا الرجل قد تخطى كثيرا سن

الملك نفسه . وقد كنت اظن ان يكون هذا الرجل . . نظرا لسنه قياسا لسن الملك ان يكون وصيا على العرش . . او عضوا في مجلس الوصاية . . كما كان وضع الامير عبدالاله بن علي . . الوصي على عرش العراق . . ولا ادري كيف كانت العلاقة تقوم بين فاروق . . الملك . . وهذا الامير . لكن قواعد البروتوكول السائدة في القصور الملكية تلك الايام كانت قد شكلت اسسا وقواعد متفقا عليها سار عليها المسئولون في مصر . . لكن من غير شك ان علاقة الملك فاروق بولي عهده هذا . . كانت من الغرابة التي لا يمكن ان تصدق في هذه الايام .

كانت الصحف تنشر كثيرا عن العلاقات التي تربط بين افراد الاسرة الملكية وعلاقاتها مع الاسر الملكية في البلاد الاوروبية . . وغيرها من بلدان العالم . . والزيارات التي يتبادلونها . . والرحلات التي يتم تنظيمها .

ويتم مثل هذا النشر في الصحف في صورة يكاد يخيّل للقارىء انها لا تمت بصلة الى عالمنا الذي نعيشه . . بل هي اقرب الى عالم الخيال . . انها حياة البذخ والرفاهية . . والألّس والبهجة .

احد هؤلاء الامراء الذين حرصت على تتبع اخبارهم . . وكل ما ينشر عنهم في الصحف . . هو الامير يوسف كمال . ولا اظن ان الكثيرين قد سمعوا به . انه واحد من بقايا الاسرة الذين كانت لهم صولات وجولات قبل ان يعتلى الملك فاروق عرش بلاده . وكان لهذا الأمير قصور في بلاد الصعيد . . ومزارع واسعة . ومما يذكر عنه انه كان يطلب من الفلاحين في مزارعه بان يرووا الاراضى بالماء المحلى بالسكر . . رغبة في ان يأتي الانتاج على الصورة التي يهواها الامير . في الوقت الذي كان فيه اولئك الفلاحون لا يجدون بعض حبات من السكر . . ذاته . . لاستعمالهم في حياتهم المعيشية اليومية . بل أنى قرأت مرة بأن الامير يوسف كمال كان يأمر الفلاحين بحرق الكميات الزائدة من انتاج الغلات في مزارعه . . حرصا منه بان لا تذهب لصالح الفلاحين . . وفائدتهم . . الى غير ذلك من القصص الغريبة .

قصة اخرى عن أمير آخر . . هو النبيل عباس حليم . . ولقب النبيل هذا يقل في المرتبة قليلا عن لقب الامير . . لقد عرف عن هذا النبيل تحرره من التقاليد الملكية السائدة بتلك الايام . . وما يربط بينها من بروتوكولات وانظمة . . وكان يعرف عنه انه هو الامير الشعبى المعارض في أسرة محمد علي . . ولقد مر وقت كان يظن فيه ان عباس

حليم كان يطمع في عرش المملكة .. وانه ضالع في مؤامرة لاغتيال الملك فاروق .. وازاحته عن عرشه .. وتروي الصحف المتخصصة في هذا الشأن روايات وحكايات اين منها قصص هوليوود وافلام السينما التي كانت رائجة في تلك الايام.

وان أنسى لا أنسى تلك المقالات اللاهبة والاقاويل والحكايات التي لا اول ولا آخر لها .. التي كانت تنشر .. بعد قيام ثورة يوليو .. عن سلوك وحياة الملكة نازلي .. والدة فاروق .. وما كان يشاع عنها .. وعن العلاقات التي كانت تربطها برئيس الديوان الملكي .. صاحب المقام الرفيع .. أحمد محمد حسنين باشا . أحد ابرز رجال الحکم والسياسة في مصر . خلال فترة الثلاثينات بل وحتى الاربعينات . ومن منا يجهل الفضائح التي انتشرت على اثر ثورة التحرير في يوليو . وراحت تتحدث عن حكايات وقصص بطلها الاوحد .. جلالة الملك المعظم . لقد طالت مثل هذه الفضائح .. سيدات في نفس الاسرة .. ويكفى ان اذكر هنا قصة الاميرة فاطمة .. قرينة الامير عمر طوسون احد كبار رجال الاسرة المعروفين .

أما مغامرات الملك مع سيدات رجال الحاشية والوزراء وغيرهم .. فان المقام هنا يضيق بها لو أردنا ذكر تفاصيلها . وفي السنوات الاخيرة .. وربما الى اليوم .. لم تتوقف سلسلة الكتب والمؤلفات التي تتحدث عن سيرة تلك الفترة العصبية من حياة مصر . ولعل من أشهر ما كتب في هذا المجال .. الكتاب الذي قام بنشره .. الايطالي المعروف .. انطون بولي . خادم الملك . ولا اخفي انه تجمع لدي عدد كبير من هذه الكتب .. الرخيصة وامثالها .. استعار مني بعض الاصدقاء بعضها .. ولا زلت احتفظ بالباقي حتى الآن .. ولكل شىء نهاية .

_____ ذكريات فنى رمضان

خلال شهر رمضان .. سعدنا كثيرا بزيارة عدد من الادباء والكتاب .. ورجال الفكر الذين تربط بينهم علاقة بالاستاذ حبشى . وقد تمت بضع زيارات قام بها هؤلاء الادباء الى البيت ومنهم الاستاذ الدكتور زكى مبارك .. صاحب الكتب والمؤلفات المعروفة ..

ومنها كتاب «ليلى المريضة فى العراق» وكتاب «الموازنة فى الشعر الجاهلى» وغيرهما.

كانت امسية جميلة حين زف الينا الاستاذ حسن زيارة الدكتور مبارك . . وحين وصوله . . انفرد الاستاذ حسن به طويلا فى غرفة مكتبه يتحدثان فى امور لم تتح لنا الفرصة الى الاستماع الى ما كان يدور بينهما من حديث . . ولكن الدكتور مبارك أمضى معنا بعض الوقت فى غرفة الاستقبال . . وبدا لنا ان الدكتور مبارك فى تلك الامسية ربما كان يعانى من بعض التعب والارهاق . وكان اكثر ما لفت نظرنا عنه انه كان «مبهذلا» فى ملبسه ومظهره . . وعندما سألنا السيد المدير عن حقيقة ذلك . . قال ان ذلك هو سمة العظماء . . الذين لا يهتمون بالمظاهر . وقبل ان يغادر الدكتور زكى مبارك عتبات بيت البحرين . . وعدنا بالاجتماع واللقاء معه فى فرصة قريبة . . كما وعدنا باهداء بعض كتبه بمناسبة هذه الزيارة.

لكن الايام مرت . . دون ان يتحقق ذلك اللقاء المرتقب ودون ان يحصل أي منا على هدايا الكتب التى وعد بها .



، كما أنسنا بزيارة الأستاذ محمد سعيد العريان. احد
الكتاب المثقفين المصريين.. واحد كبار المسؤولين بوزارة
المعارف المصرية. ويظهر ان الأستاذ العريان لم يشأ ان
يتحدث إلينا في هذه الزيارة. والتقطنا معه بعض الصور
التذكارية.

وزارنا في البيت الأستاذ «محمد أمين حسونة» المحرر
بدار الهلال. وكانت تنشر له مقالات معروفة بمجلة
«الاثنين» وبمناسبة هذه الزيارة اهدى الأستاذ حسونة
بعض كتبه الى عدد من الطلاب.. وكان من بينها نسخا من
كتابه (ساعات الصمت) وكتاب اخر عنوانه (الباب الذهبي)
وهو قصة مصرية قصيرة. ،،

ومن الادباء والكتاب الذين زاروا البيت خلال شهر رمضان ايضا الأستاذ الشاعر
«علي احمد باكثير» الحصري/ اليمني الاصل والذي عرفنا انه نزح من بلده واستقر في
مصر. . وأثر الإقامة فيها لسنوات طويلة. وهو من الادباء المعروفين يومئذ بالقاهرة. .
وله عدة مؤلفات منها رواية (سلامة) التي اشتركت في تمثيل قصتها كوكب الشرق (ام
كلثوم) في فيلم سينمائي عرض في البحرين كما اتذكر في اوائل الخمسينات. ولاقى
الفيلم نجاحا كبيرا في البحرين.

ومن زوار رمضان ايضا. . المؤرخ المصرى الكبير الأستاذ حسن ابراهيم حسن. .
والأستاذ. . محمد عبدالواحد خلاف رئيس تحرير مجلة «الثقافة» التي احتجبت قبل ذلك
بسنوات. . والأستاذ «الشيخ كامل عجلان» وهو من رجال الجامع الازهر.

وكان من المؤمل. . كما وعدنا الأستاذ حبشى. . ترتيب زيارات الى عدد آخر من
الادباء والمفكرين. . سواء في البيت. . او في بيوتهم ومكاتبهم امثال الدكتور طه



■ مع الاستاذ حمد سعيد العريان وكيل وزارة المعارف العمومية بمصر سنة 1946م .

حسين . . وعباس محمود العقاد . . وتوفيق الحكيم . والذين عرفنا ان الاستاذ حسن تربطه بهم علاقات وثيقة . وكان من الممكن ان تتم مثل هذه الزيارات . . لو امتد بنا الوقت في القاهرة . ولكن حال دون ذلك . . تتابع الاحداث التى توالى على بيت البحرين . ومن الكتاب والادباء الاخرين لا أنسى الاستاذ المعروف والذائع الصيت . . سلامة موسى الذى شغفت وبعض طلاب البعثة بما كان يكتبه من مقالات فى الصحف . . او ينشره من كتب . . ومؤلفات تتسم كلها بالجرأة والحداثة . . مما عرض هذا الاستاذ الى الوقوع ضحية التنديد به وشن الحملات عليه . . لا لشيء الا انه مصري . وينتمى الى الطائفة القبطية التى تناصبها العداء بعض الاوساط فى مصر .

حتى اننى اذكر ان احد الكتاب «الوقحين» كتب مرة عن الاستاذ سلامة موسى . . بأن جل ما يكتبه وينشر له بالصحف المصرية هو من وجهة نظر ذلك الكاتب . . اراء هدامة . . وخطيرة . . وهى تمثل فى رأيه نوعا من انواع الادب الرخيص . . الذى يخدم غايات المستعمر واهداف الاجانب المقيمين فى مصر . وقد اطلق ذلك الكاتب على مقالات الاستاذ سلامة موسى : «الادب المراحىضى» .

واعترافا منى . . بما كان يدبجه الاستاذ موسى من مقالات وينشره فى مجلات . . وكتب . فقد عملت - جهدي - على اقتناء ما صدر له من كتب ومؤلفات . . احتفظ منها بما يلي :

- 1- مقدمة السوبر مان
- 2- اسرار النفس
- 3- هؤلاء علموني
- 4- عقلي وعقلك
- 5- ما هي النهضة
- 6- الشخصية الناجعة
- 7- كيف نسوس حياتنا بعد الخمسين
- 8- اشهر اللهجات
- 9- الانسان قمة التطور
- 10- حرية الفكر.. وابطالها في التاريخ
- 11- نشوء فكرة الله
- 12- مختارات.. سلامة موسى
- 13- مشاعل الطريق الى الشباب
- 14- الادب والحياة
- 15- انتصارات انسان
- 16- المرأة ليست لعبة الرجل
- 17- الادب الانجليزي الحديث
- 18- احاديث الى الشباب
- 19- الدنيا بعد 30 عاما.
- 20- حرية العقل في مصر
- 21- مصر اصل الحضارة
- 22- البلاغة العصرية واللغة العربية
- 23- احلام الفلاسفة
- 24- برناردشو
- 25- التنقيف الذاتي
- 26- فن الحياة.. والحب
- 27- الاشتراكية
- 28- الصحافة.. حرية ورسالة
- 29- غاندى.. الحركة الهندية
- 30- اليوم.. والغد
- 31- النهضة الاوروبية
- 32- الادب للشعب
- 33- هؤلاء علموني
- 34- في الحياة
- 35- نظرية التطور.. واصل الانسان
- 36- اشهر قصص الحب في التاريخ
- 37- جيوبنا.. وجيوبهم
- 38- العقل الباطن
- 39- محاولات سيكولوجية
- 40- تربية سلامة موسى
- 41- مختارات.. سلامة موسى
- 42- الجريمة .. والعقاب (مترجمة)
- دستوفسكى
- 43- مقالات ممنوعة
- 44- الادب والحياة
- 45- الحب في التاريخ

وقد اخبرني احد الاصدقاء ان سلامة موسى قد خلف وراءه اكثر من ٥٠ كتابا والمعروف انه لا زال يوجد عدد اخر من كتب المؤلف . . لم يسعدنى الحظ بالحصول عليها حتى اليوم . . لكن بهذه السلسلة من كتبه ومؤلفاته يكون استاذنا الكبير على رأس الكتاب . . والادباء . . في مكتبتى المتواضعة . . واحاول استكمال المتبقى من كتبه .

في هذا الشهر . . فان رمضان يختلف كثيرا عن سائر شهور السنة وكثيرة هي الذكريات المرتبطة بهذا الشهر . . وفي بلد مثل مصر . . فان رمضان يعنى الشيء الكثير . . وخصوصا في احياء مدينة القاهرة القديمة وفي ازقة وحوارى هذه الاحياء الشعبية . . مثل حي الازهر وسيدنا الحسين . . والسيدة وباب الشعرية وبولاق . . وغيرها .

لقد كنا سعداء الحظ ان يمر هذا الشهر ونحن نقيم بالقاهرة لنشهد احداثا ما كان متيسرا ان نشهدها عن قرب لولا مثل هذه الاقامة . ولكن اهم ما يميز هذا الشهر . . ولياليه بصورة خاصة . . هو صورة اولئك النفر من الاطفال . . بنين وبنات . . وهم يطوفون الطرق والشوارع يحملون فوانيس رمضان المزخرفة . . وهم يرددون : رمضان جانا . . واحوى واحوى . . في اصوات والحن ينخلع لها اللب . . اصوات جميلة تعبر عن فرحة الاطفال بقدوم هذا الشهر الفضيل الذى تفيض افراحه وبركاته على الجميع .

وكنا ونحن نشهد الاحتفال بهذا الشهر نطوف في بعض الليالي . . ببعض الاحياء . . ونتوغل الى داخل الازقة والطرق العتيقة المتفرعة منها . . نشاهد جموع الناس وقد احتشدوا بالقرب من دور العبادة . . الجوامع والمساجد حيث اقيمت السراقات الزاهية بالوانها ومفروشاتها . . لاداء شعائر الصوم . . وتلاوة الادعية والموشحات . . واى الذكر الحكيم . كما يتجمع الناس ويتحلقون في مجموعات بالمقاهى الشعبية المنتشرة في كل مكان . . ومن اشهر تلك المقاهي . . مقهى «الفشاوى» الواقعة قريبا من جامع سيدنا الحسين . ان اهم ما يميز هذا المقهى المشهور هو ان السواح من كل جنسية يقصدونه . . ويمضون فيه اوقات جميلة قد تمتد الى ساعات يحسبون فيه الشاي . . او المشروبات التى ينفرد به شهر رمضان ، مثل قمر الدين . . وما شابهه . ويبقى هذا المقهى . . وغيره من المقاهي الاخرى عامرة بروادها الى ما بعد السحور وساعات الفجر الاولى .

الى اليوم . . ما برحت تلك المشاهد الحية التى يقضيها الناس في ليالي رمضان . . ماثلة في ذهني . باعة المأكولات والحلويات بمختلف اشكالها والوانها . . وحلقات الدراويش . . ومشايخ الطرق الصوفية . . واتباعهم . . والخواة . . والمهرجين . .

والزمارين او الطبالين . . والعوام والمغنين والمنشدين . . واصنافا متعددة من البشر لا تقع تحت حصر. لقد كنا نقضى ساعات طويلة نتجول فيها بين حي الحسين وحي السيدة زينب . . نشاهد فيها هذه الصور. وكنا لا نعود الى البيت الا في ساعات متأخرة .

في ليلة من الليالي دعينا لحضور وجبة افطار رمضان في بيت السيد المدير . . واستقبلتنا عندما دخلنا شقيقته الانسة (امينة) ولاول مرة منذ وصولنا القاهرة . . نتذوق اصناف الطعام المصرى الاصيل . الى جانب ما تزخر به موائد رمضان الخاصة مثل قمر الدين . . والملوخية بالارانب . . واصنافا عديدة لا اذكرها كانت هذه السهرة في بيت العائلة لمجموعة محدودة من الطلاب اعقبتها سهرة مماثلة لمجموعة اخرى .

ويذكرني رمضان باشياء . . منها ان عددا معروفا من الطلاب . . دأبوا على عدم التقيد بالتقاليد . . والاعراف السائدة في هذا الشهر الكريم . . ولم يكن بعضهم يخفي انه لا يصوم الشهر . . رغم ان وجبة السحور كانت تقدم قبل موعدها المحدد عادة بساعتين . وكان بعض الطلبة قد دأب الى اللجوء الى طباخ البيت «العم محي الدين» لمساعدتهم في الحصول على ما يفضل من اطباق رمضان من الليلة الماضية . وكان بعضهم يذهب الى المطاعم العامة بشارع عماد الدين . . او شارع سلمان ويحصل على بغيته من طعام . . او شراب . . وقد كانت بعض تلك المطاعم تقدم خدماتها للسواح وللأجانب من غير المسلمين في كل وقت وعلى الاخص المطاعم التى يتردد عليها اليونانيون والارمن . . وغيرهم .

في احدى الليالي . . قمت بالترتيب مع مجموعة من الطلاب بجولة طويلة . . اخذتنا من البيت في الزمالك . . حتى موقع استراحة اهرام الجيزة . بعد ان قطعنا شوارع طويلة حتى وصلناها . وفي طريق العودة . . حططنا الرحال في احد المقاهى الشعبية الفقيرة وتناولنا بعض المرطبات . . ومنها اللبن الزبادي . . والكازوزة . ويظهر ان مكوثنا بالمقهى قد طال . . قد جعل صاحبه يسهى عن وجودنا فيه . . مما حملنا على مغادرة المقهى . . دون ان نقوم بتسديد قيمة ما شربناه . . وبقينا نتذكر هذه الحادثة مدة . . ولما كنا نشعر بالتعب من جراء تلك الجولة . . فقد فضلنا ان نعود بالترام بقية المسافة المتبقية لنا حتى نصل شارع فؤاد . . والطريق المؤدي الى بيتنا بالزمالك بعد ان امضينا اكثر من ٦ ساعات في هذه الجولة .

واشتملت زيارتنا وجولاتنا الرمضانية على التردد في بعض الليالي على حديقة الازبكية حيث يتيسر بعض الاحيان شراء الكتب الرخيصة . . التى لا تتعدى اسعارها ملاليم

وقروش الى اليوم فاننى احتفظ بمجموعة من هذه الكتب . كان يستحوذ على اهتمامي مجموعات المجلات والصحف القديمة . . او الكتب التراثية القديمة ومرة اذكر اننى اشتريت كتابا تراثيا وهى نسخة جيدة . . رغم انها مستعملة بمبلغ زهيد لا يتعدى جنيها ونصف ولكنى بعد سنوات مررت بنفس الدكان فى الازبكية . . وسألت عن نفس الكتاب وما اذا كان من الممكن الحصول عليه . . فاجابني البائع بانه سيحاول ان يعثر عليه لدى احد اصحابه من باعة الكتب القديمة ولكن المبلغ الذى يطلبه هو ١٥٠ جنيها . . ورغم ان هذا المبلغ يزيد اضعافا على المبلغ السابق . . الا انه باسعار هذه الايام يتعدى مبلغ متواضع . ولعل الكثيرين يدفعون فيه اكثر من هذا المبلغ لو قدر لهم الحصول على نسخة من هذا الكتاب القديم .

فى بعض الليالي . . كنا نذهب الى بيت الكويت الذى يقع قريبا من بيتنا . . وفى نفس شارع اسماعيل محمد . . حيث نحضر السهرات او الندوات التى يقيمها بمناسبة شهر رمضان . كانت هذه السهرات تشتمل على محاضرات لآحد مشايخ الدين . . وقراءة عطرة من أى الذكر الحكيم . . يعقبها تعليق من آحد الاساتذة الحاضرين . . وملاحظات بعض طلاب بعثة الكويت عليها . كان يدعى لهذه السهرات عددا من الأدباء والكتاب . وفى بعض الليالي تعرض الافلام الثقافية . . او المسلية . . وكنا فى بيت البحرين . . نفتقد فعاليات كثيرة تقام فى بيت الكويت . . لو قمنا بمقارنة الاحوال بينهما . ولكننا لم نكن نشكو او نتذمر من ذلك . . وذلك بسبب ضخامة عدد طلاب الكويت الذين يزيدون علينا بأربع مرات . . وربما لعوامل أخرى لا مجال الى التطرق اليها .

اما الشيء الوحيد الذى حز فى نفوسنا فهو فى الواقع عدم اغتنامنا فرصة انقضاء الشهر . . وحضور صلاة العيد وخطبته التى حلت صباح يوم جميل . نحن نصحو على مناداة المؤذنين من كل المساجد المحيطة بنا لحضور الصلاة . . ونشاهد مجموعات الناس يصطحبون معهم اطفالهم وهم يهرعون الى هذه المساجد ، لا ادري السبب فى عدم حضورنا ، وتفويت هذه الفرصة علينا لربما كان ذلك تقاعسا من السيد المدير . ولكن هذا ما حدث وبقينا . . ونحن قلة من الطلبة . . نادمين عليه مدة طويلة .

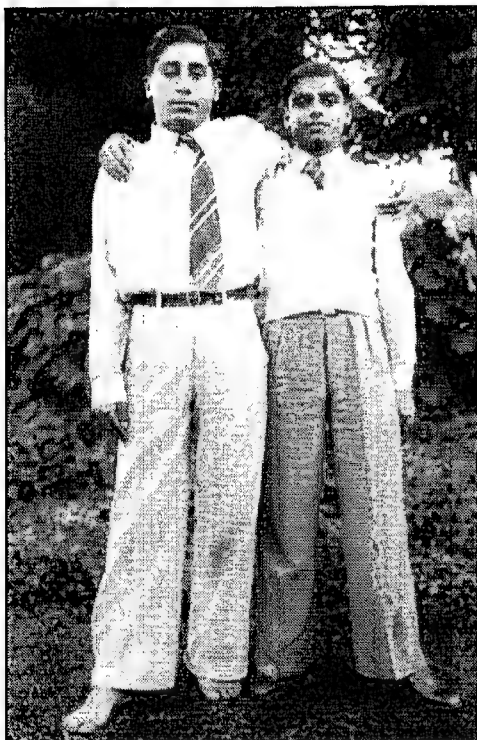
واغتنمنا فرصة اجازة العيد الطويلة التى استمرت اربعة او خمسة ايام متواصلة فقمنا بزيارات منتظمة الى الحدائق العامة بما فيها حديقة الحيوان بالجيزة . حيث شاهدنا جموعا غفيرة من الناس يهرعون اليها لقضاء اوقاتهم . . والاستمتاع بالاجازة فى احدى هذه

الحداثق . . واذكر انها كانت حديقة «الاورمان» امضيها اطول وقت . . كان معنا بعض طلاب مدرستنا من المصريين وقد احضر بعضهم بعض الفاكهة والاطعمة المطبوخة التي كان من بينها الفسيخ . . الذي يتكون من السمك المملح والبصل الاخضر . . والفلفل ، ، ورغم اننا في اول الامر لم نكن لنقبل على تناوله . . الا اننا بعد فترة من تجربته . . رأيناه من الذ ما يمكن . . فاقبلنا عليه اقبالا منقطع النظر . . وكنا نقوم بطلبه كلما تيسر ذلك .

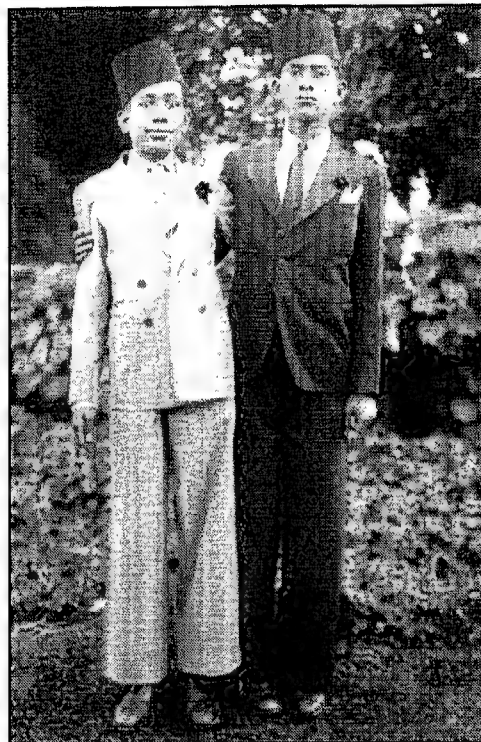
كما احضر طلابنا بعض السجاد معهم . . واخذنا لنا ركنا بعيدا في الحديقة . . حيث جلسنا نتسامر . . ونؤدي بعض الاغنيات التي نجيدها وسط اندهاش واستغراب زوار الحديقة الذين يمرون بالقرب من المكان الذي اخذناه .

وراحت جماعات من الشباب والاطفال يمضون الوقت في القيام ببعض الالعاب المسلية . . مما جعلنا نقدم على عرض بعض الالعاب المماثلة التي نعرفها في البحرين . . وقد اقبلوا عليها لما فيها من بعض الغرابة بالنسبة لهم .





■ مع عبدالرحمن الشيراوي في حدائق القناطر الخيرية.



■ القناطر الخيرية في 23 ذو الحجة سنة 1364 هـ.

وانتشر في ارجاء الحديقة باعة المشروبات .. والحلويات والمهرجين .. والحواة الذين يقومون بترقيص «القردة» المدربة التي احضروها معهم .. وتكون رائجة في مثل هذه المناسبات .

وبالنسبة لنا كان من اغرب ما شاهدناه خلال هذه الزيارة الصندوق الموسيقي .. الذى حمله احد الرجال .. واخذ يطوف به على مجموعات زوار الحديقة .. ويرغبهم في الاستماع الى شىء من الموسيقى التى يرغبون فيها . لقد كان مثل هذا الصندوق الموسيقي .. شيئا من التسلية الرائجة في اورويا منذ اواخر القرن الماضي .. وانتقل كما يظهر الى مصر مع مانتقل اليها من عادات .. لم تصل منطقتنا بعد في الخليج حتى تلك الوقت .

كان اظرف شىء ونحن نختتم زيارتنا للحديقة .. اننا قمنا بشراء «طرايطر» الورق الملون الذى كان يبيعه بعض الشباب هناك .. وارتيديناها على رؤوسنا ونحن في الطريق عائدين الى البيت .. ونحن جميعا في اسعد حال .. وانعم بال .

وفي مساء كل يوم خميس .. كنا نسمع صوت موسيقي الجيش العسكري .. واحيانا بعض الاغاني .. ونحن نقضى الوقت في سطوح البيت .. من مقر نادي الضباط بالزمالك .. الذى يقع تماما خلف بيتنا من الجهة الغربية . ونعيش دقائق في اشبه ما يكون بالاحلام . وقد بقيت اصداء هذه الموسيقى عامرة في اذهاننا .

_____ في المدرسة.. من جديد:

ما ان انتهت اجازة عيد الفطر .. حتى عدنا بعد ايام قلائل في مراجعة الدروس واستذكار المقررات استعدادا لمعركة امتحانات نهاية السنة .. التى لم يكن بيننا وبينها طويل وقت .. وحتى هذه الوصلة من الوقت كانت الدروس التى نتلقاها في المدرسة تسير سيرا طبيعيا .. لا يعكر مزاجنا معكر . والتعاون مع المدرسين والمسؤولين على احسن ما يرام . وكان السيد مدير البيت .. والمدرسون في المدرسة .. وكذلك رجال المعهد الثقافي البريطاني .. يشنون جميعا على ما نبذله من جهد للخروج بافضل النتائج التى تحقق آمالنا وآمال الأهل في البحرين .

ولم يكن احد من الطلاب يغادر البيت الى الخارج الا قليلا وبعد ان يستأذن السيد المدير في ذلك . وكان الوقت كله يقضى في مراجعة الدروس . . في غرف النوم احيانا . . وفي الحديقة . . و احيانا في السطوح . . سواء فرادي او جماعي .

في غضبون ذلك . . تصل الى بعض الطلاب رسائل من ذويهم او اصدقائهم في البحرين . . تتحدث عن احوال البعثة واخبار الطلاب . . والحياة في القاهرة . . وتنقل وتروى احاديث غريبة عجيبة . . وتروى حكايات وقصصا . . عن مزاعم واقاويل تتناول سمعة الطلاب ومكانتهم . . ولا تقف عند حد . ولكنها وهذا هو ما يثير الاستغراب تذكر حوادث معينة وقعت للبعض زاعمة انها وقعت فعلا بالبيت . وان بعض الطلاب ربما كانوا في غفلة عنها . . وسرعان ما انتشرت تلك الاشاعات بين صفوف الطلاب انتشار النار بين الهشيم . وراح كل طالب يفسر ما يقف عليه من اشاعات تفسيراً يخالف تفسير الطالب الاخر . بل ان بعضهم راح يزيّد ويزيّد من حجم ما سمعه ويضفى عليه من خياله ما يشاء . . استمر سيل هذه الرسائل يتدفق على بعض الطلاب . . بل ان احد الطلبة (. . .) كان يتلقى في اليوم رسالتين على الاقل . . حتى اخذ من جانبه تزويد بقية الطلاب بهذه الرسائل يأخذونها ويقرأونها كيفما يشاءون . الغريب ان بقية الطلاب لم تصلهم من امثال هذه الرسائل من البحرين شىء . رغم انهم كتبوا الى اهاليهم واصدقائهم يستفسرون عن مصدر هذه الرسائل . . وعن الاهداف التي تخفيها . ولكنهم لم يستلموا اي ردود في هذا الشأن . . مما عزز الرأى القائل بان وراء هذه الرسائل المغرضة اناس لا يرغبون ان يروا طلاب البعثة يسبّرون في الطريق الصحيح . وزاد في غرابة الامر . . ان سيل هذه الرسائل قد انقطع تماماً . فلم يعد يصل صاحبنا (. . .) شىء منها .

في هذا الجو المشحون بالمزاعم والاقاويل . . حل موعد الامتحانات ودخلناها . . واستمرت بضعة ايام . . لكن اتضح لنا بان بعض المناهج لم تكن مقررة علينا اذ لم ترد مطلقا في درسنه . وقد اجمع الطلاب على ذلك ورفعوا شكواهم الى ناظر المدرسة وبقية المدرسين وكان رد هؤلاء بان هذه الاسئلة لم يضعها احد من مدرسي مدرسة محمد علي . . بل هى مرسلة من وزارة المعارف العمومية . ولا مناص من قبولها . . والا تعرض المسئولون في المدرسة الى العقوبات التي هم في غنى عنها بالطبع . وقد تضامن معنا في هذه الشكوى بعض طلاب الفصل من زملاء المصريين . الذين يحتكون ببقية الطلاب امثالهم في المدارس الثانوية الاخرى . وينقلون لنا ما يدور فيها . . وعلى الاخص اخبار

الامتحانات .

بقينا في حيرة . والاقاويل تتردد على السنة طلاب المدرسة ولكننا رغم ذلك . . بذلنا جهودا في تأدية الامتحانات واجتياز عقباتها بكل ما اوتينا من عزم و ارادة . . بعد ما يقرب من اسبوع اعلنت النتائج . . وكم كانت مخيبة لآمال الكثيرين . ومن بين مجموعة طلاب البحرين الملتحقين بالمدرسة لم ينجح منهم الا ثلاثة طلاب فقط اما الباقيون وعددهم ١٣ فقد رسبوا جميعا في اكثر من مادة مما يعنى بديها ان على هؤلاء اعادة تقديم الامتحان في الملحق او قبل بداية الموسم الدراسي القادم . وان اجازة الصيف الطويلة كفيلة بالذاكرة . . واصلاح ما فات خلال السنة .

لم تكن هذه النتائج المؤسفة مقتصرة على طلاب البحرين فقط بل شملت جميع طلبة الفصل من الزملاء المصريين الذين لم ينجح من بينهم طالب واحد . مع ان عددهم في الفصل يزيد على ٣٠ طالبا . ورغم هذا الوضع الصعب الشديد الذي وجدنا انفسنا فيه فانه لم يراود احد منا ان تذهب جهوده عبثا . . او ان تكون مثل هذه النتيجة سببا للتعجيل بتصفية البعثة . . واعادة الطلاب الى البحرين . لم تدر هذه الافكار في ذهن اي منا . ذلك لانه من الطبيعي ان ينجح بعض الطلاب . . وان يرسل بعضهم . . يحدث ذلك في جميع المدارس وعلى مختلف مستوياتها . . وفي كل بلد وهذه قاعدة ثابتة في كل مكان وفي كل عصر . ثم هذا ما حدث — كما علمنا — بالنسبة لطلاب بعثة الكويت . . ايضا . . الذين كانوا مبتعثين في القاهرة قبلنا بستين . ولم نسمع ان حكومتهم فكرت يوما في اعادة طلاب البعثة الى البلد بحجة ان بعض الطلاب قد رسبوا في الامتحانات .

لقد كان يراودنا الامل ان نعيد ما خسرنا فيه في امتحان الاعادة التي تعقد عادة قبل بداية السنة الدراسية .

لقد كنا في حالة مريرة . ولكن الأمل ان نعيد الامتحانات في موعدها كان امامنا من غير شك . الا ان موقف المسئولين في المجلس الثقافي البريطاني قلب كل تطلعاتنا . وساروا في طريق لم نكن لنظن لحظة انهم سيسلكونه باتخاذهم قرارا ظالما اجحف بحقوق الطلاب واخزاهم .

راح بعض الطلاب يكتبون الى اولياء أمورهم . . واصدقائهم في البحرين يشرحون موقفهم مما ينوى المعهد البريطاني اتخاذه . وهو اعادة البعثة بكامل طلابها الى البحرين



■ صورة تذكارية تجمع طلاب بعثة البحرين للدراسة في القاهرة (1945 - 1946م) ويرى جالسا وسط الحاضرين سمو الشيخ محمد بن عيسى بن علي آل خليفة، والأستاذ عبدالعزيز حسين مدير بيت الكويت بمصر، وبعض الأصدقاء والأدباء المصريين.

عقاباً لهم على قضية الرسوب . وفي هذه الرسائل التي وصلت الالباء والمسئولين . . لم يرد منها شيء يمكن ان يعول عليه . ولم نعرف موقف حكومة البحرين رسمياً من هذه القضية . لذلك وازاء تفاقم الحالة . . وممرور الوقت . . طلبنا الاجتماع بالاستاذ حسن حبشى مدير ادارة البيت للاستفسار عن ما يشاع فى اوساط الطلاب . وقد صدمنا كثيراً بأن الاتصالات فيما يتعلق بمصير البعثة . . وبقائها فى مصر يتم مباشرة بين ادارة المعهد وحكومة البحرين . وان اى من هذين الطرفين لا يقومان باطلاع السيد المدير بما يتوصلان اليه من قرارات وخيارات .

طلب الاستاذ حسن منا عدم الاستماع الى ما كان يشاع من اكاذيب واقاويل . . وانه على عكس ما يقال فانه يقوم باتصالات مع ادارة المعهد البريطاني لترتيب تقديم دورة صيفية فى المعهد لاعطائنا دروس تقوية فى المواد التى رسبنا فيها بالاضافة الى دورة خاصة فى اللغة الانجليزية .

ووصلت الى بعض الطلاب رسائل من ذويهم يذكرون فيها انهم اتصلوا بالحكومة . . بيت المستشار . . ودائرة المعارف . وبعض المسئولين . . وان هؤلاء لا يعرفون شيئاً عن موضوع ارجاع البعثة الى البحرين . وكان بعض الرسائل تتحدث عن مثل هذه الاخبار . . غير الواضحة . . لدى بعض الطلاب . وفي مرحلة من المراحل تبين ان بعض الطلاب فى القاهرة . . اخذوا يكتبون الى من يعرفونهم من اصدقائهم فى البحرين رسائل كلها تهجم واقتراءات على بعض زملائهم الموجودين بالقاهرة . . الامر الذى نجم عنه سوء فهم لدى الطرفين . فقد تضمنت تلك الرسائل سلسلة طويلة من القصص التى اخترعها اولئك الطلاب . . لا لشيء الا بقصد الاضرار بسمعة زملائهم الآخرين من الطلاب ظناً منهم ان الحكومة ستعمل على ارجاع هؤلاء واعادتهم الى البحرين . وبالتالي اتخاذ قرار رسمي باعادة طلاب البعثة جميعهم . . هذا هو ما كان يأمله البعض - للأسف الشديد - من تبادل تلك الرسائل الضارة التى فعلت فعلها فى نفس كل طالب . . او مسئول فى البحرين .

وتمر الايام ويتوالى ردود الرسائل من البحرين الى بعض الطلاب وكلها تحمل قصصاً جديدة عن موضوع اعادة البعثة . كان بعض الطلاب لا يتيح لبقية زملائه الاطلاع على ما يصله من رسائل حتى يمكن التيقن من الوقوف على حقائق الأمور . بعض الطلاب كان يعتبر هذه الرسائل خاصة به ولا يجوز ان يطلع عليها احد غيره . وقد حمل هذا الموقف المريب من بعض الطلاب على قيام البعض منهم بتصرفات خالية من المسؤولية .

وعدم المبالاة. الامر الذى زاد فى تحميل ادارة المعهد بعض طلاب البعثة هذه التصرفات والصاق التهم بهم . . دون ان يكون بعض هؤلاء الطلاب قد قاموا انفسهم بها.

وصلتني رسالة من صديق عزيز من البحرين يقول فيها انه علم من احد معارفه ان حكومة البحرين قد قررت رسميا اعادة طلاب البعثة الى البحرين . . ويرى تجنب اثاره بعض الاخبار التى يتناقلها اهالى الطلاب فى البحرين . . مفضلا ارجاء الادلاء بمثل هذه الاقاويل الى ما بعد عودتنا الى البحرين. واطلعتني فى هذا الصديق على فحوى الرسالة الرسمية التى وجهتها حكومة البحرين الى كل اولياء امور الطلاب بشأن اعادة البعثة وانقل فيما يلى ما جاء فيها بالنص الحرفي

ادارة مستشار حكومة البحرين

رقم E 2 - 1365/1370

12 شعبان 1365هـ ، 11 يوليو 1946م

حضرة الفاضل الكريم الحاج
المحترم

بعد التحية:

نفيدكم ان الحكومة بعد الامعان الدقيق وجدت ان ارسال التلاميذ الى مصر للتعليم العالى لم يسفر على العموم عن نجاح مرضى. فلهذا تقرر سحبهم من مصر واعادتهم الى البحرين. وستخبركم الحكومة عن موعد رجوعهم.

هذا ما لزم.. ودمتم

(توقيع)

س. دريميل بيلجريف

مستشار حكومة البحرين

ومن هذه الرسالة.. لم يبق اي شك امام الجميع عما تنوى الحكومة عمله . واصبحنا نواجه الواقع . عدم النجاح المرضى هو سبب اعادة الطلاب.. ولا شىء غير ذلك . وقد يكون هناك اسباب اخرى غير «النجاح» يكمن وراء اعادة الطلاب . ولكن ليس الغاء البعثة كما هو الأمر . فالنجاح يمكن التغلب عليه وذلك بتأدية امتحان الملحق فقد يسفر ذلك عن نتيجة مرضية.. وليس هناك الا الانتظار شهرين اثنين فقط . وحالنا هذا لا يختلف كثيرا عن حال طلاب الكويت . والا فما الذى يفسر لنا بقاء بعثة طلاب الكويت.. واستمرار الحياة المعتادة في بيت الكويت.. لا ان ذلك لم يكن الشىء الوحيد فقد استمرت البعثة لعدة سنوات.. رغم نتائج النجاح.. والرسوب . اذن وهذا هو الواقع لابد وان يكون وراء اعادة طلاب البحرين دوافع اخرى وهذا ما اوضحته الايام فيما بعد .

لقد كان من الواضح ان يبقى الطلاب الذين نجحوا بنتائج مشرفة.. ولو ان عددهم ثلاثة فقط.. والى جانبهم طلاب اخرون كانوا يعيشون معنا في البيت وملتحقين بمدارس اخرى . وكان ينبغي الانتظار حتى امتحان الملحق.. ليتبين كم عدد الناجحين من الراسيين وغير ذلك هو يمكن التفكير في اعادة الطلاب او عدم اعادتهم . ولكن هذا ما حدث وهو يثبت بلا شك سوء نية الحكومة من قضية الدراسة العليا في مصر.. كما ورد في ارسال الطلاب الى القاهرة قبل سنة .

بعد ايام من وصول الرسالة المذكورة.. سمعنا ان الحكومة تفكر في ارسال الطلاب الثلاثة الذين نجحوا من بيننا الى بيروت لاستكمال دراستهم الثانوية في معاهدها.. ان لم يكن في الجامعة الامريكية . وهذا ما تحقق لاثنتين من الثلاثة.. اما الطالب الثالث فلم يشأ قبول هذا «العطف» الحكومي.. وفضل ان يعود على حسابه الى المملكة العربية السعودية.. بينما عاد الاثنان الاخران.. وهما حسين جعفر المنديل.. وابراهيم يعقوب السعد الى بيروت وواصلوا دراستهما هناك بضع سنوات حتى انهيها المرحلة الثانوية والتحقا بعد ذلك بكليات الجامعة . كان الطالب الثالث هو جاسم الفائز الذى انقطعت اخباره عنا منذ سفره الى السعودية . وتبع هؤلاء بعض الطلاب الذين ظروف اولياء امورهم المادية تمكنهم من السفر والتحق بعضهم هناك لفترات قصيرة.. ثم ما لبثوا ان عادوا الى البحرين دون ان يكملوا الدراسة المقررة .

هذا هو ما حدث بالفعل.. فقد استغل موضوع «النجاح المرضى» واغلق بيت البحرين.. وشنت اعداد الطلبة.. خشية ان يتحول بيت البحرين بالقاهرة.. الى



■ بيت البحرين بالقاهرة سنة 1946 م.

مركز من مراكز العلم او مركز من مراكز المعارضة وكلا الامرين لا يرضى خاطر سعادة مستشار حكومة البحرين بطبيعة الحال . وربما لا يرضى اولئك نفر الذين وقفوا يناصرونه في اتخاذ هذه الخطوة . اذ اننا لم نسمع عندما عدنا الى البحرين صوتا واحدا يعارض سعادة المستشار في الخطوة التي اتخذها .

_____ بيت البحرين.. في أيامه الأخيرة

تأزمت الحالة في البيت كثيرا . وفقد الطلاب اي أمل لهم في البقاء في القاهرة . وراح الجميع ينتظر وصول تعليمات المعهد البريطاني بالاستعداد للعودة الى البحرين .

وخلال ذلك بدى ان السيد مدير البيت قد خفف من قبضته وادارته لشئون البيت . او تطبيق النظام الداخلي الذي اعتدنا عليه طيلة الشهور الماضية . وما عاد احد من الطلاب يهتم في الحضور او الانصراف من البيت كالسابق . او يحرص على تناول وجبات الطعام . . في مواعيدها او غير مواعيدها . وبدأ الطلبة يغيبون ساعات طويلة خارج البيت . واصبحت الامور معكوسة في كل شيء . وكان بعض الطلاب لا يخفي رغبته في تفويت الايام على مثل هذه الصورة . . تعويضا عن الايام التي انتهت . . وقد انهمك جميعهم في شراء ما يتمكنون من شرائه من هدايا .

وفي اوائل شهر يوليو 1946 غادر اول فوج من الطلاب متوجهين الى بيروت ثم بعد أيام تبعهم فوج اخر يتكون من 12 طالبا عائدين الى البحرين عن طريق بيروت . واصبح وضع بيت البحرين كثيبا . والوضع داخله لا يطاق .

ذات ليلة . . كان بعض الطلاب عائدين الى البيت من سهرة امضوها في احدى دور السينما . . وفاجأهم السيد المدير وهم يدخلون بأن عليهم ان يستعدوا للسفر صباح غد . . وقد حاول هؤلاء ان يحتجوا . . ويرموا تذاكر السفر . . ولكن نظرات المدير قد اسقطت كل حجة عندهم . وراحوا الى اسرتهم وخزانات ملابسهم يرتبون ما يستطيعون ترتيبه من اغراضهم داخل شنتهم . . ولم يناموا تلك الليلة . . وسهرنا معهم نواسيهم في مصيبتهم حتى الصباح .

في الصباح . . والساعة لم تنزل بعد الساعة . . بكى بعضهم بكاء يقطع القلب . ولكن ماذا بإمكاننا ان نفعل لهم . فقد اصررنا ان نصحبهم الى المطار . وهناك عندما حانت ساعة الفراق انخرط الجميع في البكاء والنحيب . ولكن ما الفائدة . وهل يجدي البكاء شيئا . عدنا بعد ان ودعناهم ونحن لا ندري متى يحين الدور علينا . عندما عدنا الى البيت . ابلغنا المدير بان علينا ان نستعد لمغادرة البيت في خلال يومين او ثلاثة - على الاكثر - والاقامة في مكان اخر لم يحدد بعد . . ولعله قد يكون احد الفنادق او الشقق المفروشة القريبة من البيت .

بعد سفر هذه المجموعة من الطلاب بقى في البيت سبعة او ثمانية من الطلاب . . كنت احدهم . وقد رحنا نتشاور في الحالة التي وصلنا اليها . . فأقترح احدنا ان تنتقل الى بيت الكويت . . بدلا من السكن في فندق او شقة مؤقتة . . وابلغنا السيد مدير البيت بهذا الاقتراح . . الذي نقله بدوره الى ادارة المعهد البريطاني . والغريب انه ما حان مساء ذلك اليوم حتى جاء الاستاذ حبشي وابلغنا وهو متهلل الوجه بموافقة المعهد على هذا الاقتراح ويطلب منا الاستعداد للانتقال الى بيت الكويت . . وذلك لبضعة ايام . . ريثما يعد المسئولون تذاكر السفر الخاصة بنا الى البحرين . لكن بعد يومين طلب من اثنين من الطلاب الاستعداد للسفر . وبقي مجموعة الطلاب الاخيرة خمسة طلاب هم . . عبدالرحيم علي . . وعلي المسقطي . . وعلي سيار وخليفة احمد المجرن . وكنت خامسهم .

كنا بعد سفر آخر طالين نتوقع ان تصلنا تذاكر السفر في اي ساعة . . ولكن الله كان بنا . . رؤوفا فقد مضت بضعة ايام ونحن نرفل في ضيافة الاشقاء من طلبة الكويت . وتوثقت عرى الزمالة والصدقة مع بعضهم . وبالنسبة لي نشأت صداقة قوية مع طالب كلية الحقوق السيد عبدالعزيز عبدالله الصرعاوي الطالب بالسنة الثانية او الثالثة . كما تعرفنا كثيرا على السيد مدير ادارة البيت الاستاذ عبدالعزيز حسين الذي سبق وكان يزورنا في بيت البحرين بين حين واخر . شئ اخر لم يكن في بالنا ابدا . فقد اقترح احد الطلاب ان نتقدم الى ادارة المعهد البريطاني بطلب سلفة نقدية بعد ان نفدت النقود القليلة التي كانت بحوزتنا . . وذلك للمساعدة في شراء بعض الملابس التي كنا في اشد الحاجة لها . ولشراء بعض الهدايا الصغيرة .

وبالفعل وعلى غير ما نتوقع فقد استجاب المعهد لطلبنا واعطونا بضعة جنيهات . . لا اتذكر مبلغها . وقد ذهبنا جميعا في وقت واحد الى محلات «اورزدي بك» او «عمر افندي» المعروفة بشارع عبدالعزيز . واشترينا بعض الملابس والهدايا كما رغبتنا وقدمنا



■ بيت البحرين بالزمالك سنة 1946 م .

فواتيرها الى مندوب المعهد الذى صحبنا في هذه الجولة . وقد اخبرنا هذا المندوب بان علينا تسديد المبلغ بالكامل عندما نصل الى البحرين . وما كان منا الا الموافقة والقبول . وهل لنا ان نفعل غير ذلك . والذى لازلت اتذكره من هذه القصة هو اننا عندما التقينا بالاستاذ احمد العمران . نائب مدير المعارف عندما التقيناه في مكتبه سألناه عن موضوع هذه السلفة النقدية . ولكنه ابلغنا بان لا نهتم لذلك كثيرا . ولو كنا ندرى ان حكومة البحرين لن تطالبنا بتسديد تلك المبالغ واسترجاعها لكنا طلبنا مبلغا اكبر . واشترينا حاجات اكثر .

كان اكثر ما يشغلنا خلال هذه الفترة الحاسمة هو وصول الرسائل . فقد كنا نتلهف على وصول رسالة تصل احدا . وكنا نتردد على بيت البحرين لعل بعض الرسائل تكون قد وصلت خلال مغادرتنا . ومرت بنا ساعات شعرنا فيها باننا مثل التائهين . وبمعاونة الاخوة الكويتيين وضعنا برنامجا قصيرا للزيارات الى بعض الاماكن التى لم يتسن لنا مشاهدتها من قبل . وقد كنت اتردد كثيرا على مصلحة البريد بميدان العتبة . . واشترى ما يتيسر من الطوابع المصرية . . التى بدأت هوايتها معى منذ ذلك الوقت .

كان الواحد منا يذهب في مشاوير لوحده . . ويعود لوحده . ولم يكن السيد مدير ادارة بيت الكويت يبدى اي اعتراض .

ذات يوم . . وصلت احدنا رسالة من اهله من البحرين داخل ظرف . . « مصوقر » كما يقول ساعي البريد او مضمون او « مسجل » كما نعرفه نحن . وبداخل الظرف مبلغ من المال يزيد على المبلغ الذى كان صاحبنا يأمل ان يحصل عليه . . وقررنا ان نحفل بهذه المناسبة التى يندر ان تتكرر . وكان الاقتراح ان يقضى ثلاثة منا بمن فيهم الزميل اي سهرة . . فى اي مكان . واستقر الرأى ان يكون المكان معروفا درءا لاي شبهة قد تنقل عنا للمسؤولين . واخترنا « الامريكين » الذى يقع على ناصية شارعى فؤاد وعماد الدين . وذلك لاحتواء المكان الاول على اصناف متعددة من الايسكريم والبسكويت والحلاوة اكثر من الثاني ولم نكتف بهذا المكان . . بل اننا غادرناه بعد قليل الى احد المطاعم الكبيرة الواقعة بشارع سليمان . . قريبا من سينما « مترو » وتناولنا وجبة دسمة .

مر أسبوعان ونحن لا نزال فى القاهرة . وكنا خلال المدة نتردد على بيتنا لمشاهدة ما يستجد فيه من امور . ومرة شاهدنا العجوز المسز « جوبلز » تحضر بعض السياسة . . وتطوف بهم فى انحاء البيت . . وكأنها مالكته او ساكنته . . وهذا ما أثار استغرابنا . اما الاستاذ حسن حبشى . . المدير فلم يكن يتواجد فى مكتبه فى البيت . . الا نادرا . وفى احد الايام حضر احد السياسة واشترى كافة لوازم غرفة المطبخ وطاولات الطعام .

كنا نشاهد هذه التطورات . . ونحسد بقية الطلاب الذين غادروا القاهرة قبلنا ولم يشاهدوا مثل هذه « المناظر » المضحكة المبكية .

كان اخر شيء دار فى اذهاننا ونحن نعد العدة لمغادرة القاهرة هو تقدمنا بالتماس الى الاستاذ السيد المدير هو الاذن لنا بالسفر لمدة يومين او ثلاثة برفقة احد المسؤولين من رجال المعهد الى مدينة « الاسكندرية » ثاني مدينة كبيرة فى مصر . وذلك على اساس انه لا يجوز . . ولا يجوز ان لا نزورها بعد ان قضينا فى مصر هذه المدة التى تصرمت . ولكن هذا الالتماس تبخر كما تبخر غيره من الالتماسات والاقتراحات .

غادرنا مصر . . دون ان تتاح لنا زيارة الاسكندرية . وكان رد السيد المدير فى عدم تحقيق هذا الاقتراح . . هو احتمال وصول تذاكر السفر الى البحرين فى اي وقت . . وحين سألنا عن الطريق الذى سيتوجب علينا ان نسلكه وهل هو نفس الطريق الذى بدأناه اول وصولنا . . رد بانه لا يعرف عن ذلك شيئا . وان علينا الانتظار . . وعدم

استعجال الأمور. فنحن أسعد حظا من غيرها من الطلاب الذين سبقونا في العودة الى البحرين.

و ذات يوم.. حضر الاستاذ حسن ومعه مندوب من ادارة المعهد البريطاني.. وطلبا منا ان نعد في شنطة (متوسطة الحجم) ما يمكن ان يعتبر من «العفش» الزائد تمهيدا لارسالة بطريق الشحن البحري.. وكانت هذه فرصة ذهبية امامنا للتخلص فعلا من بعض الاغراض.. وعلى الاخص مجموعات الكتب المدرسية والكتب التي اشتريناها طيلة السنة. وبالفعل فقد كانت مجموعات الكتب.. الخ تزيد في الوزن كثيرا.. وكان موضوع التصرف فيها يشغل البال.. وقد اسفّت كثيرا الى اننى قبل ذلك قد تخلصت من كثير من الصحف.. والمجلات القديمة التي ارهقت نفسي كثيرا في الحصول عليها. ولكن ما الحيلة. وقد انتهى كل شى.

اننى لازلت اتذكر تلك المجلات.. واعداد مجلة «الاثنين» بصورة خاصة وبعض الكتب القديمة.. وقصص الجنس الصغيرة.. التى وان كانت خفيفة في وزنها.. الا انها كثيرة العدد.. وزهيدة الثمن.

———— أيام.. في بيت الكويت

كانت فترة الايام التى امضيها في رحاب بيت الكويت نسيية نوعا ما عن الايام التى كنا نقدر من قبل ان نمضيها فيه. فمنذ الوهلة الاولى لانتقالنا.. استقبلنا السيد مدير البيت وبقية طلاب البعثة.. صغارهم وكبارهم.. احسن استقبال. وقد رجبوا بنا كثيرا. وخلال ساعات قليلة استطاعوا ان يخصصوا لنا غرفتين في مبنى البيت. احتل الغرفة الاولى طالبان.. هما على راشد.. وعبدالرحيم علي.. اما الغرفة الثانية فقد كانت اكبر مساحة وتطل على الحديقة الشمالية من البيت فكانت من نصيبي ونصيب الزميلين علي عبدالله سيار وخليفة احمد.. ثم انضم الينا ايضا الزميل عبدالله الشكر. وحين استقر بنا المقام في هذه الغرف استدعى السيد مدير البيت.. احد المشرفين الذى ساعدنا كثيرا في ترتيب امور السكن.

كان نمط الحياة في البيت لا يختلف كثيرا عما كان يجري من قبل في بيتنا مع اختلاف بسيط يتمثل في بعض الانظمة . . وتناول وجبات الطعام . وكانت اعداد الطلبة الكويتيين تتناقص كل يوم . . لسفر بعضهم الى الكويت لقضاء الاجازة الصيفية . وكان هؤلاء الطلاب في مختلف مراحل الدراسة . كان من بينهم من هو في الابتدائي وفي الثانوي . . وفي الدراسة الجامعية . والاغرب من كل ذلك انه كان من بينهم من يرتدي ملابس الكويت الشعبية . لا فرق بين هذا وذاك . ولذلك كانت تجربة بقائنا في بيت الكويت تلك المدة القصيرة تجربة مفيدة لنا من نواح كثيرة . استفدنا منها في كثير من جوانب حياتنا .

كان البيت اقرب الى الطراز الشرقي . . فقد لاحظنا ان بعض جدرانه والصالة الكبيرة فيه تغطيها في بعض جوانبها النقوش الشرقية وبعض آيات القرآن الكريم . . كما علمنا ان هذا البيت قد افتتح في القاهرة منذ اكثر من ستين . . وانه يضم غرفا وصالات كثيرة وهو يتسع لما يصل الى مائة طالب واكثر . وفي الايام الاولى لانتقالنا بدأ بعض الطلاب يحيطون بنا ويسألوننا عن انماط الحياة في البحرين وانهم كثيرا ما تمنوا السفر اليها من خلال المراكب والسفن الشراعية التي تمخر البحر في الخليج . وكان بعضهم يقارن بين الاحوال السائدة في كل من الكويت . . والبحرين . وكان بعضهم لا يرى اى فارق بين البلدين في كثير من نواحي الحياة . . بل هي واحدة فيهما .



.. كان أغرب شيء لقيناه من مسئولى البيت.. وبعض الطلبة هو رفض العودة الى البحرين.. وذلك بتقديم طلب الى ادارة المعهد بتفضيل البقاء في مصر.. وقد تعهد لنا الاشقاء بتدبير الانفاق والصرف من ميزانية بيت الكويت.. وكان من الصعوبة بمكان الاقدام على مثل هذه الخطوة ولم يرد في أذهاننا ان نقدم على مثل هذه الخطوة.. ولكن ذلك كان شعور الاخوة في بيت الكويت.. وبالطبع شكرنا لهم هذه العواطف والمشاعر الكريمة التى املت عليهم هذا الاقتراح...

كان يدير البيت كويتي فاضل هو الاستاذ عبدالعزيز حسين.. الذى اصبح وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء بدولة الكويت بعد نيلها الاستقلال يعاونه مشرفان مصريان.. وقد التقيت بالاستاذ عبدالعزيز في احدى زيارته للبحرين في السبعينات بمناسبة الاحتفال بالعيد الوطني لدولة الكويت وذكرته بتلك الأيام التى أمضيها في بيت الكويت بالقاهرة خلال ادارته.. ولكن الاستاذ حسين بدا لي انه لا يتذكر شيئاً من تلك الايام الماضية.. اقيم هذا الاحتفال في احدى قاعات فندق «دلون» بالمنامة.. اما الاستاذ عبدالعزيز الصرعاوي فقد زرتة مرة في الكويت.. عندما كان يتولى وزارة البريد والبرق والهاتف وامضيت في صحبته يومين كانت حافلة بالزيارات والمناسبات.. كما ان السيد الصرعاوي زار البحرين في اوائل السبعينات والتقى بالعديد من اصدقائه ومعارفه.. وكان موضع حفاوة الجميع.

وبقيت العلاقة الوثيقة قائمة مع السيد الصرعاوي.. حتى اليوم. وكان آخر عمل رسمي تولاه السيد الصرعاوي كما اذكر هو منصب سفير دولة الكويت بالمملكة المغربية. وما فتىء منذ ذلك الوقت يتولى رئاسة جمعية الاجتماعيين بالكويت.. وهي من انشط الجمعيات على الصعيد الاجتماعى بالكويت.

كنا نتمنى لو طالت بنا الأيام مع الاخوة الكويتيين ولكن لابد لكل شىء من نهاية. وفي آخر يوم لنا بالقاهرة.. حضر الى المطار معنا بعض الاخوة.. ومنهم السيد الصرعاوي وقاموا بتوديعنا.. وكانت هذه المكرمة منهم ما أنسانا قسوة الفراق.. ومغادرة الاراضي الجميلة.. والمرايح التى لا تنسى. وكان سفرنا قد تقرر وإعطينا مهلة يوم واحد فقط لاعداد اغراضنا وتجهيزها. وكما حضرنا الى القاهرة.. عن طريق المطار البحرى فى روض الفرج.. فقد غادرنا بنفس الطريقة. وهذا ما كنا نخشاه. ولكن ما في اليد من حيلة. ولا ندرى هل كانت هذه الرحلة المكررة نكاية بنا.

على اية حال. لقد سلكت الطائرة نفس الطريق السابق. مع فارق بسيط هو اننا واصلنا السفر من مطار شط العرب مباشرة الى البحرين.. دون ان نضطر للبقاء فى الفندق كما حدث لنا فى وقت سفرنا من البحرين. وكانت المحطة الاخيرة هذه المرة.. مطار الجفير فى البحرين حيث توجد القاعدة البحرية البريطانية.. وهناك على رصيف ميناء القاعدة.. استقبلنا عدد من الأهل والاصدقاء.. وأوصلونا الى بيوتنا فى موكب اشبه ما يكون بموكب الزفة.. وفى اكثر من سيارة.

وفى البيت.. التقيت بالأهل وكان عدد من الاصدقاء يقومون بزيارتنا بين وقت واخر.. ولقد سعدنا بلقاء الجميع.. والاجتماع بهم او الاستماع الى الموضوعات والقضايا التى يثيرونها. وكان اكثر ما نعانیه هو الحياة الصعبة من الناحية المادية التى تمر بها العائلة.. ومعظم العائلات فى المنطقة.. والتفكير فى تحسين الاوضاع.

_____ ودخلت فى وضع جديد.

ومضت بضعة ايام.. كنا فيها نتشاور مع الأهل.. والاصدقاء فيما يتوجب علينا القيام به. وكان الشىء الواضح امامنا هو العمل. العمل فى اي مكان.. كسبا

لاحتياجاتنا المعيشية المقبلة . . وكانت هذه تجرى سريعا . . او اننا في الواقع لم نكن لنحسب حسابها . وكان السؤال الذي ما برح يؤرقنا . . ماذا نفعل . . كان بعض الزملاء يقترح استئناف الدراسة ومواصلتها بالسفر الى بيروت . . لانها البلد الذي بدأ يستقطب اهتمام الجميع . . ولكن كان يقف حائلا دون تحقيق ذلك المصروفات الباهظة التي تتكلفتها الدراسة . . وكان البعض يرى ان تدبير مثل هذه المصروفات يمكن ان تأتى عن طريق المساعدة والتبرعات . . من جهة او جهات . لكن كيف يمكن ان يتحقق مثل ذلك . . دون ان يجد من يعمل له بكل جد واخلاص . . ومتابعة . فكرنا في استيضاح موقف الحكومة من موضوع مواصلة الدراسة في بيروت . . او غيرها . . وكان الرد المباشر هو ان لا تنتظروا شيئا من الحكومة . كان بعض من اجتمعنا بهم لا يخفون شياتهم للمصير الذي وصلت اليه احوال الطلبة . . بل ان بعضهم كان يوجه الينا عبارات لا تخلو من الغمز واللمز بأنه بتلك النتائج التي اسفرت عنها تجربة الدراسة في القاهرة . . فاننا نستحق هذا المصير . وكلما دار موضوع الدراسة . . والسفر كان البعض يتهرب ولا يود ان يستمر هذا الحديث . الغريب ان يقف بعض اولئك النفر هذا الموقف الغريب . . وبدلا ان يزجوا لنا النصح والارشاد . . وياخذوا بأيدينا للسير في الطريق الصحيح فان بعضهم يتلبسه الغرور ويركبه الكبرياء . . ويهز كتفيه غير مبال لما نوجهه اليه من استفسارات واسئلة . الى درجة ان بعضا من هؤلاء بدأ يتعد عنا . . ويتحاشى الاجتماع كلما صادف وضمنا مجلس واحد .

موقف الصحافة المصرية:

قبل مغادرتنا القاهرة بأيام . . نشرت بعض الصحف المصرية الصادرة في تلك الفترة اخبارا قصيرة عن بعثة طلاب البحرين . . تضامنا مع مصير الطلاب . . وتعبيرا عن الشعور المشترك بينهم .

فكتبت مجلة «الاثنين والدنيا» الاسبوعية في عددها الصادر يوم الاحد 22 سبتمبر 1946 ما يلي :

ألغت الحكومة البريطانية «بيت البحرين» بالقاهرة . وكان يضم من ابناء هذه الجزيرة نحو 30 طالبا .

ونشرت جريدة «البلاغ» الناطقة بلسان حزب الوفد في عددها الصادر يوم الاثنين 23 سبتمبر 1946 مقالا تحت عنوان «تبقيير لا تنوير» جاء فيه ما يلي:

لقد أصدر الانجليز بالامس قرارا بإلغاء بعثة البحرين في مصر. بعد ان اقام طلابها في معاهدنا سنة واحدة. وكانت حجتهم في ذلك ان هؤلاء الطلاب قد نالوا كفايتهم من العلم.

وربما نشرت اخرى غير ذلك. . ولكن هذا ما تسنى لي ان اطلع عليه. وقد احضرت معي الاعداد التي نشرت هذين الخبرين. . ولكن - للأسف - فقد ضاعت المجلات التي نشرت هذين الخبرين. . كما ضاعت غيرها من المجلات والصحف.

_____ اتصالات.. ومشاورات:

جاء من يجبرنا ان نتوجه الى دار الحكومة (بيت المستشار) لمقابلة المسؤولين بغرض ترتيب التحاقنا بالخدمة في الحكومة. وكنا اربعة او خمسة من افراد البعثة. . اتذكر منهم الزملاء الاخوان على راشد المسقطي. . وخليل ابراهيم المطوع. . وخليفة احمد المقرن.

توجهنا الى دار الحكومة. . وقابلنا السيد سعيد عبدالنبي الزيرة الذى يقوم بأعمال «رئيس كتاب» المستشارية وابلغنا ان حكومة البحرين تنوى استحداث قوة جديدة ضمن دائرة الشرطة. . والحاجة الى إلحاق عدد من الشباب المتعلم الواعى كمتدربين فى سلك الشرطة والأمن العام. وتعيينهم بعد انتهاء فترة التدريب. . فى مراكز متعددة بصفة «صف ضباط» او ما يعرف بالانجليزية (POLICE CADETS).

تساءلنا عن امكانية عودتنا لمواصلة الدراسة. . سواء فى البحرين. . او فى الخارج. . وطلب المساعدة الحكومية لنا فى هذا الشأن. . لاسيما واننا جميعا لم نكمل المرحلة الثانوية. ورأى المسئولون اصرارا فى هذا الطلب. كما طلبنا معرفة الاسباب الحقيقية التى حملت الحكومة على ارجاع البعثة. . دون اتاحة الفرصة امام الطلاب لتأدية امتحانات النقل المعروفة. وفى خلال ما كان يدور بيننا وبين بعض موظفى المكتب. . حضر السيد «نارايين» الذى يشغل وظيفة معاون المستشار وسكرتيره الخاص وهو هندي انيق

المظهر يتكلم بلكنة ولهجة عربية مكسرة وابلغنا بأنه ليس من حقنا اشارة مثل هذه الاسئلة الآن . وان الحكومة لا تتعهد بشيء من المساعدة لو رغبتنا في مواصلة الدراسة . . ولكنها لا تمنعنا من ذلك شرط ان يكون على حسابنا الخاص . وفي اي بلد نرغب في الذهاب اليه . وقبل ختام المقابلة ذكر السيد «نارين» انه سيطلع المستشار على كل ما قلناه . . وانه سيرسل في طلبنا مرة اخرى للحضور الى مكتبه . . وابلغنا بقرار الحكومة النهائي في طلبنا .

بعد يومين او ثلاثة . . اتصل السيد سعيد الزيرة بنا وطلب ان نتوجه الى «مركز شرطة المنامة» لمقابلة آمر المركز «الضابط عبدالكريم الحاج سلمان بن جاسم المنصور» والذي يقع في الميدان الكبير امام مبنى دائرة الجمارك بفرضة المنامة .

قابلنا الضابط المذكور وبعد استراحة قصيرة في مكتبه بالمركز اخبرنا بأنه سينقلنا الى قلعة الشرطة لمقابلة الرئيس (الشيخ خليفة بن محمد بن عيسى آل خليفة) وقد استقبلنا في مكتبه الواسع الكبير الواقع في احد اركان القلعة الذي كان عبارة عن برج مبني على الطراز القديم مستدير الشكل به نافذتان صغيرتان من جهته الغربية ويطل على ساحة واسعة الارحاء من الناحيتين الشمالية والغربية . وفي المكتب ارائك وثيرة . . وكثير من صور الحائط التاريخية والخرائط التفصيلية والنشرات .

طلب منا الشيخ خليفة ان نقدم له شرحا موجزا عن الدراسة التي تلقيناها في القاهرة . والمراحل التي قطعناها وحل بعض المسائل الحسابية والرياضيات . . وبعض ما نعرفه من جمل مفيدة باللغة الانجليزية في عبارات يجري التعامل بها في الحياة المعتادة بين الناس . . وقال سيتركنا لوحدها في المكتب لبعض الوقت . . ثم يعود الينا بعد اقل من ساعة بعد ان نكون قد سجلنا الاجابة على ما طرحه علينا من اسئلة . والواقع ان تلك الاسئلة التي وجهها رئيس الشرطة لم تكن بالهينة السهلة . . ولكننا قدمنا ما اسعفتنا به الذاكرة منها . وقام الشيخ خليفة بتوديعنا ونحن نغادر مكتبه ، واضاف قائلا بأنه سيرفع نتيجة هذا «الاختبار» الى مكتب سعادة المستشار وهو الذي سيقدر قبولنا للعمل او خلافه . . والبت فيما يراه صالحا لنا وللحكومة .

لم ننس ونحن نغادر مكتب الشيخ رئيس الشرطة ان نخبره باجتماعنا ولقاءاتنا مع والده الشاعر الاديب الشيخ محمد في القاهرة . . وما دار بيننا من مداولات وندوات . وقد كان لذلك - كما لاحظنا - ابلغ الاثر في نفسه ولاقى استحسانه واعجابه .

_____ مقابلة مستشار حكومة البحرين:

بعد ايام من مقابلة رئيس الشرطة . . طلب منا ان نستعد لمقابلة مستشار الحكومة . . السيد تشارلس دريمبل بلجريف . . وكنا في هذه المرة ثلاثة طلاب فقط هم علي راشد . . وخلييل المطوع . . وأنا .

وبعد وصولنا دار المستشارية . . او دار الحكومة قابلنا السيد كي . بي . نارايين الذي اجتمعنا به من قبل في زيارتنا الاولى للمكتب . وبعد دقائق طلب منا ان ندخل الى مكتب المستشار . . ولا اخفى ان بعض القلق قد انتابني لاول وهلة وانا افكر فيما يمكن ان يقوله لنا هذا الرجل الذي نعرف عنه ويعرف عنه جميع الناس في البحرين . . انه المستشار الاول ، استقبلنا الرجل من وراء مكتبه الكبير بابتسامة عريضة . . ولا اتذكر الكلمات التي بدأ بها حديثه . . ولكننا كنا ننصت لما كان يقوله بكل تقدير واهتمام . وكان يتكلم تارة بلغته الانجليزية في صلف وكبرياء واضحين . . وبدون حدود . وتارة بلغة عربية مكسرة يتخللها بعض الكلمات الكبيرة الفخمة . ولكن في عبارات واضحة وقوية . كان يوجه اسئلته واستفساراته الى كل واحد منا على حدة . ويركز على ما درسناه في مادتي التاريخ . . والرياضيات .

استهل حديثه بالقول ان حكومة البحرين كانت ترغب في الحاقنا بقوة الشرطة . . ولذلك مهدت لتحقيق ذلك بمقابلة الشيخ خليفة رئيس الشرطة . . ولما كان من الصعوبة تحقيق هذا الهدف بالنظر لصغر سننا . . فان من الافضل التحول عن ذلك . . والتفكير في الحاقنا بدائرة اخرى قد تكون مناسبة اكثر . وقال انه لمن الاوفق لنا القبول بما سيعرضه علينا من الوظائف المتوفرة في هذه الدوائر وهي في صالحنا على اي حال . . وذكر ثلاث وظائف بالتحديد: الاولى وظيفة في دائرة الجوازات . . والثانية في دائرة الجمارك . . والثالثة الاخيرة في كراج سيارات الحكومة . وهي وظائف ادارية محترمة - حسب قوله - وقد رددنا جميعا باننا نقبل هذه الوظائف دون تردد . . ودون شروط .

قام المستشار من كرسية خلف طاولة مكتبه . . ودخل علينا السيد نارايين المعاون .

وصحبنا الى خارج المكتب . . حيث جلسنا على احد المقاعد الخشبية الطويلة المنتشرة في مدخل المكاتب وكنا نتشاور فيما بيننا في اسماء الدوائر التي سمعنا عنها في مقابلتنا . ولا ندرى اينما ستكون من نصيبه تلك الدوائر او غيرها . وصادف خلال مكوثنا في المستشارية وصول صاحب العظمة الشيخ سلمان آل خليفة حاكم البلاد في زيارته الاسبوعية لدار الحكومة . وقد هرع كل من كان موجودا آنذاك من الموظفين للتحية والسلام عليه . . والترحيب بمقدمه والحاشية المرافقة . وكان على رأس المستقبلين المستشار نفسه والمعاونون . وقام احد رجال الحاشية بتقديمنا الى صاحب العظمة وتعريفه بنا . وتولى السيد سعيد الزيرة (رئيس الكتاب) ادارة الحديث بيننا . . كان عظمته يسأل عن اسماء العائلات التي ننتمي اليها . . والاحوال بصورة عامة في مصر . وهل قابلنا الملك فاروق ام لا . . وما هو العمل الذي يؤديه آباؤنا او اولياء الامر واين تقع بيوتنا . . ومن منا من اهل المحرق . وغير ذلك من الاسئلة التي ما كنا نظن ابدا باننا ستلقاها من عظمته . ولاحظنا ان سعادة المستشار كان يهمس في اذنيه بين لحظة واخرى بكلام لا نتيبفه او نفهمه . وقبل ان يدخل الشيخ الى مكتب المستشار قال لنا عبارة لا انسأها الى اليوم . . قال : هذه بلادكم وانتم اولادنا .

كانت هذه اول مقابلة لنا مع عظمة الحاكم . وكان رجل من الحاشية يتولى السكرتارية هو «عبدالله بن جبر الدوسري» وهو رجل طويل القامة . . مهيب الطلعة . . حاضرا معنا الحديث . وقد عرفنا فيما بعد ان هذا الرجل هو سكرتير الحاكم وكاتم اسراره .

بعد قليل حضر احد الموظفين . . وهو يرتدي غترة حمراء . واخذ يسألني ما اذا كنت احمل الاسم الفلاني . وطلب منى مرافقته الى احدى السيارات المتوقفة في الساحة الجنوبية من مبنى المستشارية . . ونقلتنا السيارة . . وكانت سيارة (بيك آب) حمراء اللون خارج المبنى الى مكان قريب يقع على بضع خطوات هو عبارة عن ورشة للسيارات . وهناك تركني الرجل واقفا عند احدى الورش ريثما عاد من عمل له . واخبرني بان هذا المكان . . هو مكان عملي في المستقبل . وهو دائرة النقلات . . او كراج الحكومة كما يعرفه الناس .

سألت بعد ذلك عن الرجل فاخبرني من كان هناك من العمال بانه هو السيد شرف

احمد العلوى . . رئيس الكتاب . . لموظفي عمال قسم الكراج . وحين سألت عن العمل الذى يقومون به . . قيل لي انه صيانة وتصليح جميع السيارات الحكومية المستعملة في دوائر حكومة البحرين .

اما الزميل على راشد فقد ذهب الى دائرة الجوازات ، وأما الزميل خليل ابراهيم المطوع فكان نصيبه دائرة الجمارك . وبعد ايام سمعنا ان الزميل خليفة المقرن قد التحق بدائرة الشرطة . . وعين ضابط صف تحت التدريب . وكان هو الوحيد بين طلاب البعثة الذى قبل في هذه الدائرة وبذلك تحققت امنيته التى طالما كان يصبو اليها منذ كنا في القاهرة . اما بقية الزملاء فقد تفرق بهم الطريق . فقد ذهب البعض — كما علمنا — لمواصلة الدراسة في بيروت بينما فعل البعض الاشتغال بالاعمال الحرة مع اهله . . وذويه في البحرين . . بينما واحد او اثنان للعمل في المملكة العربية السعودية .

وهكذا بدأت عجلة العمل تدور . وكنت خلال المدة التى بعدد من الزملاء . . وعلى الاخص علي راشد . . وخليل المطوع . . وعبد الحميد الشتر . . وعبدالرحمن كانوا . اما الباقون فكانوا لا نلتقى الا نادرا .

كانت هذه الدائرة تعرف بهذا الاسم الغريب منذ تأسيسها في اوائل العشرينات من هذا القرن . وهى منذ ذلك الوقت البعيد تعتبر واحدة من كبريات الدوائر الحكومية في البحرين . . وكانت لها مسئوليات متعددة وان ظلت شئون الكهرباء وما يتصل بها هى المسئولية الاولى لها . . ومن هذه المسئوليات :

1- ادارة تشغيل وصيانة جسر الشيخ حمد الذى يربط مدينتي المنامة والمحرق . وبقي هذا الوضع قائما حتى انتقلت المسئولية الى دائرة الاشغال العامة

2- تشغيل سيارة الحريق التابعة لبلدية المنامة وقد كانت — فيما أظن — السيارة الوحيدة الموجودة لدى البلدية .

3- صرف رخص سياقة السيارات التى تعطى لمن يجتازون امتحان الفحص على الطرق العامة ، وقد استمر هذا الوضع حتى نهاية الحرب العالمية الثانية . . او قبل ذلك بقليل . . حين تسلمت المسئولية كاملة شرطة حكومة البحرين . . وأنشئت ادارة المرور بها على اثر ذلك .

4- دارة بدالة التلفونات . . وقد كان عدد الاجهزة بها في ذلك الوقت لا يتعدى

اصابع اليد . . وكان موقع البدالة في ركن قديم من مبنى قديم ايضا يقوم عليه مبنى باب البحرين المعروف في الجهة الشرقية .

5- ادارة كراج الحكومة . . الذي كان يقع ضمن مباني محطة القوة الكهربائية بمنطقة رأس رمان . وهو ما تحول فيما بعد الى دائرتنا . . اى دائرة المواصلات .

6- صيانة وتشغيل الماكينات والآليات المتحركة في عدد من الدوائر الحكومية . . والاشراف عليها . كان من جملة من التحقوا بالخدمة في هذه الدائرة ابان تأسيسها . . ونشأتها الاولى عدد من الموظفين الذين برزوا في مجالات عملهم بالدائرة . . وكان لهم شأن كبير فيما بعد حين توزعوا على عدد من الدوائر الحكومية . . ومنهم . :

محمد صالح يوسف الشتر وقد كان يقوم بوظيفة رئيس الكتاب . . ثم انتقل الى بلدية المتامة وتقلد منصب معاون رئيس البلدية .

احمد علي موسى العمران . . وكان مسئولاً عن المخازن . . ثم نقل الى بلدية المحرق . . معاوناً لرئيس البلدية . . ثم الى دائرة المعارف حيث اصبح مديراً للمعارف . . ثم اخيراً وزيراً للتربية والتعليم قبل ان يتقاعد ويصبح مستشاراً بالديوان الاميرى .

حسن جواد الجشي . . رئيس المجلس الوطني وناظراً في عدد من المدارس . . وكان يعمل في المخازن .

السيد شرف احمد العلوي . . عمل في قسم المخازن ايضا . . ثم مسئولاً عن كراج الحكومة . . ثم اخيراً المدير الاداري بدائرة الكهرباء . ثم تقاعده اخيراً .

وهناك عدد من الموظفين الذين مازلت اذكرهم ومنهم . . راشد قراطة . . واحمد علي حسين الخلفان . وقد عمل بعضهم في بدالة التليفونات . وغيرهم وغيرهم .

ولغرابة الاوضاع في هذه الدائرة فأننى اتذكر قصة طريفة . . ففي اواخر سنة 1949 استوردت حكومة البحرين . . بناء على استشارة بعض المسئولين . . آلات ومعدات خاصة بالمطابع لغرض استعمالها في اعداد فواتير الكهرباء التى تصدرها الدائرة للمستهلكين . . او في مراسلاتها مع بقية الدوائر والشركات . . وقد طلب من دائرة المواصلات - دائرتنا - الاشراف على تركيب هذه المطبعة حسب الكتالوجات والمواصفات الفنية التى ارسلت مع المعدات .

لم يكن لدى المواصلات . . او موظفيها ادنى معلومات او خبرة سابقة بمثل هذا العمل . وقد تم تركيب المعدات الخاصة بها في احدى غرف مبنى باب البحرين . . وبالتحديد في غرفة بالقسم الغربي . الا انه بعد ايام من تشغيل المطبعة اشتكى المسئولون عن المبنى من الازعاج الذى كانت تسببه لهم . . وللمارة فى الطريق المجاور للغرفة . وبعد مدة قصيرة بدأ تفكيك هذه الآلات وتحولت المطبعة الى قطع صغيرة من الحردة (سكراب) . . والله أعلم بالمصير الذى آلت اليه .

_____ في الوظيفة

وتدور عجلة الايام . . وأصبح موظفا في كراج الحكومة . . او دائرة النقل التي يحلو للسيد شرف رئيسنا في العمل . . ان يطلق عليها . ومنذ اليوم الأول لم اكن راضيا عن العمل في هذا المكان . ولكن الامل والاصدقاء كانوا يقولون بأن المستقبل اماننا . . ولا داعي للعجلة او ترك العمل الى مكان آخر . . بدون حجة . . او سبب .

كان واضحاً ان العمل في الدائرة ينصب على صيانة وتصليح جميع سيارات دوائر حكومة البحرين . . وقد كانت اعداد هذه السيارات قليلة جداً عندما التحقت بالعمل . . واطنهما لا تتعدى العشرين او الثلاثين سيارة في مجموعها . . ومعظمها سيارات قديمة العهد . . ومتعددة الاغراض . ولم يكن بينها من سيارات الصالون سوى سيارتين او ثلاث . . كانت افخمها السيارة التي يستعملها مستشار حكومة البحرين .

وقد اكتشفت فيما بعد ان الكراج هو قسم من دائرة كبيرة كان يطلق عليها في ذلك الوقت اسم: دائرة مهندس حكومة البحرين - State Engineers Department. ويرأسها ضابط انجليزى متقاعد هو السيد كروب كابتن . . ليه . «G/C. Hpg Leigh» يعاونه موظف من البحرين عالى الرتبة هو السيد عبداللطيف المحمود . . من اهالى مدينة الحد . وكان مسئولاً عن شئون الكهرباء بصفة عامة . اما في قسمنا او دائرتنا فلم يكن فيها من الموظفين والاداريين سوى السيد شرف احمد العلوى . . الذى بقى يشغل وظيفة رئيس الكتاب سنين طويلة . . قبل ان تنفصل الادارة عن شئون الكهرباء . . اما بقية الموظفين فقد كان عددهم بين ثلاثين واربعين . . معظمهم من الميكانيك واصحاب الحرف الاخرى ، وبعض السائقين . . وعلى رأسهم مشرف هندی الجنسية من طائفة

«الشيخ» اسمه درشان سينج Darshan Singh ولم يكن راتب اكبر موظف فيهم يزيد على 50 روبية. اي ما يعادل مبلغ 5 دينار هذه الايام.

سجل تاريخ التحاقى بالعمل . . فى يوم السبت الواقع فى 8 من شهر ذى الحجة عام 1365 هجرية . . ويوافق 2 من نوفمبر عام 1946 ميلادية . ولكن هذا التاريخ تغير فى فترة لاحقة . . عندما جرى تحويل التقويم الهجرى الى التقويم الغريغورى (الميلادى) المعمول به فى دائرة حكومة البحرين وهيئاتها . اى انه ارتد الى الخلف الى ما يقرب من سنة واحدة . . واعتبر التاريخ الجديد رسميا هو 13 نوفمبر 1945.

بعد اكثر من اسبوع تسلمت قرار التعيين الصادر من ادارة المستشارية وهو يقضى بتعيينى كاتباً براتب اساسي قدره 75 روبية (خمس وسبعون) مضافا الى مبلغ 25 روبية علاوة غلاء Dearness Allowance . . وكان هذا فى ورقة صغيرة كتبها المستشار بخط يده . . وهى فى شكل مذكرة ادارية موجهة الى السيد محمود احمد العلوي . . شقيق السيد شرف . . والذي كان يشغل فى ذلك الوقت منصب رئيس الحسابات Accounts Officer . . والذي تحول فيما بعد الى منصب مدير المالية . . ثم الى منصب وزير المالية .

من ذكريات العمل الأولى التى لا تنسى . . اننى منذ الايام الاولى فى العمل كنت فى صراع مرير مع السيد شرف العلوى حول التسليم والاقتناع باسم الادارة التى نعمل فيها . . فالسيد شرف كان يطلق عليها دائرة الثقليات . . واحيانا دائرة نقليات الحكومة . . اما انا فقد كنت ارى ان يطلق عليها اسم . . دائرة المواصلات . ولكن السيد . . ومعه جماعة من الموظفين فى الدائرة نفسها وفى غيرها من الدوائر الحكومية . . كانوا يرون الوقوف على الاسم الاول . . ومرت فترة . . كان العمل يجرى فيها بالاسمين فى وقت واحد . . واخيرا جاءتنا رسالة موجهة من دائرة المعارف تحمل فى مضمونها اسم دائرة «المواصلات» فكانت هذه الرسالة بمثابة الاعتراف الرسمي بالاسم الجديد . وعلى اثر ذلك قمت من جانبي باخطار اصحاب المطبعة الشرقية بالنامة . . وطلبت طبع كمية من الاوراق الرسمية تحمل الاسم الجديد . . وبهذا انتهى الاشكال الذى كنا نعاني منه . . واستقر الاسم الجديد والذي بقيت تحمله حتى تحولت الى وزارة . . وانضمت اليها ادارات اخرى بعد ذلك .

فرحت كثيرا باول راتب تسلمته . . وهو مبلغ لو قورن بالرواتب والاجور التى كان يحصل عليها الموظفون فى الدائرة لعد من دون شك . . مبلغا كبيرا.

فقد كانت رواتب بعضهم لا تتعدى اربعين او خمسين روبية . . رغم ان بعضهم ايضا امضوا في العمل سنتين او اكثر . واشغالهم كما هو واضح تتسم بالمسؤولية والخطورة احيانا الى جانب المشقة والتعب .

واعتبارا من الشهر الأول وبقية الشهور . . الى ما يقرب من سنة كاملة . . عملت بفضل هذا الراتب على تحسين شتوني . . وشتون البيت . . بما يكفل الراحة والطمأنينة وساعدت والدى - رحمة الله عليه - في التخفيف من الاعباء التي كان يعاني منها . . وثقل كاهله .

وأنا اختتم هذا الفصل من الخواطر والتأملات لا يسعني الا ان اذكر بالفضل العميم . . مساعدة رئيسي في العمل السيد الفاضل . . شرف احمد العلوى . . فقد كان بالنسبة لي بمثابة الاب . ولا أنسى كرمه ومساعدته لي في كل الاوقات . .

لقد تدرجت في العمل بالدائرة المذكورة سنين عديدة تعرفت فيها وتمرست على وجوه كثيرة من وجوه المعرفة والادارة . . والخبرة . . ولست في هذه الاوراق في مجال تعدد هذه الاعمال . . وتفصيلها . ولكن يكفي القول انني وبتوفيق من الله . . قد شهدت تحول الادارة/ الوزارة . وقيامها بدور فعال في انتقال شركة البرق واللاسلكي المحدودة Cable & Wireless Limited كشركة ممتكرة لمجالات الاتصالات على مختلف تعددها الى شركة البحرين للاتصالات السلكية واللاسلكية . . او ما يعرف بشركة بتلكو Batelco . . لقد قمت نيابة عن حكومة دولة البحرين بتوثيق عقد تأسيس الشركة وقرار نظامها الاساسي . ونشرت تفاصيل الاتفاق بين الحكومة والشركة . . في ملحق الجريدة الرسمية رقم 1448 الصادر في 13 اغسطس 1981 بتاريخ 23 يوليو 1981 (الموافق 22 رمضان 1401 هجرية) تم بمكتب التوثيق بادارة المحاكم (وزارة العدل والشتون الاسلامية) توقيع العقد التأسيسي لشركة البحرين السلكية واللاسلكية الذي يتضمن تفويض مندوبي حكومة البحرين . . وشركة البرق واللاسلكي بالتوقيع على العقد . كما يتضمن بالاضافة الى ذلك فصولا خاصة باسماء المؤسسين . . واسم الشركة . . واغراضها . . ومركز الشركة . . ومدتها . . وتأسيسها . . ومحلها القانوني ورأس المال . . والاسهم المكتتب بها . . وكيفية طرح الاسهم للاكتتاب العام . . ومدة الاكتتاب . . والشهادات المؤقتة والاسهم . . وحقوق اصحاب الاسهم والتزاماتها وعدم جواز الحجز على اموال الشركة وممتلكاتها . . وسجل الشهادات المؤقتة . . وبيع الاسهم والشهادات المؤقتة ورهنها .

كما تضمنت الفصول الأخرى . . أبوابا ومواد اشتملت على تعديل أو زيادة رأس مال الشركة أو تخفيضه . وإصدار سندات القروض . . وإدارة الشركة . . ومجلس الإدارة . . وشروط العضوية في مجلس الإدارة . . وملء الشواغر . . واختصاصات مجلس الإدارة . . وتمثيل الشركة والتوقيع عنها . . وقرارات مجلس الإدارة . . واجتماعاته . . ومسئوليات أعضاء مجلس الإدارة . . ومكافآتهم . . وإنهاء العضوية . . ومحاضر الجلسات . . والجمعيات العامة . . وكيفية اعداد جدول الاعمال . . والتصويت . . والتسجيل . . ومحاضر الجلسات . . وقرارات الجمعيات العمومية وصلاحياتها وواجباتها . . ونصابها القانوني . .

وتضمنت الفصول أيضا . . تعيين مراقبي الحسابات وصلاحياتهم وواجباتهم . . والسنة المالية . . عملية الجرد . . الحساب الختامي . . المال الاحتياطي . . توزيع الأرباح الصافية وكيفيةها . . وفصلا خاصا بالمنازعات . . وحل الشركة وتصفياتها ودفاتر الشركة وسجلاتها .

وقد ورد كل ما تقدم بالتفصيل في ملحق الجريدة الرسمية.. العدد 1448 الصادر يوم الخميس في 12 اغسطس 1981 الميلادية.

وبتاريخ 11 اغسطس 1981 (11 شوال 1401) صدر عن ديوان صاحب السمو أمير دولة البحرين مرسوم بقانون رقم (18) لسنة 1981 يقضى بإنشاء شركة البحرين السلعية واللاسلكية.. وهو يتضمن عقد التأسيس والنظام الاساسي للشركة.

وقد تضمن عقد التأسيس اسماء الذين قاموا بتوثيقه لدى الكاتب العدل بدولة البحرين.. وهو عبدالعزيز يوسف الحميد بمبنى وزارة العدل والشئون الإسلامية.. المنطقة الدبلوماسية وهما:

1- حسن علي المدني.. طرف اول وحضر معه بصفة شاهد السيد عبدالله محمد فولاد.. سكرتير مكتب وزير المواصلات.

2- جون دودلي ماندى.. طرف ثان.. وهو بريطاني الجنسية.. بصفته الرئيس التنفيذي لشركة البرق واللاسلكي المحدودة. وذلك بموجب التفويض الصادر من لندن والمصادق عليه من قبل جميع الجهات المختصة. وحضر معه بصفة شاهد.. السيد عبدالحسين علي مدن الموظف بالشركة المذكورة.

وقد جاء في النظام الاساسي ان المؤسسين لشركة البحرين السلوكية واللاسلكية الذين اكتبوا في رأس المال الصادر باسهم . . . والبالغ عددها 54 مليون سهم . . قيمتها الاسمية 54 مليون دينار موزعة كما يلي :

10,000,000	1- حكومة دولة البحرين
24,000,000	2- شركة البرق واللاسلكي المحدودة
6,000,000	3- الهيئة العامة للتأمينات الاجتماعية
4,000,000	4- صندوق التقاعد المدني
2,500,000	5- بنك البحرين الوطني
2,000,000	6- بنك البحرين والكويت
2,000,000	7- صندوق التقاعد العسكري
1,600,000	8- شركة الاستيراد والتصدير
300,000	9- شركة مشاريع الخليج
250,000	10- البنك الاهلي التجاري
250,000	11- شركة السينما وتوزيع الافلام
200,000	12- شركة البحرين للاستثمار
200,000	13- شركة الصناعات الخفيفة
100,000	14- شركة التأمين الاهلية
100,000	15- بنك البحرين الاسلامي
100,000	16- شركة دلمون للدواجن
100,000	17- شركة البحرين للتأمين
100,000	18- شركة مطاحن الدقيق
100,000	19- شركة البحرين لتصليح السفن
50,000	20- الشركة البحرينية الكويتية للتأمين
50,000	21- الشركة العامة للتجارة والصناعة

وطرحت باقي الأسم من رأس المال الصادر وعددها ٦ ملايين للاكتتاب العام . وقد تولت غرفة تجارة وصناعة البحرين الاشراف عليها .

ويجدر بالذكر انه في يوم التوقيع على الاتفاق بين الحكومة والشركة السابقة حضر الى ديوان وزارة المواصلات بعض المدعويين . . حيث قام السيد ابراهيم محمد حسن حميدان . . وزير المواصلات . . ومندوب شركة البرق واللاسلكي ، بالتوقيع . وكان من بين من حضر . . السيد عيسى عبدالله بورشيد وكيل وزارة المالية والاقتصاد الوطني . . والسيد صلاح علي المدني وكيل (مدير عام) وزارة الدولة للشئون القانونية . . والسيد حسن علي النصف وكيل وزارة التجارة والزراعة . . والسيد احمد جاسم حبيب الوكيل المساعد لشئون الشركات بوزارة التجارة والزراعة .

ان الافكار والخواطر تزدهم في رأسي وأنا استعرض مسيرة العمل والاحداث التي شهدتها في وزارة المواصلات طيلة الاربعين سنة او يزيد . . ولكني لا بأس ان اذكر بعض هذه الخواطر والذكريات للحقيقة ليس الا . . وقبل ان يطمسها النسيان .

انني ارى ان تأسيس شركة البحرين للاتصالات السلكية واللاسلكية . . التي بدأت تعرف باسم شركة (بتلكو / Batelco) قد حقق ما يلي :

1- كسر الاحتكار الذي كانت تمارسه شركة البرق واللاسلكي السابقة منذ تأسيسها في عهد المغفور له الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين . . قبل اكثر من مائة سنة .

2- فتح المجال امام المواطنين للانخراط في اعمال الشركة ومهامها المتعددة مما اوصل بعضهم الى شغل المناصب القيادية فيها . . وباعداد كبيرة .

3- امكانية كسب ارباح مجزية من قبل المساهمين في رأس مال الشركة . وهي الارباح التي توزعها الشركة . . كما نشاهد في السنوات الاخيرة . مما جعل شركة بتلكو على رأس الشركات المربحة في البحرين .

4- وضع البحرين كبلد متقدم وفي طليعة البلدان التي تتمتع بافضل وسائل التقنية الحديثة في مجال الاتصالات ، والاقمار الصناعية . واصبحت خدمات الاتصال الدولي المباشر تمتد الى ما يقرب من 200 بلد . . او دولة في جميع دول وقارات العالم .

وعلى صعيد آخر . . في الوزارة وفي خلال العقدين الاخيرين . . امكن انجاز ما يلي :

1- تأسيس ادارة النقل العام . . وقد كان لذلك تأثيره الكبير على تطوير الخدمات التى تقدمها الوزارة . . لقد كان من جراء تأسيس هذا الجهاز انتقال الأعمال من المنامة . . الى المحرق . . حيث وفقت للحصول على مكان مناسب في الورش التى كانت تابعة لسلاح الطيران البريطانى (R. A. F) القريب من مطار البحرين الدولى . .

وقد عمل في الجهاز الجديد عدد من الخبراء الامريكيين لفترة من الوقت . . انتدبتهم الدولة من شركة TWA للطيران الامريكية . كان على رأسهم السيد «بارتوسكا» الذى عمل بكل جد ومثابرة حتى وفاته في شهر ديسمبر من عام 1972.

لقد توسعت شئون النقل العام حتى بات من الضروري نقلها الى محل جديد . فوقع الاختيار على موقع مناسب في مدينة عيسى . الا انه مما يحد من نشاط الادارة وفعاليتها العدد المحدود من الحافلات التى تسيرها الادارة على خطوطها العامة خدمة للمواطنين في طول البلاد وعرضها . . وذلك بسبب قيود الميزانية العامة التى يرجو الجميع ان تتحسن في مستقبل قريب .

2- تعريب الاعمال في ادارة الشئون المالية والادارية بالوزارة بعد مجهودات مضنية . ولعدة سنوات كانت جميع الاعمال في ادارة الوزارة تجرى باللغة الانجليزية . . حتى تلك الرسائل التى يتبادلها الموظفون فيما بينهم . وكذلك المراسلات الجارية بين الوزارة والوزارات الاخرى . . والشركات وغيرها . وقد

لا تكون عملية التعريب - في حد ذاتها - بالشئ الملموس من قبل الكثيرين ممن كانوا يتعاملون مع الوزارة او بعض اداراتها . . ولكن - كما نرى - حلت كثيرا من الاشكالات والعقبات التى كنا نلاقها في اعمالنا اليومية .

3- لسنوات طويلة . . ومنذ انشاء الادارة قبل ما يقرب من خمسة عقود لم يكن لها مكاتب قائمة بذاتها . وكان الموظفون يشكون من هذا الوضع مر الشكوى . الى ان قيض الله ان تنتقل الوزارة الى مبنى مستقبل خاص بها يقع في المنطقة الدبلوماسية بالمنامة . . وبقيت بعض الادارات موزعة بين المنامة . . والمحرق . . ومدينة عيسى بسبب طبيعة العمل في هذه الادارات .

ويانتقل الوزارة الى هذا المبنى الجديد . . تمكن الموظفون بعد طول انتظار من اداء اعمالهم يغمرهم شعور بالراحة والاطمئنان . . وأسوة ببقية زملائهم في الوزارات والمؤسسات الحكومية . . الاخرى .

طريق البحر.. عودة:

بعد بضعة شهور من التحاقى بالعمل فى المواصلات وصلتنى . . وبقية طلاب البعثة من الزملاء رسالة من دائرة المعارف مؤرخة فى 30 رجب 1366 هجرية الموافق 19 يونية 1947 ميلادية موقعة من الاستاذ احمد العمران الذى لازال يشغل منصب نائب مدير المعارف . . وذلك بشأن موضوع حقائب الملابس والحاجات الخاصة التى خلفناها فى القاهرة قبل سفرنا منها . كانت رسالة قصيرة جدا وجاء فيها ما يلى :

لقد وصلنى من مصر نبا التمكن من ارسال ما تبقى من حاجياتكم وذلك لان الشنط مقلقة.. فهل تودون فتحها وارسال الجميع عن طريق البحر. أرجو الافادة حالا.
ودمت محروسين.

وبعد التشاور بيننا قمنا بالرد على الرسالة المذكورة بالموافقة على ارسال الاغراض بطريق البحر اذا كان ذلك هو السبيل الوحيد لوصولها سالمة الينا . . والحمد لله اننا تسلمنا الشنط سليمة بعد مدة من وصولها . . ولم نلاحظ نقص فى حاجاتها . ولكن هذا الترتيب ذكرنا باصرار رجال المعهد البريطانى الثقافى بالقاهرة . . على التعامل دوما بطريق البحر . . وهذا ما حدث فى سفرنا . . فى الذهاب والاياب .

رابطة خريجي المعارف الثقافية:

لا يكتمل الحديث عن بعثة طلاب القاهرة 1946 وعودة افرادها الى البحر . . الا بذكر شىء حول ما جرى من نشاطات واتصالات سواء على المستوى الشخصى او العام لتشكيل رابطة او جمعية تجمع طلاب البعثات الدراسية الذين بدأ بعضهم يعود من

دراسته من الخارج . . والحاجة التي تدفعهم الى التجمع في تنظيم جديد يؤطر نشاطاتهم وآمالهم .

وبعد اقل من سنة من عودة طلاب القاهرة الى البحرين . . وكذلك بعض الطلاب من بيروت . . كنا نلتقى احيانا في السوق . . او بعض الأندية او في المحلات الخاصة نستعرض في هذه اللقاءات ما يخصنا من امور وما نتطلع اليه من آمال . . ونتذكر تلك المراحل الجميلة التي شهدناها في كل من القاهرة . . وجبال لبنان . . ودمشق وغيرها من البلاد العربية التي اسعد الحظ بعضنا بزيارتها . وقد طرح بعض الزملاء فكرة انتشرت بين الزملاء قبل مدة . . تدعو الى انشاء جمعية . . او رابطة . . تجمع شمل الشباب العائدين . . او الشباب الذين يرغبون ان ينضموا اليهم . . او ممن سبق لهم التخرج من جامعات او معاهد عالية في الخارج .

وكان الطلاب وزملاؤهم يجتمعون فيما بينهم كلما تسنى لهم ذلك وتطورت الفكرة من رابطة الى تأسيس ناد . . يضم اكبر عدد من الأعضاء . . ووضع نظام له يتفق عليه الجميع . وقد عقدت لهذا الغرض جلسة خاصة في مبنى القسم الداخلي حضرها بعض الزملاء من طلاب البعثة . . وبعض الطلبة من جامعة بيروت وعدد من المدرسين في المدرسة الثانوية . . وغيرهم . وتم الاجتماع عصر يوم الجمعة 26 يناير 1949 حيث ترأس الجلسة الاستاذ عبدالوهاب عسل . . مدير المدرسة الثانوية .

طرح في الاجتماع عدة اقتراحات . . وكانت وجهات النظر بين الحاضرين متضاربة جدا . . الى درجة تعذر فيها تقريب مسائل الاختلاف بينهم . وكان بعض الحاضرين قد تقدم بمشروع النظام الداخلي . . وشرح بعض القضايا الاساسية والقانونية . ولكن بعد المناقشة المستفيضة في الموضوع . . اتفق على رفع الجلسة وعقد جلسة ثانية لاستكمال مسائل المقترحات . وقد استغرق هذا الاجتماع اكثر من خمس ساعات .

بعد ايام بدا ان فكرة النادي . . او الرابطة تلقى الموافقة من قبل جميع من التقينا بهم من الطلاب . وكذلك أخذ بعض الاخوان يعمل لتحقيق الفكرة بكل جد .

وفي 16 مارس دعي لعقد اجتماع ثان في القسم الداخلي حضره عدد اكبر من المدرسين من مختلف المدارس الحكومية وبعض زملاء المدرسة القدامى . وطرح مسودة النظام الذي اعدته لجنة تحضيرية اشرف عليها الاستاذ عبدالوهاب بنفسه . وكانت

الفكرة قد تبلورت في اذهان الكثيرين . . ولكنها اخذت تميل الى ان تكون المؤسسة . . نادياً للخريجين . . والمعلمين . لكن هذه الفكرة لم تلق إقبالا من الجميع . . وانقسموا بين مؤيد ومعارض . واخيرا لاقت فكرة ان يكون النادي للمعلمين ويجوز ان يلتحق كل راغب من الخريجين . . موافقة جميع الحاضرين . وقد طلب المجتمعون من الاستاذ عبدالوهاب ان يعرض هذه النتائج التى توصل اليها المجتمعون على الحكومة لنيل موافقتها . واقترح بعض الحاضرين ان يكون النادي . . خاضعا في دورته الاولى لاشراف دائرة المعارف تتولى الصرف عليه حتى تتحدد مكانته المالية .

كان المؤمل ان تتواصل خطوات تأسيس هذا النادي . . الا انه بدا ان المسئولين عن ذلك بدأ يتناهم الملل . . او انهم لم يجدوا التشجيع والدعم المطلوبين من قبل جهات كثيرة اتصلوا بها . ولذلك فان فكرة تأسيس ناد للخريجين . . او ناد للمعلمين . . ماتت . . واندثرت .

لكن بعض الطلاب العائدين من بيروت خلال الاجازة الصيفية قد عملوا ما في وسعهم . . على الخدمة الاجتماعية . . التى تمثلت في فتح فصول لمحو الأمية . . استمرت لبضعة اسابيع في قاعات مدرسة عائشة ام المؤمنين للبنات . واشترك فيها عدد من المتطوعين كنت من بينهم . . مع مجموعة من اعضاء رابطة طلاب بيروت . كما كانت هذه الانشطة المحدودة . . فاتحة لتأسيس نادي «الشباب الوطني» الذى استمر في المنامة لبضع سنوات قبل ان يغلق أبوابه .

_____ مع الأندية.. والجمعيات:

على اثر فشل تأسيس نادي الخريجين . . وبدء تأسيس «نادي الشباب الوطني» بقيت مع بعض الزملاء فترة طويلة نشعر بالملل والضيق . . وكيفية قضاء اوقات الفراغ . . كان الواحد منا يشعر بالحاجة الملحة لمكان ما يقضى فيه بعض وقته . . بعد انتهاء العمل . . او في بعض الليالي والامسيات . كانت الاندية الوطنية موجودة في المنامة . . وكنا نعرف طريقنا اليها . . ولكن لم نجد في انفسنا اي دافع يدفعنا للاشتراك في عضويتها . وقد سبق لي ان ذهبت مرات كثيرة الى نادي العروبة الذى يقع في الطريق الى مدرستنا . وحتى قبل ان نسافر الى القاهرة للدراسة . كما ذهبت مرتين او ثلاثا الى النادي

الأهلى.. الذى يقع في وسط حي من احياء مدينة المنامة آنذاك.. ولكن هذه الزيارات الى كل من نادي العروبة.. والاهلي.. لم تكن لتروي ظمأنا للتواجد في مكان ترتاح فيه نفوسنا اكثر.

لذلك كان «نادي الشباب الوطني» الذى انشئ حديثا.. قريبا من «بيت فاروق» المعروف بمنطقة رأس الرمان.. هو الملاذ الوحيد الذى يمكن ان نلجأ اليه.. وقد كان.

كان هذا النادي الوليد يضم عددا من طلاب بعثة القاهرة.. وبعض طلاب بيروت.. الى جانب عدد من الشباب والفتيان من سكان المنطقة المجاورة وهو يقع في مقر متواضع.. وكان هذا النادي في اول تأسيسه نشطا في تقديم بعض المسرحيات القصيرة ويقوم ببعض الحفلات والرحلات التى تستقطب اهتمامات الشباب.. كما كانت قاعته تزخر بالعديد من الصحف والمجلات المصرية.. والعربية الاخرى وهو ما لا يتوفر في اي مكان آخر.. وكنت كغيري من الشباب اعضاء النادي نحرص على الحضور كل ليلة.. ونشارك في بعض النشاطات.

وفي اول انتخابات سنوية عامة يجريها النادي لانتخاب مجلس ادارة جديد بعد تأسيسه.. انتخبت عضوا اداريا.. وكان ذلك بداية سلسلة من النشاطات الاجتماعية والثقافية.. ومن بينها الاسهام في دروس محو الامية التى بدأها جماعة مدارس بيروت.. وكان من بينهم.. المرحوم جيمس «حمد» بلجريف.. نجل مستشار حكومة البحرين.. والذى كان عضوا فعالا في المجموعة.

لم تكد سنة واحدة تمر على تأسيس هذا النادي حتى بدأت عوامل الوهن والعجز تعثره.. وذلك بسبب تخلف العديد من اعضائه.. والمتسبين اليه من تسديد اشتراكاتهم في النادي.. الامر الذى استوجب ان يقوم مجلس الادارة بتنظيم حملة للتبرعات.. ولكن هذه المبادرات لم تغير من واقع الأمر شيئا.. وبدأ النادي يتحول تدريجيا الى مكان اشبه ما يكون بالمقهى لا يرتاده الا عدد محدود من الاعضاء.. وانصرف عنه الجميع.. وبذلك فان مجلس الادارة اضطر الى اتباع اسلوب آخر يحفظ للنادي مكانته ومركزه.

بدأت الاتصالات مع الأندية الكبرى الموجودة آنذاك وكان الغرض اول الامر هو اطلاع هذه الاندية على الحالة التى وصل اليها نادي الشباب.. ومحاولة ايجاد وسيلة ما لانتشاله من الهوة التى يتردى فيها.. واستمرت مثل هذه الاتصالات ردحا من الزمن

دون ان تسفر عن نتائج مضمونة.

وتطورت هذه الاتصالات الى نوع من المفاوضات التى ترمى الى دمج النادي فى احد تلك الاندية وفق اشتراطات يقبل بها الطرفان. وبات الجميع مقتنعا ان فكرة الدمج هى أفضل الحلول المطروحة.

كان اول اتصال جرى فى هذا الشأن مع اعضاء «نادي الثقافة المختلط» وهو ناد قديم فى المنامة يقع مبناه فى مقر قديم على شارع الحكومة البحرى بالمنامة كان رئيس النادي فى ذلك الوقت هو السيد ابراهيم قمبر (من كبار موظفى بلدية المنامة) واستمرت الاتصالات مع ادارة هذا النادي. . لكنها لم تسفر عن نتيجة مرضية، وذلك لاصرار مجلس ادارة نادي الثقافة على شروط والتزامات رأى مجلس ادارة نادينا انها مجحفة بحقوقه فرفضوها وانقطعت الاتصالات بين الطرفين.

ثم بدأ اتصالات جديدة مع «النادي الأهلي» وكان هذا النادي يختلف فى كثير من شئونه عن نادي الثقافة. فقد كان بعض اعضاء نادي الشباب. . أو اخوانهم واصدقاؤهم اعضاء فى النادي الأهلي. . وكانت العلاقات وثيقة بين هؤلاء الاعضاء فى كلا الناديين ولذلك لم يكن من الصعوبة ان يدخل مجلس الادارة فى مفاوضات مع النادي الكبير. ويحقق بعد بضع جلسات مع اعضاء مجلس ادارته موضوع دمج الناديين. . دون ان يتقدم النادي الاهلي بأية شروط.

وفي غضون أيام قليلة تم دمج الناديين وانتقلت ممتلكات «الشباب» الى «الاهلي» دون عناء او تعب. واصبحت العضوية واحدة تلقائيا فى النادي الاهلي. . دون مطالبة بتسديد الاشتراكات المتخلفة على اعضاء نادي الشباب.

فى نفس الفترة تقريبا. كنت من جانبي اتردد كثيرا على «نادي العروبة» الذى كان مقره بشارع الشيخ عبدالله قريبا من منطقتنا. . لوجود العديد ممن نعرفهم من المعارف. . والاصدقاء كأعضاء فيه.

كنت ارقب النشاط الدائر فى كل من «العروبة والاهلي» من حفلات وندوات ادبية وثقافية واجتماعية. . وكنت ارى سيل الزائرين الذين يتوافدون على «العروبة» من مختلف اقطار الوطن العربي بصورة ترجع على ما هو موجود فى «الاهلي» وهذا ما دفعني الى التوجه اكثر واكثر صوب «العروبة» والاتصاق به الى ابعد حد. وابتعدت شيئا فشيئا عن «الاهلي».

علي الشوملي وعبدالرحمن علي الجودر. . وعلي عبدالله سيار.

وفي العام الذي تلاه ابتعثت حكومة البحرين عددا آخر من طلاب الثانوية هم:

ابراهيم يعقوب (وكيل وزارة الصحة للشئون الفنية) وعبدالرحمن جاسم كانو. .
وعبدالرحمن قاسم الشيراوي. . وعبدالله جاسم الشكر. . وحسين جعفر منديل. .
وحسن المدني. . و خليل ابراهيم المطوع (مدير الجمارك) وسلمان خليل كانو. . وعلي
راشد المسقطي (احد كبار موظفي الهجرة والجوازات) وحسن عبدالله المنصوري
وعبدالرحيم علي. . ومحمد يوسف المحمود. . وخليفة احمد المقرن. . وعبدالحميد محمد
صالح الشتر. . وابراهيم محمد بوحجي. .

كل هؤلاء فيما عدا الاربعة الآخرين الذين انتقلوا الى رحمة الله الشيخ خالد بن محمد
آل خليفة الذي كان مسافرا. . وحسن الجشي (لطارىء صحي) تعرضت له احدى
قريباته. . وعيسى المحميد الذي اعتذر. . ومطر علي مطر الذي هاجر الى الكويت قبل
اكثر من ثلاثين سنة. التقوا في الاسبوع الماضي عند عبدالله الشكر (قنصل البحرين
العام في نيويورك) الذي كان يطمح منذ زمن بعيد لتجمع زملاء المدرسة.

وقد تحقق حلمه. . والتأم الشمل للجميع وتبادلوا الكثير من ذكريات الدراسة. .
واستعادوا شبابهم لساعات كانت - كما قال احدهم - من احدى ساعات العمر.

عبدالله الشكر قال في كلمة قصيرة ألقاها بالمناسبة بانه يأمل ان يجتمع شمل الجميع
بعد اربعين سنة اخرى مرة ثانية. . اما في القاهرة. . او في الجنة.

وفي نفس العدد من المجلة. . كتب علي سيار مقالا مطولا على الصفحة الاخيرة
بعنوان «والعجلة تدور» جاء فيه مايلي:

ترى كيف يمكن ان يكون شعورك وانت تتأهب لتلتقي بزملاء الدراسة بعد اربعين
عاما. . باعدت فيها بينهم الحياة واخذت كل واحد منهم في طريق. . بل ربما بعد ان
تكاثر صدا الأيام على الذاكرة فغابت صورة بعضهم او لم تعد الذاكرة تعي من صورهم
الا ملامح ضبابية لا تعني شيئا ولا تدل على شيء.

انها تجربة مثيرة بلا شك. . وربما قليلون هم الذين مروا بها. . ذلك انه ليس من
الامور العادية ان يضيع منك صديق - او تضيع منه - طوال هذه المدة. . ثم تجد
نفسك امامه بلحمه وصوته وصورته.

في الاسبوع الماضي مرتت بهذه التجربة كما مر بها الزملاء انفسهم الذين تفرقت بهم السبل وباعدت بينهم دروب الحياة . . ثم اذا بواحد منهم - هو الصديق وزميل الدراسة - عبدالله الشكر - الذى يقضى هذه الايام اجازته السنوية كقنصل عام في نيويورك . . اذا به تستهويه فكرة تجمع - او تجمع - كل اولئك الذين زاملهم في القاهرة في اواسط الاربعينات من افراد البعثتين الذين ابتعثتهما الحكومة في عامي 1944 و 1945 ليستعيدوا - على حد قوله - بعض ذكرياتهم القديمة في محاولة لتنشيط ذاكرتهم .

في الطريق الى مكان الحفل - او التجمع - تحركت الذكريات الهاجعة في رأسي . . وبدأت الآلات التي توقفت عن الدوران منذ اربعين عاما تدور ببطء في محاولة لمسح الغبار عن العدسة الواقعة في جزء معتم من الذاكرة . . و . . و . . اكتوبر من العام 1944 والحرب العالمية الثانية توشك ان تضع اوزارها .

تسعه من مختلف مدارس البحرين . . ثلاثة مدرسين وثلاثة من الثانوية . . وثلاثة من مدرسة الصناعة وجدوا انفسهم يلتقون على احد ارضة قاعدة «الجفير» البحرية . . ثم اذا بهم ينقلون في قارب صغير الى طائرة بحرية كانت تجثم في القاعدة لتنقلهم الى القاهرة ليستكملوا تعليمهم . . هواجس السفر بالطائرة تملؤ الوجدان بمشاعر متناقضة . . فراق الأهل . . والوطن . . ركوب الطائرة لأول مرة . . الخوف من حوادث الطائرات التي كنا نسمع عنها وهى تساقط في الحرب . . القاهرة (أم الدنيا) وما يمكن ان تثيره من مشاعر واحاسيس . . قاهرة زكى مبارك وطه حسين . . عباس محمود العقاد واحمد حسن الزيات . . قاهرة كل هؤلاء الذين كنا نقرأ لهم ونستمتع بعصارة افكارهم . . قاهرة أم كلثوم . . وعبد الوهاب وافلام الوردة البيضاء ووداد ورصاصه في القلب .

في هذا الجو المشحون بالاحاسيس والعواطف الجياشة اسلمت نفسي شأني شأن بقية زملائي لقائد الطائرة - لم يكن بالطائرة مضيفون او مساعدون فقد كانت من طراز (السندرلاند) التي تستخدم في الاغراض العسكرية - ليربطني على المقعد المستطيل المواجه للمقعد الآخر والذي كان يصطف عليه باقى افراد البعثة .

بعد برهة دارت مراوح الطائرة لتزحف على الماء كعملاق بحري . . ثم اذا بها ترتفع في السماء وهى تهتز كقارب صغير وسط بحر هائج . . فيما الشعور بالخوف والقلق والطائرة تدخل في الغيوم وانت على علو شاهق وسط قفص حديدي لا تدري كيف

يسير ولا تعرف سر الاجهزة التى تتحكم فيه والاهتزازات العنيفة التى يحدثها اصطدام الطائرة بكتل الغيوم ثم عبورها المطبات الهوائية - التى لم نكن قد عرفناها بعد - وما كان يخيل الينا معه انها على وشك السقوط ونحن نشعر بها وهى تهوي بدرجة حادة تكاد تقفز معها قلوبنا من اماكنها وما يحدثه ذلك من رعب حقيقي لنا لدرجة اننا كنا نصرخ خوفاً وهلعاً في كل مرة يعترضنا فيها مطب هوائي . . وما اكثر المطبات الهوائية . فطائرات ذلك الوقت لم تكن قد وصلت في تقنياتها الى الطيران فوق مستوى الغيوم بعد .

بعد ثلاث او اربع ساعات من الطيران حطت بنا (السندلاند) في المياه القريبة من فندق شط العرب بالبصرة بعد رحلة اشبه ما تكون بالرحلات البحرية في جو عاصف . ومن هناك نقلنا بقارب صغير الى الفندق . فندق شط العرب بالذات الذى كان يعتبر من اكبر واضخم الفنادق في الوطن العربي آنذاك . وفي هذا الفندق الذى اخذنا بجملاله وروعة ابيائه الفسيحة واثائه الفاخر . وبعد ليلة مثيرة وغريبة تقلبنا فيها على وسائل واراتك لم نتعودها في حياتنا البسيطة والمتواضعة ثم نقلنا الى الطائرة من جديد لتبدأ رحلة طيران اخرى مفزعة وخيفة عبرنا فيها الاجواء من البصرة الى الحبانية ببغداد . . ثم بعد ساعات من الرحلة والتزود بالوقود - على ما أظن - دارت محركات الطائرة من جديد لتعبر بنا هذه المرة الاجواء العربية الممتدة من بغداد الى بحيرة «طبرية» حيث بتنا ليلتنا بمدينة (اللد) هناك . وفي هذه المحطة رأينا اعداداً من النساء اليهوديات وهن بملابس البحر . . بعضهن كان وسط البحر . . والاخرى على الشاطئ .

منظر لم تألفه عيوننا قط . بعد ليلة قلقة دارت عجلات السندلاند لتنقلنا هذه المرة الى القاهرة حيث حطت بمطار «امبابه» النيلي . ومنها بدأنا رحلة استكشاف المجهول في القاهرة . . . و . . . و . . .

وتوقفت آلة الذكريات وانا اصل الى مكان التجمع . . بيت كانوا للضيافة . . وما ان دخلت حتى اصطدمت بعيني اول ما اصطدمت بعبد الرحيم الذى لم اره منذ اكثر من اربعين سنة . انه لم يتغير كثيراً فيما عدا مجموعة كيلوات من اللحم اضافها الى جسمه .

«انا أعمل مدرسا باحدى مدارس الحد منذ ان عدت الى البحرين» .

يا الله . . اربعين سنة تدريس . . لو كنت ان اصنع شيئاً في وزارة التربية والتعليم لصنعت تمثالاً لهذا الرجل الذى استطاع ان يعيش اربعين سنة مع اجراس المدرسة وشقاوة الطلاب واكداس الدفاتر . . . و . . . و . . .

وهذا هو عبدالرحمن الجودر . زميل آخر من زملاء الدراسة . . كنت اسمع به منذ عدنا معا من القاهرة ولا اراه . . ولكنه ها هو ذا الآن يقف منتصباً بلحيته البيضاء وصوته الهادى . لقد اخذه الدين عنا بعد ان تحول عن المطارق وبرادة الحديد الى امام وخطيب في احد مساجد المحرق .

وحسين منديل واحد من الذين كنت اتشوق لرؤيتهم . . علامات الزمن لم تستطع ان تخط الكثير على وجهه .

و . . . على المسقطي . . وحسن المدني . . . وعلي بن الشيخ . . و خليل المطوع . . و ابراهيم يعقوب وعبدالرحمن كانوا . . . و . . . ولم يحضر بعض الزملاء ربما لانهم رأوا في الحضور مضیعة لوقتہم . بيد أننى افتقدت زميلاً عزيزاً تعرضت احدى قريباتها لطارئ صحى فى ذات اللحظة التى كان يهيم نفسه فيها للمجىء . انه الاستاذ حسن الجشى الذى عرفته البحرين واحداً من فرسان الكلمة ومن ابرز كتاب مجلة «صوت البحرين» التى كانت تصدر فى الخمسينات كما عرفته رئيساً مقتدراً للمجلس الوطنى فى اوائل السبعينات .

و . . . و . . . ولكن كان هناك من تغيب عن الحضور لا لانهم مشغولون بشىء آخر . . ولكن لانهم رحلوا عن عالمنا . كانوا اربعة . . محمد يوسف المحمود . . وخليفة المقرن . . و ابراهيم بوحجي . . وعبدالحميد الشتر .

كان مكانهم خالياً . . ولكنهم رغم ذلك كانوا معنا . . فقد كانوا جزءاً من ماضى جميل . . بيننا وبينه اربعون سنة . . فليرحمهم الله . . ويرحمنا معهم الله . . وما زالت العجلة تدور .





■ بعض طلاب بعثة البحرين الى القاهرة خلال حفل اقيم في تبت كانوا للضيافة بعد مرور 65 عاماً ، ويظهر في الصورة جلوساً من اليمين: حسن المدني ، خليل المطوع ، عبدالرحمن الشيراوي ، علي بن الشيخ وعلي سيار. اما الواقفون من اليمين : علي المسقطي ، احمد الشوملي ، عبدالله الشكر، ابراهيم يعقوب ، عبدالرحمن كانو ، عبدالرحمن الجودر ، عبدالرحيم علي ، حسين منديل .



■ ملتحق طلاب بعثة البحرين من اليمين : عبدالرحمن الشيراوي ، علي بن الشيخ ، احمد الشوملي ، عبدالله الشكر ، علي سيار ، حسن المدني .

الفهرس

4.....	الاهداء
6.....	مقدمة
9.....	تصدير
12.....	طفولتى .. ونشأتى
14	ذكريات قديمة من أيام الصيف
16.....	اهزوجة قديمة
16.....	حادثة غرق
18.....	والدى.. والأسر
23.....	جدي
26	اختى نعيمة
29.....	صورة تذكارية .. قديمة
30.....	المدرسة الجعفرية.. في المنامة
51.....	سوق الاربعاء
63.....	مجالس رمضان
65.....	صيران الجص
66.....	زمن المقاهى
70.....	فرضة المنامة
73.....	سقوف اسواق المنامة
131.....	رحلة الى الاقصر

الفهرس

139.....	انتهاء الاجازة.. والودة الى المدرسة.....
148.....	علاقاتنا .. مع المعهد البريطانى
153.....	مناسبات عامة.. وذكريات
159.....	خواطر .. وتأملات
162.....	ذكريات في رمضان
172.....	في المدرسة .. من جديد.....
180.....	بيت البحرين .. في ايامه الاخيرة.....
184.....	ايام.. في بيت الكويت.....
187.....	ودخلت في وضع جديد.....
188.....	موقف الصحافة المصرية.....
189.....	اتصالات .. ومشاروات.....
191.....	مقابلة مستشار حكومة البحرين.....
195.....	في الوظيفة.....
202.....	طريق البحر... عودة.....
202.....	رابطة خريجي المعارف الثقافية.....
204.....	مع الاندية ... والجمعيات.....
207.....	عود على بدء.....
207.....	اما في القاهرة او في الجنة.....

